

المائة الخامسة

١١٢ — سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر
المستعين بالله ، أبو أيوب

قدمته البرابرة عند قتل عمه هشام بن سليمان بن الناصر القائم على المهديّ
محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، باعث الفتنه بالأندلس ،
وموقد نارها الخامدة ، وشاهر سيفها المغمد .

وكان المهدي حاقداً على العامريين قتلهم أباه هشاماً في دولة المظفر عبد الملك
ابن المنصور محمد بن أبي عامر ، لاتهمهم إياه بمبالأة الوزير عيسى بن سعيد القطّاع
قتيل عبد الملك^(١) ، فقام على هشام المؤيد في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين

(١) المراد عبد الملك المظفر بن المنصور محمد بن أبي عامر .

وعيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بالقطّاع كان وزيراً للمنصور محمد بن أبي عامر ثم لابته
عبد الملك المظفر . وقد بلغ في عهد هذا الأخير سلطاناً عظيماً بعد أن تخلص من الفتي طرفة الذي
كان حاجب المظفر ، وقد كثر خصومه وأعداؤه ، وتزعّم هؤلاء عبد الرحمن بن أبي عامر أخو
المظفر . وكان عيسى بن سعيد صديقاً لهشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فاتهم الاثنان
بالتدبير على المظفر لقتله والمناداة بهشام هذا خليفة ، وانتهى الأمر بأن قتل المظفر وزيره بيده
في مجلس شراب ، ثم قبض على هشام وأودع محبسا ، « فكان آخر العهد به » .

ابن عذاري ، البيان المغرب ٣/٣١ - ٣٥ .

وثلاثمائة وخلعه وحبسه عند وزيره الحسين بن حي^(١) ، وقتل عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر — وهو الملقب بالناصر — وصلبه ، وأدرك به ثأره .
وأقام بقرطبة ، مدعوًا له على منابرها وسائر منابر الأندلس ، إلى أن ثار عليه في آخر شوال من السنة هشام بن سليمان المذكور وحاربه ، فظفر به المهدي وعجل قتله . فهرب سليمان المستعين بالله وأهل بيته ، خيفةً من المهدي ، واضطربوا في نواحي قرطبة . فالتف البربرُ على سليمان هذا وقدموه خليفةً ، وأصفقوا على بيعته ، لانحرافهم عن المهدي واضطغانهم عليه قتل عبد الرحمن بن أبي عامر .
وتعجل سليمان بهم النهوضَ إلى الثغر ، مستجيشًا بالنصارى على محاربة المهدي . ثم عاد فالتقوا جميعًا بقننّيش^(٢) ، فكانت الواقعة المشهورة على أهل قرطبة ، قُتل فيها نيفٌ على عشرين ألفاً — ذكر ذلك الحميدى وغيره .

(١) في البيان المغرب لابن عذارى (٧٧/٣) : الحسن بن حي .

(٢) ورد موضع هذه الواقعة على هذه الصورة عند ابن حيان (برواية ابن بسام ، قسم ١ - مجلد ١ ، ص ٣٠ و ٣١) وهو موضع إلى شمال شرق القليعة^{مره} Alcolea غير بعيد من ملتي وادي أرملاط Qualmellato بالوادي الكبير . وقد ورد ذكر موضع الواقعة ٤ مرات عند ابن بشكوال (الصلة) ، تراجم أرقام ٢٦ و ٤٦٢ و ٩٥٨ و ١٠٣٠ مع اختلاف في الصورة في حالتين ، فقد وردت مرة فنتيش Fuentes ومرة بنتيش Puentes وهما صورتان مقبولتان للاسم . وورد في بغية الملتبس للضبى قنتش بدون شكل أو حروف علة ، ويمكن في هذه الحالة قراءة اسم الموضع Quintos .

وفي تطور أحداث الفتنة الأندلسية الكبرى تعتبر موقعة قننّيش من المعارك الحاسمة ، فقد كانت أولاً قاضية على خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي وعلى كل أمل في إعادة الخلافة الأموية القرطبية ، وكانت ثانياً مؤكدة لانقسام العسكر الأندلسي إلى قسمين رئيسيين متعادين : البربر في ناحية ، والأندلسيين في ناحية أخرى . وقد انهزم فيها محمد بن عبد الجبار المهدي والأندلسيون هزيمة قاصمة ، وانتصر البربر تويدهم فرقة من النصارى يقودها الكونت سانشو غرسية ودخلوا قرطبة وعاثوا فيها . وبعد ذلك مباشرة شعر حكام النواحي ألا أمل في إعادة سلطان مركزي ، فبدأ كل منهم يستقل بناحيته ، ولهذا فإننا نستطيع اعتبار تاريخ هذه المعركة وهو ١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠/٣ نوفمبر ١٠٠٩ المبدأ الحقيقي لفترة الطوائف .

Cf : LÉVI-PROVÈNÇAL, *Hist. de l'Espagne Musulmane*, II, 810. et n.1

ودخل سليمان قصر قرطبة ، وبويع له بالخلافة للنصف من شهر ربيع الأول سنة أربع مائة ؛ وتسمى حينئذ بـ « الظافر بحول الله » مضافاً ذلك إلى لقب « المستعين بالله » . واستقر المهدي بعد انهزامه إلى أن لحق / بطليطلة ، والثغور باقية [١٣٧-ب] على طاعته ودعوته : من طرطوشة قاصية شرق الأندلس إلى الأشبونة من غربها : فاستجاش هو أيضاً النصاري وأقبل بهم إلى قرطبة ، فخرج إليه سليمان ، فهزمه المهدي بموضع يعرف بعقبة البقر^(١) ، ودخل قرطبة كرة أخرى والياً ومستولياً [على الخلافة]^(٢) فلم يلبث أن وثب عليه العبيد العامريون مع واضح الصقلبي فقتلوه وصرفوا هشاماً المؤيد . وسليمان المستعين أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس [ورجاله ومن معهم من البربر ينهبون ويقتلون و]^(٣) يُققرّون المدائن والقرى بالسيف ، وينهبون كل ما يجدون من الأموال . إلى أن دخلوا معه قرطبة عنوة في صدر شوال سنة ثلاث وأربع مائة ، فاستباحوها وقتلوا أهلها . وغيب سليمان هشاماً المؤيد فلم يره أحد بعد ذلك ، وكان لدته : ولداً جميعاً في ليلة واحدة ، ثم تقارباً في الوفاة . وأقام سليمان والياً إلى أن [ثار عليه] علي بن حمود العلوي الإدريسي ، وكان في [جملة جنده] ، فقتله بيده يوم الأحد لثمان بقين من المحرم سنة سبع وأربع مائة ، وقتل معه أباه حاكم بن سليمان وأخاه عبد الرحمن ، وادعى أن هشاماً المؤيد عهد إليه بالأمر من بعده .

(١) عقبة البقر ، اليوم El Vacar ، وهو حصن على عشرين كيلومتراً شمال قرطبة إلى الجنوب الغربي قليلاً من Ovejo ، وقد ذكرها الإدريسي باسم « دار البقر » . وكانت الموقعة في ٥ شوال ٢٢/٤٠٠ مايو ١٠١٠ وبعدها مباشرة دخل محمد بن عبد الجبار المهدي قرطبة وهرب منها البربر وبدأت خلافته الثانية .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) بياض بالأصل ، أكلناه بالمعنى من التفاصيل التي قدمها ابن عذاري في البيان المغرب

(٩٧/٣ - ٩٩) .

وفي ذلك اليوم انقرض ملك بني مروان بالأندلس على رأس مائتي سنة^(١) وثمان وستين سنة وثلاثة وأربعين يوما ، مُحَصَّاةً من يوم الأضحى الذي تقدم فيه عبدُ الرحمن بن معاوية إلى مقتل سليمان هذا . ثم عاد بعد ذلك سنين يسيرةً ، وانقرض على الأثر فلم يعد إلى اليوم .

وكان سليمان المستعين من أهل العلم والفهم ، أديباً فصيحاً شاعراً ، له رسائل وأشعار بديعة . وهو القائل — فيما أخبرني به القاضي أبو الخطاب أحمد بن محمد ابن واجب القيسي ، منأولة ببلنسية عن القاضي أبي بكر بن العربي ، إجازة^(٢) عن أبي بكر محمد بن طرخان ، عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدى ، وأخبرني أيضاً القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي جرة^(٣) في كتابه من مرسية مرتين ، عن القاضي أبي بكر بن العربي المذكور وأبي الحسن شريح بن محمد الرعيني ، وأخبرني أيضاً قاضي قضاة المغرب أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي في كتابه إلى من قرطبة ، عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح ، كلاهما عن الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن حزم ؛ قال الحميدى : منهما^(٤) أنشدني

[١٣٨-١] أبو محمد علي بن أحمد ، قال : أنشدني فتى من ولد إسماعيل بن إسحاق المنادي الشاعر ، وكان يكتب لأبي جعفر أحمد بن سعيد الدب ، قال : أنشدني أبو جعفر ، قال : أنشدني أمير المؤمنين سليمان الظافر لنفسه ، قال أبو محمد — هو ابن حزم : وأنشدنيها قاسم بن محمد الرواني ، قال : أنشدنيها وليد بن محمد الكاتب لسليمان الظافر :

(١) في الأصل هنا لفظ « ثنتين » ، وهي زائدة .

(٢) دوزى ، ص ١٦١ : إخباره .

(٣) الكلام من أول « ابن العربي » إلى هنا مكتوب في الهامش وفوقه كلمة « صح » . .

(٤) كذا ، والأصح : عنهما .

عجيباً ! يهابُ الليثُ حدَّ سِنَانِيْ
وأقارِعَ الأهوالِ لا متهيِّباً
وتملَّكتُ نفسى ثلاثَ كالِدُمَى
ككرواكبِ الظلماءِ لُحْنِ لناظرٍ
هذى الهلالُ ، وتلكُ بنتُ المشتري
حاكتُ فيهنَّ الشُّلُوَّ إلى الهوى ^(١)
فأُبحنَ من قلبي الحمى ، وثنيْنِي ^(٢)
لا تعذِّلوا مَدَكاً تذلُّ للهوى
ماضراً أنى عبْدُهْن صَبَابَةً
إن لم أطع فيهن سلطانَ الهوى
وإذا السَّكْرِيْمُ أَحَبُّ أَمْنٍ إِلَفُهُ
وإذا تجارى في الهوى أهلُ الهوى
قال الحميدى : وهذه الأبيات مearضة للأبيات التي تنسب إلى هارون

الرشيد ، أنشدنيها له أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان العمري وهي :

مَلَكُ الثَّلاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِيْ
وَحَلَّانُ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانِ
مَالِي تَطَاوَعْنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا
وَأَطِيعُهُنَّ ، وَهَنَّْ فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى
- وَبِهِ قَوِيْن - أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

قلت : وقد صرح الرشيد بأسماء هؤلاء الجوارى الثلاث في قوله :

إِنْ «سَجَرَاءُ» وَ«ضِيَاءُ» وَ«خُنْتُ» هُنَّ سَحَرٌ ، وَضِيَاءٌ ، وَخُنْتُ

(١) الذخيرة (قسم ١ مجلد ١) : الصبا .

(٢) الذخيرة : وتركني .

[١٣٨-ب] / أَخَذْتُ سِحْرَهُ — وَلَا ذَنْبَ لَهَا — ثَلَاثُ قُلُوبٍ ، وَتَرَبَّاهَا الثَّلَاثُ

وقال أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفيّاض — المعروف بابن الغشاء^(١) — في كتاب « العبر » من تأليفه ، وذكر سليمان هذا : له قصائد طويلة في فنون كثيرة ، مع المعاني العجيبة ، والألفاظ الغريبة . إلا أنه تقلد في قيامه بالملك عظيماً ، وحمل إلى عنقه من دماء المسلمين جسيماً . وكان — قبل الخلافة — ربما امتدح من خدّمة السلطان المستخدمين : أخبرت عن الوزير ابن صاعد أنه امتدحه أيام ولايته على جيّان ، وكان يَبْرُهُ في ضيعة له ولا يكلفه عليها عُشوراً ولا حَشْداً^(٢) . قال : وكانني أراه قائماً بين يدي ابن عمه المهديّ القائم على بني أبي عامر ، والمهديّ جالس على مقعد الخلافة ، وهو أمامه قد لبس ثوب خَزٍّ ، وعليه طاق خَزٍّ ملون ، وأخروف^(٣) وشي ، وقد رمى بثيابه على عاتقه ، وبيده

(١) لم أجد هذه التسمية لابن أبي الفيّاض إلا هنا . وهو مؤرخ أندلسي وجغرافي معروف ، ولد في إسبجة سنة ٩٨٦/٣٧٥ وعاش في المرية « ويكنى بأبي بكر ، سمع بإسبجة من يوسف بن عمروس وبالمرية من أبي عمر الطلمنكي وأبي عمر بن عفيف والمهلب بن أبي صفرة وغيرهم ، وله تأليف في الخبر والتاريخ ، وتوفي سنة ٤٥٩ (١٠٦٦) وقد جاوز الثمانين سنة . ذكره ابن مَسْلَمَة . »

انظر كذلك : المقرئ ، نفح الطيب (طبع أوروبا) ١٢٣/٢ .

وترجمة جايانجوس لهذا الأخير ، ج ١ ص ١٩٣ و ٤٧٤ .

و« جامع أقوال المؤرخين في بني عباد » : ٣٤/٢ .

وبونس بويجس ، رقم ١٠٥ ص ١٣٨ .

وتاريخ الفكر الأندلسي لبالنشيا وترجمتنا ، ص ٢١٢ .

(٢) العشور معروفة ، وأما الحشد فضريبة مالية كانت تفرض في الأندلس على أصحاب الضياع في الريف وعلى الناس في المدن معونة للخليفة على شؤون الحرب ، وكان الناس أولاً مكلفين بالخروج إلى الحرب ، وكان عليهم أن يخرجوا إلى الحشد عندما يحىء أوان الصائفة ، ثم استبدلت بضريبة مالية أو عينية لمن لا يريد الخروج ، ثم أصبحت ضريبة مالية خالصة تؤدي للحشد أو الحشاد في كل منطقة .

(٣) الأخروف ، غطاء من أغطية الرأس . وقد ذكره دوزي في :

Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, P. 23.

في صورة أخروق بالقاف ، ثم عاد فصوب القراءة في الحلة (ص ١٦٢) وأضاف تعليقاً ضافياً .

سيف ، وهو ينشد شعراً طويلاً يهنيه فيه بالخلافة ، ويمت إليه بالقرابة ، أوله :
الحمد لله حمداً لا نقله هذا السرور الذي كنا نؤمله

وهي قصيدة كبيرة رائعة ، واختراعاته فيها فائقة ، مع المعاني الجزلة . ورفع
إليه بعض خدمته معتذراً ، فوقّع له على ظهر كتابه :

قرأنا ما كتبت به إلينا وعذرك واضح فيما لدينا
ومن يكن القريض له شفيعاً فترك عتابه فرض علينا

قال ابن أبي الفيّاض ، وأخبرني أحد إخواني ، قال : كتب إليه الوزير
يوسف بن أحمد الباجي يذكره بزمانه معه ، ويمت بخدمته له ، ويسأله تجديد
العارفة لديه ، ونظم أبياتاً أولها :

قل للإمام المستعين ورسول رب العالمين

فوقع له سليمان :

أنت المصدق عندنا بصریح ودّ مستبين
فاربّع عليك فهمنا توطيدُ أمر المسلمين
فإذا توطد واستقام وخاب ظن الحاسدين
أصبحت من دنياك في أعلى محلّ الآملين

قال : وكتب إليه القاضي أبو القاسم بن مقدم يشكو إليه ضيق حاله
— وكان معه في تجوله مع البربر — بشعر أوله :

أهل ترضى لعبدك أن يُذالا وأن يبقى على الدنيا عيالا ؟

فبعث إليه بصلّة وكسوة ، ووقع له على ظهر كتابه :

معاذَ الله أُنْ تبقى عيالا وأنْ ترضى لمثلِكَ أنْ يُذالا^(١)
وكيف وأنت منقطع إلينا وقد عِلقتْ يداكَ بنا حبّالا ؟
[١-١٣٩] / ودونكَ من نوافلنا يسير . ولكنّا انتَقينا^(٢) حلالا

ولما نهضَ إلى قرطبة — بعد تغلبه عليها ، وأخذها إياها عنوةً بالفتكة
الأخيرة القاهرة — خرج أهلُها إليه ، متلقين له ومسلمين عليه ، فأنشد متمثلاً :
إذا ما رأوني طامعاً من تَذِيّةٍ يقولون : « مَنْ هذا ؟ » ، وقد عرفوني
يقولون لي : « أهلاً وسهلاً ومرحباً ! » ولو ظفروا بي ساعةً قتلوني . .
فكان بهما في هذا الموطن أحقّ من قائلهما .

١١٣ — عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار

ابن عبد الرحمن الناصر ، أبو المطرف المستظهر بالله

أخو أبي الوليد محمد بن هشام المهدي ، بويع له بالخلافة بقرطبة في رمضان
سنة أربع عشرة وأربعمائة ، بعد ذهاب دولة بني حَمُود وانقراضها من قرطبة ،
وهو ابن ثلاث — أو اثنتين — وعشرين سنة .
ثم ثار عليه ابنُ عمه المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر
عبد الرحمن بن محمد في طائفة من أراذل العوام ، فقتل المستظهر لثلاث بقين من
ذي القعدة من السنة ، فكانت خلافته سبعةً وأربعين يوماً ؛ ولم يعقب .

(١) ذال الشيء يذيل : هان ، وأذله : أهنته ولم أحسن القيام عليه ، وأذال فلان فرسه
وغلامه إذا أهانه ، والإذالة الإهانة . . والمذال : المهان . اللسان : ٢٧٧/١٤ .
(٢) الأصل : انتقينا .

قال أبو محمد بن حزم الفقيه : كان المستظهر في غاية الأدب ، والبلاغة والفهم ورقة النفس . وقال ابن حَيَّان : لم يكن في بيته يومئذ أبرع منه . وكان قد نَقَلَتْهُ المخاوف وتقاذفت به الأسفار ، فتحنَّك وتخرج وتمرن ، وكاد يستولى على الأمر لو أن المنايا أنسأته . وقال في موضع آخر : وكان فتىً أى فتىً لو أخطأته المتالف . وكان قد أخرج رسالته إلى جماعة الرؤساء بالأندلس يلتمس البيعة ، ويستنفر الكافة ، ويدعو إلى كَرَّة الدولة ، فأخفق ما طلبه ، وعوجل ولما تقتضِ الأجوبة رسالته ، واضمححل أمره ؛ والبقاء لله وحده . قال : وكانت سنه يوم قُتل ثلاثاً وعشرين سنة . وكان على حدوث سنه يقظاً أديباً ، حسن الكلام ، جيد القريحة ، مليح البلاغة ، يتصرف في ما شاء من الخطاب بديهةً ورويةً ، ويصوغ قطعاً من الشعر مستجادة^(١) . وهو القائل يخاطب « شنف »^(٢) زوج سليمان المستعين ، عندما / خطب ابنتها منه المسماة « حَيَّبة » وتُسَكَّنَى أمَّ الحكم ، [١٣٩-ب] فلوته وسوَّفته :

(١) نقل ابن الأبار كلامه عن عبد الرحمن المستظهر عن ابن حيان وابن بسام (انظر الذخيرة : قسم ١ مجلد ١ ص ٣٤ وما بعدها) . وقد كان عبد الرحمن هذا أقصر خلفاء بني أمية حكماً ، فقد حكم - كما يقول ابن حيان - « سبعة وأربعين يوماً » ، لم تنتشر له فيها طاعة ، ولا التأم عليه جماعة ، ولا تجاوزت دعوته قرطبة ، وكانت سنه يوم قتل ٢٣ سنة . وقد وصل إلى الخلافة على صورة من الغصب والمباغنة رواها ابن حيان في أسلوبه اللاذع وعرضها في صورة مهزلة مبكية . وكما كانت خلافته أقصر الخلافات فقد انتهت أسوأ وأخزى نهاية . فقد أقره في الحكم رجال الدائرة أى حرس الخليفة ، وانتظروا أن يفيض عليهم العطايا ، ولكنه كان مفلساً « لا يقع بيده درهم إلا من صُباة مستغلٍّ جوف المدينة (قرطبة) أو نهب مغلول من تقلقل عنها » . وأراد أن يصالح البربر وروّسائهم فانقلبت عليه الدائرة فنادوا بابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن الناصر وأثوا به إلى القصر ، فهرب المستظهر واستخفى في أبزن الحمام (أى في مخزن الفحم والخشب) ثم عثروا عليه بعد قليل « فأخرج في قميص مسود في حال قبيحة » وضربوه أمام ابن عمه ثم قتلوه . ويثنى عليه ابن حزم لأنه كان صديقه ، وقد استوزره واستوزر كذلك ابن عمه عبد الوهاب ابن حزم والشاعر أبا عامر بن شهيد .

(٢) عند ابن بسام : مُشَنَّف .

وجالبة عذراً لتصرف رغبتي
يكلفها الأهـلون ردى جهالة
وماذا على أم الحبيبة — إذ رأت
ربيبة ملك [...]
جعلت لها شرطاً على تعبـدى
تعلقتها من عبد شمس غيرة
حامة بيت العشميين رفرفت
تقل الثريا أنت تكون لها يداً
لقد طال صوم الحب عنك ، فما الذى
وإنى لأستشفى لما بى^(٢) بداركم
والصق أحشائى ببرد ثرابها
فإن تصرفينى يا ابنة العم تصرفى
وإنى لأرجو أن أطوق مـفخري
وإنى لاطعان إذا الخيل أقلت
ومكرم ضيفى حين ينزل ساحتى
وإنى لأولى الناس من قومها بها
وعندى ما يصـبى الحليمة ثيباً
جمال وآداب وخلق موطأ

وتأبى المعالى أن تجيز لها عذراً
وهل حسن بالشمس أن تمنع البдра ؟
جلالة قدرى — أن أكون لها صهراً ؟
[...]^(١) حبه نكرا
وسقت إليها فى الهوى مهجتي مهراً
مخدرة^(٢) من صيد آباءها غراً
فطرت إليها من سراتهم صقراً
ويرجو الصباح أن يكون لنا نـحراً
يضرك منه أن تكونى له فطرا ؟
هدوءاً ، وأستقى لساكنها القطرا
لأطفىء من نار الأسى بكم جـهراً
— وعيشك — كفوا مد رغبته سـترا
بملكى لها ، وهى التى عظمت نفراً
جرائدُها ، حتى ترى جونها شقراً
وجاعل وفـرى عند سائله وفـراً
وأنبهم ذكرًا ، وأرفعهم قدرا
وينسى الفتاة الخود عذرتها البكرا
ولفظ إذا ما شئت أسمعك السحرا

(١) أورد ابن بسام القصيدة كاملة ، إلا هذا البيت . وكأنه كان أيضاً مضطرباً فى الأصول التى نقلت عنها نسخ الذخيرة الموجودة بين أيدينا .

(٢) الذخيرة (قسم ١ مجلد ١ ص ٤٠) : مُخَدَّرَةٌ .

(٣) الذخيرة : بِمَرَّى .

/ وله وقد لمحها يوماً وأوماً بالسلام فلم ترد عليه خجلاً : [١٤٠-١]

سلام على من لم يجُذ بكلامه ولم يرَني أهلاً لردِّ سلامه
سلام على الظبي^(١) الذي كلما رمى أصاب فؤادي عامداً بسهامه
بنفسي حبيب لم يجُذ لمحبه بطيف خيال زائر في منامه
ألم تعلمي يا عذبة الإسم أنني فتى فيك مخلوع عذارٍ لجامه ؟
وإني وفيّ حافظ لأذمتي إذا لم يقل غيري بحفظ ذمامه
يدشّر ذاك الشعرُ شِـمري أنه سيوصل حبلِي بعد طول انصرامه
وما شكّ طرفي أن طرفك مُسعدى ومنقذُ قلبي من خبالِ غرامه
عليك سلام الله من ذي تحية وإن كان هذا زائداً في اجترامه^(٢)

(١) الذخيرة : الرامى .

(٢) هنا يخطرب المخطوط اضطراباً شديداً ، فقد أورد هذه الأبيات في ترجمة عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي الذي سبقت ترجمته ، والمشهور أنها لعبد الرحمن بن هشام المستظهر الذي يترجم له ابن الأبار هنا (راجع الذخيرة ، طبعة القاهرة ، قسم ١ مجلد ١ ص ٣٥ وما بعدها) . ثم كتب الناسخ بعد ذلك : « ورفع إليه شاعر هناء بالخلافة يوم بيعته شعراً في رق مبشور . . » وهذا لا يمكن أن يكون المراد به عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أمية بن الحكم الربضي ، ومن الثابت أنه وقع لعبد الرحمن المستظهر بن هشام (راجع الذخيرة ، نفس الجزء ، ص ٤٢) . ثم يتبع الناسخ ذلك بالحديث عن إدريس بن يحيى العلوى ، ويستمر في شعراء الأمراء والأعيان في المائة الخامسة حتى يصل إلى أبي عبيد البكري (ص ١٠٩ من المخطوط) ويقول : وأنشد له ابن فرج في الحقائق :

سقيا لهم من ظاعنين حسبهم . . الأبيات .

وبعد ذلك في ص ١١٠ - ب يعود إلى استكمال سيرة عبد الله بن عبد العزيز المرواني ، ثم يستطرد في ذكر نفر من المروانيين من أهل المائة الرابعة .

ويُتبعهم (ورقة ١١٢ - ب) بمعاصريهم من الأدارسة .

ثم يعود في ورقة ١١٣ - أ إلى رجال المروانية في المائة الرابعة . وفي ورقة ١٣٤ - أ يعود إلى المائة الخامسة بادئاً بالخليفة سليمان المستعين . =

وله أيضاً فيها :

تبسّم عن درّ تنضّد في الورسِ وأسفر عن وجه ينوب^(١) عن الشمس
غزالٌ براه الله من نورٍ عرشه لتقطع أنفاسي ، وليس من الإنس
وهبت له روحى ومُلْكِي ومهجتي ونفسي ، ولا شيء أعز من النفس
وله :

طال عمر الليل عندي مذ تولعت بصدي
يا غزالا نقض العهد دَ ولم يوف بهدي
أنسيت العهد إذ بَتَ بنا على مفرش ورد
واجتمعنا في وشاحٍ وانتظمتنا نظم عقـد
وتعاقنا كغصنٍ نِ وقدّانا كقـدّ
ونجوم الليل تحكى ذهباً في لازورد

ورفع إليه شاعر من هناء بالخلافة يوم بيعته شعراً في رَقٍّ مبشور ، واعتذر
من ذلك بهذين البيتين :

الرَّقُّ مبشور وفيه بشارةٌ ببقا الإمام الفاضل المستظهر

= ويستمر في شعراء الأمراء من المائة الخامسة حتى أبي عبيد البكري ، وفي أثناء ترجمته يعود
إلى عبيد الله بن عبد العزيز المرواني !

لهذا كله كان لابد من إعادة ترتيب هذه المواد على النحو الذي يراه القارئ هنا .
وقد فعل مثل ذلك دوزي مستعيناً بفهرس تراجم الحلة الذي أورده ميخائيل الغزيري في فهرس
مخطوطات الإسكريال . ولكن دوزي نسب لعبد الله بن عبد العزيز المرواني شعراً ليس له .
ولم تبق إلا مشكلة الأبيات : « سقيا لهم من طاعنين » . الخ التي نسبها المخطوط لعبد الرحمن
المستظهر ، ولا يمكن أن تكون له مادامت مروية عن ابن فرج في الحقائق ، وقد مات ابن فرج
قبل المستظهر ، ولا يمكن أن تكون بالتال لأبي عبيد البكري ، لأنه مات بعدها ، فتركناها في
شعر عبد الله المرواني ، وإن كنا في شك من صحة هذه النسبة .

مِلْكَاً أعاد العيشَ غَضّاً شخصُهُ وكذا يكون به طوالَ الأدهر
فأجزل صلته ، ووقع على ظهر رقعته بهذه الأبيات :

قبلنا العذرَ في بَشْرِ الكتابِ لِمَا أَحَكَمْتَ من فصلِ الخطابِ
وَجُدْنَا بالجزا مما لدينا على قدر الوجود ، بلا حساب
فنحن المنعمون إذا قدرنا ونحن الغافرون أذى الذناب
ونحن المَطْلَعون بلا امْتِراء شمسَ المجد من فَلَاحِ التراب
وله يوم الوثوب عليه :

يا أيها القمر المنيرُ كن نحو شَبْهِكَ لى سفيرٍ
بتحيةٍ أودعتها شوقاً بُنَيَّاتِ الصدورِ

١١٤ - أبو الحسن بن هارون

قرأت في تاريخ أبي بكر بن عيسى بن عيسى بن مزِين^(١) ، أن أبا جعفر

(١) أبو بكر محمد بن عيسى بن مزِين مؤرخ أندلسي معروف نشر له دوزى في أبحاثه قطعة عظيمة القيمة عن افتتاح الأندلس وما اتبعه العرب الأول من نظم في توزيع أراضيها ، وهو يكتب في أسلوب بسيط واضح دقيق . ويبدو أن كتابه الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا غير كتاب آخر ينسب إليه اسمه « مغناطيس الأفكار ، فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والآثار » ، ومدينة الفرج هي وادى الحجارَة Guadalajara ، وربما جاز لنا من هذا أن نستنتج أن أصل أسرته من هذا البلد . ومع أن كتابه هذا يتناول جغرافية وادى الحجارَة إلا أنني لم أجده فيه فقرة واحدة تمكنني من الحكم عليه كجغرافي ، ولهذا فقد استطردت عنه في بحثي عن الجغرافية والجغرافيين في الأندلس . ولا نعرف سنة ميلاده أو وفاته ، ولكن لدينا ما يدل على أنه كان حياً سنة ٤٧١ / ١٠٧٨ . وسينقل عنه ابن الأبار مرة أخرى عند كلامه عن ابن طاهر قائلا : « قرأت في تاريخ أبي بكر محمد بن عيسى بن مزِين الكاتب ، وأبوه عيسى هو مخلوع المعتضد عباد بن محمد من شلب ، =

أحمد بن سعيد المعروف بالدَّبِّ^(١) ، وزير سليمان المستعين بالله وكاتبه الخاص به ، ولما تحركت فتنة علي بن حمود العلوي بعث إلى شَنْتَمَرِيَّة الغرب — وهي مَرَسَى أكشُونبَسَة مما يلي البحر المحيط الغربي — ذا الوزارتين أبا عثمان سعيد بن هارون الماردي الدار ، وكانت بينهما مصاهرة ، قال : فلم تطل المدة حتى قُتل الدَّبُّ ثم قُتل سليمان ، فملك ابنُ هارون ما بيده إلى أن مات في سنة أربع — أو خمس — وثلاثين وأربعمائة ، فورث حاله ابنه محمد بن سعيد — وحُكي أنه سُمي بالمعتصم — إلى أن أخرجه عباد بن محمد — يعنى المعتضد — في سنة أربع وأربعين ، فصارت في يده ثم في يد ابنه محمد بن عباد .

[١٤٠-ب] وقال ابنُ بسام ، وذكر أبا الحسن بن هارون هذا ولم / ينسُبه : وهو عليّ ابن محمد بن سعيد بن هارون ، جدُّه لأمه أبو الحسن بن الإِسْتِجِّي ، فأما سلفه من قبل أبيه فقد انخدع لهم الزمان بُرْيَةً ، وهينم بأسمائهم السلطان هُنَيْهَة بشَنْتَمَرِيَّة الغرب ، إلى أن نُبِّه الدهرُ الغافلُ على أمرهم ، وأسكت عن ذكرهم على يدي المعتضد عباد بن محمد ، مُخْلِ الأوطان ، وملحق الأقران بالأقران .

= وكان صهره . ويفهم من هذا أن عيسى ابن مزين والد المؤرخ تولى أمر شلب زمناً حتى خلعه المعتضد ، وهو في هذا يشبه أبا عبيد البكري فقد كان أبوه قد تملك وَلَبَه Huelva وجزيرة شلطيّش على مقربة من شلب حتى عزله المعتضد في نفس الوقت تقريباً .

انظر : پونس بويجس ، رقم ١٣٤ ص ١٧١ و :

DOZY, *Scriptorum Arabum Loci de Abbadidis* (Leiden 1852) II, 123 et n. 144.

(١) أورد ابن عذارى فيما نقل عن ابن حيان اسمه : أحمد بن يوسف بن الدب ، وقال :
ساخراً عندما تحدث عن مقتل المستعين « دولة كفاها ذما أن أنشأها شانجه ووزرها دب ،
فتمخضت عن الفاقة الكبرى » .

البيان المغرب : ١١٨/٣ .

وفهم من رواية الرقيق أن أحمد بن الدب هذا اشترك مع محمد بن سليمان المستعين في قتل هشام المؤيد . (البيان المغرب : ١١٧/٣) .

ومن شعره :

عادت إلى أذناها هَيْفُ واطرد الإسراف والْخَيْفُ
وامتنع الإصْبَعُ من وصلنا وزاد حتى امتنع الطيف
شتمرى القطر غرْبَيْهِ وربما حَنَّ له الْخَيْفُ
ذو لحظة إن لم تكن في الحشا رجماً ، وإلا ففي السيف

وله :

يا ليلة العيدِ عُدتِ ثانيةً . وعاد إحسانك الذي أذكرُ
إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى هلالِكَ النَّضْوِ ناحلاً أصفر
وفيهمْ مَنْ أَحْبَبَهُ وأنا أنظرُهُ في السماء إذ يَنْظُرُ
فقلتُ — لا مؤمناً بقولي — بل معرّضاً للكلام ، لا أكثر :
أثرَ شهرِ الصيامِ فيكَ ، أبا محمدٍ ؟ قال لي ، وما أثرُ :
بل أثرُ الصومِ في هلالكمُ هذا الذي لا يكاد أن يظهر !

أحسنُ من هذا قولُ أبي الحسن بن الزقاق^(١) :

(١) أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف بن سلمة المعروف بابن الزقاق المتوفى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣ أو ٥٣٠ / ١١٣٥ وسنه تقارب الأربعين ، فلا بد على هذا أن يكون قد ولد بين سنتي ٤٩٠ و ٤٩٢ . ولد في بلنسية في فترة عصيبة من تاريخها الإسلامي ، إذ كانت إذ ذاك تحت سلطان السيد القمبيطور ، ولهذا يسمى البلنسي ، ويسمى أيضاً بالمرسي خطأ ، وقد أدرك سن الطلب بعد تحرر المدينة وعودتها إلى الإسلام على أيدي المرابطين . وأمه أخت الشاعر المعروف أبي إسحق إبراهيم بن خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ / ١٠٥٨ - ١١٣٨) ، ومن المعروف أن هذا ينتسب إلى قبيلة هواره البربرية . ويسمى ابن الزقاق بالخمى ، أى أن أباه عربي وأمه ترجع في نسبها البعيد إلى البربر ، فهو على هذا نموذج طيب للتأزج بين هذين الجنسيتين الكبيرين . وقد نشأ ابن الزقاق نشأة متواضعة حتى كان أبوه - وكان صاحب متجر صغير - يلومه على السهر للدرس لأنه لا يملك -

وشهرٍ أدُرنا لارتقابِ هلالِهِ جُفونا^(١) إلى نحو السماء مَوائلاً
إلى أن بدا أحوى المدامع أحورُ يحز لأذيال الشباب ذلاً ذلاً
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ببدرٍ حوى طيب الشمول شمائلاً
أتطلبك الأبصارُ في الجو ناقصاً وأنت هنا^(٢) تمشي على الأرض كاملاً؟

وذكرت بقول ابن هارون ما حُكي أن عبد الصمد بن المعذل رأى مخنثاً
[١٤١-١] ليلةَ الرابع عشر من رمضان وهو / مضطجع على ظهره يخاطب القمر وهو يقول :
« لا أمانى الله منك بحسرة أو تقع في السِّل ! » ، فلما كانت ليلة اليوم السابع
والعشرين منه رأى عبدُ الصمد الهلالَ فقال :

يا قمرأً قد صار مثلَ الهلالِ من بعد ما صيرني كالخيالِ
الحمد لله الذى لم أمتُ حتى أرا نيكَ بهذا السَّلالِ

ولابن هارون :

وحديقة شرفت بعد^(٣) نَميرها يحكى صفاء الجو صفو غديرها
تُجرى المِياه بها أسودٌ أحكمتُ من خالص العقيانِ فى تصويرها^(٤)
فكأنها أسدُ الشرى فى شكلها وكأنَّ وقعَ الماء صوتُ زئيرها

ما يشتري به الزيت للقنديل . وقد درس ابن الزقاق دراسة طيبة على أيدي شيوخ أجلاء يذكروهم
ابن الأبار في التكملة (ترجمة رقم ١٨٤٤) ثم أخذ في قول الشعر واشتهر أمره ، غير أنه لم يعمر
طويلاً كما ذكرنا . وشعره رقيق جميل إلا أنه قليل ، وقد جمعه إميليو غرسية غومس ونشره
في مدريد :

IBN-AL ZAQQAQ. *Poesías* (edición y traducción en verso. Madrid, 1956)

وقدم له بمقدمة شافية عن حياته وشعره .

(١) في الديوان (ص ٨٦) : عيونا .

(٢) في الديوان (ص ٨٦) كذا .

(٣) العِدَّة هو الماء الكثير .

(٤) لم يورد دوزى (ص ١٦٩) هذا البيت .

ومن أمراء إفريقية في هذه المائة :

١١٥ — المعز بن باديس بن المنصور بن بلقين :

ابنه تميم بن المعز ، أبو الطاهر

ولاه أبوه المعز بن باديس المهديّة سنة خمس وأربعين وأربعمائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقد استفحل أمر العرب^(١) بعد هزيمتهم إياه ، واستشرى شرهم وجدّوا في تخريب القيروان إلى أن تم لهم ذلك ، ثم تخلى أبوه عن القيروان وخرج من المنصورية لائذاً بالمهديّة فنزل قصرها ، وتميم القائم بالأمر في حياة أبيه إلى أن هلك سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

(١) المراد هنا العرب الهلالية (الأثبج ورياح وزغبة وعديّ وغيرهم) الذين كانوا يسكنون في صعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل دون أن يسمح لهم بعبوره ، فلما انقلب بنو زيري على العبيديين وتخلّوا عن المذهب الشيعي وعادوا إلى السنة ودعوا لبني العباس أذن لهم البحر جرائي أو البطائحي الوزير الفاطمي (عند ابن خلدون أن الذي سمح هو أبو الحسن اليازوري) بعبور النيل والذهاب إلى المغرب ، ففضوا إلى برقة فانشالوا عليه انشالا لا يبقون على شيء ، حتى إن جماعة منهم رأت في مسيرها قرية فقال بعضهم : هذه القيروان ! فانقضت الجماعة عليها ونهبتها من حينها . واستقروا في برقة بعض الوقت . وكان زعيم أولئك الهلالية مؤنس بن يحيى الصّرّي الرياحي قد وفد على المعز بن باديس قادماً من برقة وخدمه ، ثم أراد المعز أن يستعين بالعرب الهلالية على أبناء عمه ومنافسيه بني حماد أصحاب القلعة المنسوبة إليهم في الجزائر الحالية وعلى زناة من أنصار بني أمية الأندلسيين ، فطلب إلى مؤنس استقدام العرب من برقة ، فنصحه ألا يفعل ، فأصر المعز ، وكانت النتيجة أن أقبلوا فهبوا بلاد إفريقية وخربوا القيروان ، ولم يجد المعز بداً من أن يلجأ إلى المهديّة ليعتصم خلف أسوارها بعد أن انهزمت قواته هزيمة قاصمة عند القيروان في شوال ٤٤٣ . وفي سنة ٤٤٩ اقتحم الهلاليون القيروان وخربوها . وقد ولد المعز سنة ٣٩٩ وتولى إمارة إفريقية سنة ٤٠٧ وسنه ٧ أعوام وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ٥٨ سنة .

ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٨٨/١ - ٢٩٥ .

ابن خلدون ، العبر : ١٥٧/٦ - ١٥٩ .

فاستبد تميم بالمملكة ودخل إليه القضاة والفقهاء ووجوه القواد والأجناد وقد برز إليهم من الطاق^(١) ، فمزّوه عن المعز وهنّوه بالملك وأنشده الشعراء في ذلك ، فأجزل جوائزهم وأكثر عطاياهم . وأقام إلى أن توفي منتصف رجب سنة إحدى وخمسة ، وهو ابن تسع وسبعين سنة .

مولده بالمنصورية يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فكانت مدة ولايته بعد أبيه سبعاً وأربعين سنة غير أربعين يوماً . وخلف من الولد ما جاوز عدهم المائة . وطالت إمارته فتعهد [١٤١-ب] سلطانه وعلا شأنه ، وانتجع حضرته جماعة من شعراء المغرب والأندلس / منهم أبو إسحاق بن خفاجة في صباه وعبد الله بن عبد الجبار الطرطوشي وأبو الحسن علي بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالقسكيك وغيرهم . وخدمه بالشعر من أهل إفريقية جماعة أيضاً ، منهم أبو الحسين بن خصيب وأبو عبد الله محمد ابن علي القفصي الأعمى وأبو الحسن علي بن محمد الحداد الأقطع ، ومدحه قبل هؤلاء من شعراء المعز — أبيه — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن شرف^(٢) وأبو علي حسن بن رشيق ، وفيه يقول :

(١) لم أفهم المراد بهذه العبارة ، وابن الأبار لا يكتب شيئاً إلا عن تدقيق . والمفهوم من العبارة أن تميم بن المعز كان بعيداً عن أبيه ، وأنه تخوف عندما جاءه خبر موت أبيه من أن يكون الخبر خدعة ، ولهذا فقد كلموه من خارج قصره ، فلما اطمأن إلى صحة الخبر برز إليهم من الطاق . والخلاف بين المعز وابنه تميم معروف ، ويبدو أن سبب ذلك خطأ المعز في استقدام العرب والاستعانة بهم . وقد انقسم هؤلاء بعد استقرارهم في إفريقية قسمين : قسماً ناصر بن زيري الصنهاجيين (زغبة ورياح وسليم) وقسماً ناصر الزناتيين الذين نافسوا بن زيري على سيادة المغرب الأوسط (الأثبيج وعدى) ، وقد استسلم المعز بن باديس من أول الأمر للنكبة ولجأ إلى المهدية تاركاً العرب يفعلون ببقية بلاده ما يشاءون ، في حين أن ابنه تميماً ظل في الميدان يناضل قدر استطاعته ، ويبدو أن أباه تخوف منه ، وهذا ظاهر من إشارة لها معناها أوردها ابن عذاري في حوادث رجب ٤٣٣ (البيان المغرب : ٢٩٨/١) .

(٢) أوسع ما لدينا إلى الآن عن ابن شرف هو ما أورده ابن بسام في الذخيرة (قسم ٤ - مجلد ١) ص ١٣٣ وما بعدها ، وفيه كذلك الكثير عن معاصره ومنافسه ابن رشيق .

أصْحُ وَأَقْوَى مَا رَأَيْنَاهُ فِي النَّوَى مِنْ الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مِنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تُمْلِيهَا السَّيُولُ عَنْ الْحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ جُودِ الْأَمِيرِ تَمِيمِ
وَلَأَبِي الْحُسَيْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ فَضَالٍ الْمَعْرُوفِ بِالْحُلَوَانِي فِيهِ :
عَرَّسَانِي قَدْأَ مَنَاحَ كَرِيمٍ هَذِهِ بَجَّةٌ ^(١) وَهَذَا تَمِيمٌ
هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ وَهَذَا صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمِ
وَكَانَ تَمِيمٌ حَلِيمًا جَوَادًا مَمْدَحًا ، هَجَاهُ ابْنُ الْحَدَادِ الْأَقْطَعُ وَمَا قَالَ فِيهِ :
الرُّومُ أَحْسَنُ عُنْدِي إِذَا اخْتَبَرْتَ الْأُمُورَا
مَنْ أَنْ يَكُونَ تَمِيمٌ عَلَى الثَّغُورِ أَمِيرَا
فَطَلَبَهُ ، ثُمَّ اسْتَتَرَ ، ثُمَّ حَبَّرَ قَصِيدَةً يَسْتَعِظُفُهُ بِهَا ، وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَصَفَحَ عَنْهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو الصَّلْتِ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ فِي
تَارِيخِهِ ، قَالَ : وَكَانَ يَعْتَرِضُ الشُّعْرَاءَ وَيَنْتَقِدُ عَلَيْهِمُ الْفَاضِلُ ، فَلَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ إِلَّا
الْمَاهِرُ . أَنْشَدَهُ بَعْضُهُمْ فِي وَقْتِ هَرَجٍ :

تَثَبَّتْ لَا يَخَامِرُكَ اضْطِرَابُ إِلَيْكَ تَمْدُّ أَعْيُنِهَا الرِّقَابُ
فَقَالَ لَهُ : « أَرَأَيْتَنِي — وَيْحَكَ — طَرْتُ خَفَةً وَرَمَيْتُ بِنَفْسِي مِنْ هَذَا
الْعُلُوقْلَقَا وَاضْطِرَابَا ؟ » وَسَكَّتَهُ ، فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ قَصِيدَتِهِ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ .
وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى بْنُ تَمِيمٍ وَأَبُوهُ الْمَعزُ بْنُ بَادِيسٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يَحْيَى بْنُ تَمِيمٍ
شُعْرَاءَ ، وَسَيَّاتِي ذِكْرُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمِنْ شَعْرِ تَمِيمٍ :

[١-١٤٢] / بَكَرَ الْخَلِيلَ دَامِيَةَ الْفَحُورِ وَقَرَعَ الْهَامَ بِالْقَضْبِ الذَّكُورِ
لَأَقْتَحِمَنَّهَا حَرْبًا عَوَانَا يَشِيبُ لَهَا رَأْسُ الصَّغِيرِ

(١) لعل المراد بهذا مدينة « الجهم » من كبار مدن تونس .

فإما المَلِكُ في شرفٍ وعِزٍّ على التاجِ في أعلى السُريرِ
وإما الموتُ بين ظُجَيِّ العوالى فليستُ بخالدٍ أبدَ الدهورِ
وله :

سَأَسْكُتُ صَبْرًا واحتسابًا فَإِنِّي أرى الصبرَ سيفًا ليس فيه قُلُوبُ
عدائيَ أَن أَشْكُو إلى الناسِ أَنِّي عليلٌ ، ومن أَشْكُو إليه عليل
وإن امرأً يشْكُو إلى غيرِ نافعٍ ويستخو بما في نفسه لجهول
وله في غلام من مواليه اسمه « مُدام » ، وهو من مشهور شعره ويغنى به

مُدامٌ يطوف بكأسِ المُدامِ فلم أدر أَيُّهما أَشْرَبُ
فهذا الصديقُ وهذا الرحيقُ وهذا الهلالُ وذو الكوكبُ
وهذا يمدُّ^(١) بالحاظه لى وهذى بالبابنا تلعبُ
وما البدرُ والنجمُ من ذا وذاك ولكنه مثلُ يَضْرِبُ

وله :

قام يكأسٍ فقلتُ غصنٌ عليه آسٌ وجُلَنارُ
كأنما الفرعُ منه ليلٌ والوجه من تحته نهار
يا غصنَ بانٍ على كَثيبٍ لَبَدَهُ الغَيمُ والقِطارُ
هل من نوالٍ لُمستَهمِ جانبَه النومُ والقَرارُ ؟
ليس له في الشُّلُوِّ رأىٌ ما اختلف الليل والنهار

وله ، وهو مما يستحسن له :

لها نهدانٍ قد نجمَا كَنابتي فيلٍ شطرنج

وله :

إلى كم أقاسى الحب والشوق والوجدًا / وما أجملت «جمل» ولا أسعدت «سُعدى»^(١)
 / وجوه كأقمارٍ قمرن تجلدى / على كلِّ قدَرٍ قدَّ منى الحشا قدًا [١٤٢-ب]
 وكان ابتداء الحب هزلًا ولم أكن
 علمتُ بأن الهزل قد يبعث الجدا
 وله :

هم عرّضوني للصبابة والهوى / وهم قطعوا حبلى وهم صرفوا رُسلى
 جفوني جنت قتلَى على صَبَابَةٍ / ولم أرَ مقتولا بالخاطِئه قبلى
 وله :

ولما افترقنا وساروا ضحى / شققنا لوشكِ الفراقِ الجيوبًا
 ولو كان فينا وفاء لهم / شققنا مكانَ الجيوبِ القلوبًا
 وله :

أقبلتُ بدرَ تمامٍ / بعدما لاحت هلالًا
 غادةً ذاتُ محيّا / فيه نورٌ يتلّلا
 كتبُ الحسنِ عليه : / صنعةُ الله تعالى

وله :

لو كنتِ حليًا لكنتِ عقدًا / أو كنتِ طيبًا لكنتِ نَدًا
 أو كنتِ وقتًا لكنتِ صبحًا / أو كنتِ نجمًا لكنتِ سعدًا
 أو كنتِ غصنًا لكنتِ آسًا / أو كنتِ زهرًا لكنتِ وردًا
 وكم طلبتُ السؤلُو جهدى / فلم أجد من هواك بُدًا
 وله :

أقول لها وقد عرضتُ / فكانتِ منتهى أملى

لئن أصبحت لاهيةً فإني منك في شغلٍ
ولا شغلٍ سوى مَظلي وليّ الوعد بالعلل

وله يصف بركة ماء :

بركةٌ بالماء تطرّد للصّبا في مَتنّها زردٌ
/ بات في أحشائها قرٌّ مثل قلب الصب يرتعدُ

[١-١٤٢]

١١٦ - إدريس بن يحيى العلوي الحمودي ، أبو رافع

/ ويلقب بالعالى

[٦٢ - ب]

هو إدريس بن يحيى بن على بن حمّود بن أبي العيش ميمون بن أحمد بن
على بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن
حسن بن على بن أبي طالب^(١).

أخرج من [قرطبة مع أبيه يحيى بعد خلافته الأولى عندما خلعه البربر
سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، واستقر في مالقة حتى]^(٢) ببيع له بالخلافة بمالقة

(١) نسب بنى حمود وارد هنا بأوفى مما هو عند ابن حيان . انظر الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ،

ص ٧٨ .

(٢) بياض بالأصل ، فأضفت هذه العبارة ليستقيم السياق . وإدريس بن يحيى بن حمود
هو الخامس من تولوا الخلافة في قرطبة من أفراد هذا البيت في سنوات الاضطراب البالغ أيام فترة
الطوائف الأولى التي تمتد من موقعة قنتيش التي أشرنا إليها في ربيع الأول سنة ٤٠٠ / نوفمبر ١٠٠٩
إلى إخراج هشام المعتد آخر خلفاء بنى أمية في الأندلس من قرطبة وإلغاء الخلافة من هذا البلد في
ذى الحجة ٤٢٢ / نوفمبر ١٠٣١ .

وكان سليمان المستعين قد أقام القاسم بن حمود وأخاه علياً حاكمين على منطقة العدوة ، وكانا
من زعماء الطائفة البربرية التي اعتمد عليها سليمان المستعين هذا ، وقد حسب سليمان أن ذلك =

بعد أبيه يحيى المعتلى ، وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالعالى . ثم خلفه ابن عمه محمد بن إدريس بن على بن حمود واعتقله . ثم عاد ثانية إلى مالقة . وفى ولايته يقول أبو محمد غانم بن وليد الخزومى الأديب^(١) ، من أبيات :

واستقبل الملك إمام الهدى فى أربع بعد ثلاثينا
خلافة الله سمت نحوه وهو ابن خمس بعد عشرينا
إنى لأرجو يا إمام الهدى أن تملك الدنيا ثمانينا
لا رحم الله امرأ لم يقل عند دعائى لك : آمينا !

وفيه يقول أبو زيد عبد الرحمن بن مرقان^(٢) الأشبونى ، من قصيدته المشهورة التى يتداولها القوالون لعذوبة ألفاظها وسلاستها :

يزيد مركزه قوة ، ولكنه أخطأ فى حسابه إذ أن الأخوين تقاسما السيطرة على جهتي العدو ، فاستقر على فى سبتة والقاسم فى الجزيرة الخضراء ، وتبيننا من أول الأمر أن أمر سليمان معتمد على تأييدهما اعتماداً تاماً ، وبدأا يمهدان لانتزاع الخلافة من يده ، فزعم على أن هشاما المؤيد أوصى له بالخلافة وأعلن استقلاله فى سبتة عن سليمان المستعين ، وتواطأ مع زاوى بن زيرى زعيم الصنهاجيين فى الأندلس - وكان مستقراً فى غرناطة - ومع خيران الفقى العامرى على خلع سليمان . ثم دخل قرطبة فى ٢٢ المحرم ٤٠٧/أول يوليو ١٠١٦ وعزل سليمان المستعين وقتله وأخاه عبد الرحمن وأباه الحكم وتولى الخلافة متلقباً بلقب الناصر لدين الله ، وبدأت بذلك قصة خلافة بنى حمود التى وصلت بالخلافة القرطبية إلى قمة الأزمة التى أدت إلى زوالها .

(١) غانم بن محمد بن عبد الرحمن الخزومى من أهل مالقة ، ذكره ابن سعيد فى « المغرب » باسم غانم بن الوليد بن عمر بن غانم الأشونى (نسبة إلى أشونة Osuna) الساكن بمالقة « فقيه ومدرس وأستاذ فى الآداب وفنونها ، مجود مع فضل وحسن طريقة » كما يقول ابن بشكوال ، وقد توفى سنة ٤٧٠ .

ابن بشكوال ، الصلة ، رقم ٩٧٩ ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

ابن سعيد ، المغرب ، ٣٧٠/١ .

ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ - مجلد ٢ ص ٣٤٥ وما بعدها . والأبيات التى أوردها ابن الأبار هنا واردة فى الذخيرة ، ص ٣٥٤ مع خلاف قليل فى اللفظ .

(٢) انظر عنه : المغرب لابن سعيد ، ٤١٣/١ .

وَكُنْتُ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ وَانْتَشَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاظِرِينَ
 وَجْهُ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بِنِ حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 خَطًّا بِالمَسْكِ عَلَى أَبْوَابِهِ : ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
 مَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكُنْهُ خَاشِعٌ لِّلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِي جَبْرَائِيلُ
 وَإِذَا أَشْكَلَ خُطْبُ مُعْضَلٍ صَرَخَ الشُّكُّ بِمِفْتَاحِ الْيَقِينِ
 وَإِذَا رَاهَنَ فِي السَّبْقِ أَتَى وَبِإِمْنَانٍ لَّوَاهِ السَّابِقِينَ
 يَا بَنَى أَحْمَدَ يَا خَيْرَ الْوَرَى بِأَبْيَكُمُ كَانَ رِفْدُ الْمُسْلِمِينَ
 نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ فَاحْتَبَى فِي الدَّجَى فَوْقَهُمُ الرُّوحُ الْأَمِينُ
 [٦٣-١] / خَلَقُوا مِنْ مَاءٍ عَدْلٍ وَتَقَى وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ
 وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

أَلْبَزَقِ لِأَمْحٍ مِنْ أُنْدَرِينَ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالدَّمْعِ الْمَعِينِ^(١)
 لَعَبْتُ أَسْـيَافَهُ عَارِيَةً كَمَخَارِيقَ بِأَيْدِي اللَّاعِبِينَ
 وَمِنْهَا :

وَمَصَابِيحُ الدُّجَى قَدْ أَطْفَأَتْ فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُودُ
 وَكَأَنَّ الطَّلَّ مِسْكٌ فِي الثَّرَى وَكَأَنَّ النُّورَ دُرٌّ فِي الْغُصُونِ
 وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرَجِسِهِ كَدَمُوعِ أَسْمَتِهِنَّ الْجَفُونِ
 وَالثَّرِيَا عُلِّقَتْ فِي أَفْقِهَا كَقَضِيبِ زَاهِرٍ مِنْ يَاسْمِينِ

(١) وردت أبيات من هذه القصيدة في معظم مراجعنا . وقد أسقط ابن الأبار بعد هذا البيت بيتاً لا يستقيم السياق بدونه :

ولصوت الرعد زجره وحنين ولقلبي زفرات وأنين

وهذا من أحسن ما قيل فى تشبيهه الثريا .

وكان إدريس هذا متناقض الأمور : كان أرحم الناس قلباً ، كثير الصدقة يتصدق كل يوم جمعة بخمسمائة دينار ، وردّ المطرودين إلى أوطانهم وصرف إليهم ضياعهم وأملأهم ، ولم يسمع بغيّاً فى أحد من الرعية . وكان أديب اللقاء حسن المجلس ، يقول من الشعر الأبيات الحسان . ومع هذا فكان لا يصحب ولا يقرب إلا كل ساقط نذل ، ولا يحجب حرمة عنهم ، وكل من طلب منهم حصناً أعطاه إياه . وسلم وزيره ومدبر إمامته وصاحب أبيه وجده موسى بن عفان إلى أمير صنهاجة فقتله ، وكان الصنهاجى سأل ذلك منه وكتب إليه فيه ، فلما أخبر إدريس موسى بن عفان بذلك وبأنه لا بد من تسليمه إليه قال له : « افعَل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » . وهو القائل بديهاً ، وقد غنى ما لم ير ضه فى مدحه فقال للمغنى : « أعد الصوت وقل :

إذا ضاقت بك الدنيا فعرج نحو إدريسا
إذا يلاقيته تلقى رئيساً ليس مرعوسا
إمامٌ ماجدٌ ملكٌ يزيل الغم والبوسا »

هؤلاء خاتمة الأدباء من الملوك العلوية والمروانية ، لذهاب سلطانهم وانقراض ملكهم بالأندلس والمغرب فى هذه المائة الخامسة ، واستيلاء الثوار على الأقطار .

وفىها أيضاً كان انقراض الدولة العبيدية بإفريقية على يدى المعز / بن باديس [٦٣ - ٦٤]

الصنهاجى .

وافترقت الجماعة بالأندلس على رأسها إلى وقتنا هذا ، وتسلب العدو أثناء ذلك فتحيفها ، ثم والى مغاره وخساره حتى أتلغها . ونظما فى هذه الفترة ملك المغرب أحياناً ، وانفردت بالثأرين فيها أحياناً . وفى كل ذلك لم تقم

لها قائمة ، ولا أغنت عنها واردة ولا حائمة ، وما برحت تُخلُّ بها وتُؤذن بعطائها
فاتحة من فتنها وخاتمة .

ونعود إلى ذكر أمراء الفتنة :

١١٧ - جَهْوَر بن محمد بن جهور بن عبيد الله ،

أبو الحزم - رئيس قرطبة

قد تقدم ذكرُ جدِّه أبي الحزم جهور بن عبيد الله والرفعُ في نسبه ،
وكان جدهم أبوامية عبد الغافر بن أبي عبدة من وزراء عبد الرحمن بن معاوية .
وسماه عيسى بن أحمد الرازي في حُجَاب هشام الرضى بن عبد الرحمن بن معاوية ،
قال : وكان من أهل الخير والدين والفضل ، وهو صاحب الخاتم للإمام هشام
ولابنه الحكم - يعنى الرَّبْضَى . وسَمَّى أيضاً في حُجَاب الحكم هذا عبد العزيز
أبا عبدة أخا عبد الغافر .

وما زال هؤلاء الجَهاوِرَ يتعاقبون على الخُطط السنية الشريفة ، من الحِجَابة
والوزارة والقيادة والكتابة ، إلى أن وقعت الفتنة العظمى بالأندلس ، وأولُ من
أَرَثَ نَارَهَا ، وأورث شئارها ، محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى . فتناوب
قصر قرطبة جماعة من الأموية والعلوية في المدة القريبة ، آخرهم هشام بن محمد .
ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر المَعْتَدُ ، لم يكن عندهم غناء ، ولا فُقد
بتوليتهم التواء ولا عناء . وحينئذ استولى على الأمر بقرطبة ، دار الخلافة
وقرارة المُلْك ، أبو الحزم هذا الأخير زماناً الأول سلطاناً ، وإن كان ما فارق
رسم الوزارة ولا تحول عن داره إلى قصور الخلفاء ، لاتصافه بالرجاحة والدهاء .

قال ابن حيّان - وذكر اجتماع الملائكة من أهل قرطبة على تقديمه : أعطوا منه قوس السياسة باريها ، وولوا من الجماعة داهيتها^(١) . فاخترع لهم لأول وقته نوعاً من التدبير حملهم عليه ، فاقترن صلاحهم به . وأجاد السياسة^(٢) ، فانسدل به الستر على أهل قرطبة مدته . وحصل كل ما يرتفع من البلد بعد إعطاء مقاتلته ، وصير ذلك في أيدي ثقات من الخدمة ، [مُشارفاً لهم بضبطه ، فإن فضل شيء تركه بأيديهم مشفقاً مشهوداً عليه ، لا يتلبس لهم بشيء منه]^(٣) ، ومتى سئل قال : « ليس لي عطاء / ولا منع ، هو للجماعة وأنا أمينهم » . وإذا [١-٦٤] رابه أمر عظيم ، أو عزم على تدبير ، أحضرهم وشاورهم . وإذا خوطب بكتاب ، لا ينظر فيه إلا أن يكون باسم الوزراء . فأعطى السلطان حقه من النظر ، ولم يخل مع ذلك من نظره^(٤) لمعيشته ، حتى تضاعف ثراؤه ، وصار لا تقع عينه على أغنى منه . حاط ذلك كله بالبخل الشديد ، والمنع الخالص ، اللذين لولاها ما وجد عائبه فيه طعناً ، ولكمّل لو أن بشراً يكمل .

قال : وكان - مع براعته ورفعة قدره وتشديد [ه لقديمه]^(٥) محدثه - من أشد الناس تواضعاً وعفة ، وأشبههم ظاهراً بباطن ، وأولا بآخر ، لم تختلف به حال ، من الفتاء إلى الكهولة .

واستمر في تدبيره قرطبة ، فأنجح سعيه بصلاحها ولم شعثها في المدة

(١) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حيّان ، وقد نقل نفس العبارة ابن عذارى في البيان المغرب (٣٠ ص ١٨٦) ، وقد ورد فيه هنا : أمينها .

(٢) عند ابن عذارى : وأجادوا السياسة فيه .

(٣) أسقط ابن الأبار هذه العبارة من كلام ابن حيّان رغم أهميتها الكبيرة في تفصيل النظام الذي سار عليه أبو الحزم بن جهور في سياسة أمور قرطبة ، ولهذا جعلتها بين أقواس . أما رواية ابن بسام (قسم ١ مجلد ٢) فتضيف هنا : متشهوداً عليه [إلى أن يعن وقت تصرفه] .

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل ، وقد قرأها دوزي (ص ١٦٩) : ربحه . والعبارة التي أثبتتها واردة في البيان المغرب . وفي رواية الذخيرة : ترقيه .

(٥) بياض في الأصل ، والتكملة من الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ١١٦ .

القريبة ، وأثمر الثمرة الزكية ، ودب ديبب الشفاء في السقام ، فنعش منها الرفات ، وألحفها رداء الأمن ، ومانع عنها من كان يطلبها من أمراء البرابرة المتوزعين أسلابها ، بخفض الجناح ومعاملة الرفق^(١) ، حتى حصل على سلمهم واستدرار مرافق بلادهم . ودارى القاسطين من ملوك الفتنة ، حتى حفظوا حضرته ، وأوجبوا لها حرمة ، بمكابدته الشدائد حتى ألانها بضروب احتياله ، فرخت الأسعار وصاح الرخاء بالناس أن : هلموا^(٢) ! فلبّوه من كل صقع ، فظهر تزيّد الناس بقرطبة من أول تدبيره لها . وغلت الدور ، وحرّكوا^(٣) الأسواق ، وتمعجب ذوو التحصيل للذي أرى^(٤) الله في صلاح الناس من القوة — ولما تعتدل حال أويهلك عدواً وتقوّ جباية — وأمر الله تعالى بين الكاف والفون .

وقال الحميدى : لم يدخل في أمور الفتن قبل ذلك ، وكان يتصاون عنها . فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة ، وثب عليها — يعنى قرطبة — فتولى أمرها واستضلع بحمايتها . ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة ظاهراً ، بل دبرها تدبيراً لم يسبق إليه ، وجعل نفسه ممسكاً للموضع إلى أن يبيء مستحق يتفق عليه فيسلم إليه . ورتّب البوابين والحشم على أبواب تلك القصور ، على ما كانت عليه أيام الدولة ، ولم يتحول من داره إليها . وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال ربّهم لذلك ، وهو المشرف عليه . وصيّر أهل الأسواق جنداً ، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاة عليهم ، يأخذون ربحها فقط ورؤوس الأموال باقية محفوظة ، يؤخذون بها ويراعون في الوقت بعد الوقت

(١) عند ابن عذارى : والرفق في المسائل .

(٢) في البيان المغرب (١٨٧/٣) : أن يعلموا ، وهو خطأ .

(٣) في البيان المغرب : فتحرّكت الأسواق .

(٤) في البيان المغرب : أراى ، وهو خطأ .

كيف حفظهم لها . / وفرّق السلاح عليهم ، وأمرهم بتفريقه في الدكاكين [٢٤ - ب]
وفي البيوت ، حتى إذا دهم أمرٌ في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه . وكان
يشهد الجنائز ويعود المرضى ، جاريًا في طريقة الصالحين . وهو - مع ذلك -
يدبر الأمر بتدبير السلاطين المتغلبين ^(١) ، وكان [مأمونًا] ^(٢) وقرطبة في أيامه
حريمًا يأمن فيه كل خائفٍ من غيره ، إلى أن مات في صفر - وقال ابن حَيَّان :
ليلة الجمعة السادسة من محرم ، ثم اتفقا - سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

ومن شعره ، وكتب به إلى المنصور محمد بن أبي عامر :

متع الله سيدي بالسرور وتولاه في جميع الأمور
وهنيئًا له بمـزة دهرٍ تتوالى بظلّ تلك القصور
دعوةً أقبل الضميرُ بنجوا هـ عليها لصفو ما في الضمير ^(٣)

هكذا وجدت هذه الأبيات منسوبةً إلى جهور بن محمد في كتاب « مطمح
الأنفس » للفتح بن عبيد الله ، وقد بينتُ غلطه فيما نسب إليه مما ثبت أنه لجدّه
جهور بن عبيد الله وغيره . ولا يبعد أن يهني المنصور في آخر دولته ، لأنه
حينئذ - بل عام وفاته - كان يشارف الثلاثين في سنّه . ولعل هذه الأبيات
- على ضعفها - لأبيه أبي الوليد محمد بن جهور بن عبيد الله الوزير ، فإنه كان
خاصًا بالمنصور ، وهو الذي أطلعه على أمر جعفر بن على الأندلسي صاحب
المسيّلة واختلاف البربر إليه بقصر العقاب ، واستأذن على المنصور في وقت
لم يكن يصل فيه إليه أحد ، فكسر رائحة النبذ عنه ، ووارى الحرم ، وأصغى
إليه ، وقبل نصيحته ، فقتل جعفر على أثر ذلك .

(١) وردت الكلمة في الأصل : الم ن ، وقد أكلتها من كلام الحميدى ، وعنه ينقل

ابن الأبار هنا . جذوة المقتبس ، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ١٣٧١) : ص ٢٨ .

(٢) بياض بالأصل ، والتكلمة من جذوة المقتبس للحميدى .

(٣) لم أجد هذه الأبيات في نسخة مطمح الأنفس المطبوعة .

وتوفي أبو الوليد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . ذكر ذلك ابن حيان في تاريخه الكبير ، وصدر به المتوفين في الدولة العامية من الوزراء والخواص . ولم يُنشد الحميدى لأبي الحزم الأخير شعراً ، وأنشد لأبيه أبي الوليد هذا :

أبلغت في حبك اسماعى فصرتُ لا أصغى إلى الداعى
من صممٍ أورثنيه الأسى وحرقة [تُشعِل] ^(١) أوجاعى
كلفتنى الصبرَ وأنّى به وكيف بالصبر لمرتاع ؟
جزعتُ في الحب على أننى [في الخطب] ^(٢) جلد غير مجزاع
وسياتى ذكر أبي الوليد محمد بن جمهور بن محمد — الذى خلف أباه في رئاسة [١-٦٥] قرطبة وتدير أمرها ، إلى أن قبض / عليه المعتمد محمد بن عباد — بعد هذا ، إن شاء الله تعالى .

١١٨ — محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي القاضي ، أبو القاسم

قال أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم في كتابه الموسوم بـ « الهادى إلى معرفة النسب العبادى » : هو أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قریش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم . وعطاف — وضبطه بكسر العين وتخفيف الطاء المهملتين — عن غير أبي رافع ، هو الداخل منهم بالأندلس في طاعة بلج بن بشر القشيري ، وقيل إن عطافاً ونعيماً هما الداخلان معاً إلى الأندلس . وكان عطافاً من أهل حصن من صقع الشام ، لخمي النسب صريحاً ، وموضعه من حصن

(١ و ٢) التكلة من جذوة المقتبس للحميدى .

العريش ، والعريش في آخر الجفار بين مصر والشام . ونزل بالأندلس بقرية
يُومين من إقليم طُشانة^(١) من أرض إشبيلية ، وعلى خفة نهرها الأعظم . وقال غير
أبي رافع إنهم من ولد النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، وبذلك كانوا يفخرون
ويُمدحون ؛ وهذا ابن اللبابة يقول :

من بني المنذر بن وهو انتساب^(٢) زاد في فخره بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الأولاد
وقال ابن حبان : إسماعيل بن عباد قاضيهم القديم الولاية^(٣) ، ورجل

(١) في الأصل : لمشانة ، والتصويب من الذخيرة لابن بسام ، مخطوطة أوكسفورد ،
ورقة ٢ ظهر .

وطشانة هي Tocina في مديرية إشبيلية حالياً .

أما « يومين » فقد حقق اسمها دوزي في تعليقاته على الترجمة اللاتينية لهذه القطعة في
Script. Ar. Loci de Abbad. I, 227. وقال إنه وجد في كتاب :

**Repartimiento de la muy noble y leal ciudad de Sevilla que hizo el Rey
Alonso el dezimo, Rey de Castilla y Leon que por excelencia fue llamado
el Sablo, era de 1291, que es Ano del Senor 1253 (Mus. Brittan. Ms. Egerton
478, fol. 2v.)**

عبارة تقول في القرية التي كان العرب يسمونها Torconina غير الملك ألفونسو اسمها إلى مولينا
Molina . ورجح في ظن دوزي أن الاسم مصحف في هذا المخطوط ، وأن صحته Toriomina
وهو بالعربية طور يُومين أي جبل يومين .

(٢) في الأصل :

من بني المنذر بن ماء السماء وهو انتساب زاد في فخره بنو عباد
وهو واضح الانكسار ، وقد صوبه دوزي على هذا النحو ، وهو صحيح .

Abbadides II, 47 n.c.

(٣) عند ابن بسام : قديم الولاية ، وقد نشر دوزي نص الذخيرة لابن بسام في الجزء
الأول من مجموعه عن أقوال المؤرخين في بني عباد وعنوانه :

Historia Abbadidorum (Lugduni Batavorum. Leiden, 1846) pp. 220 sqq.

وعنوان الجزء الثاني من هذا الكتاب يختلف عن ذلك ، وقد سبق أن ذكرناه . ونشير إليه فيما يلي
من التعليقات بعبارة : دوزي ، بنو عباد .

الغرب^(١) قاطبة المتصل الرئاسة في الجماعة والفتنة . وكان أيسرَ مَنْ بالأندلس وقتَه^(٢) : ينفق من ماله وغلاته ، لم يجمع درهماً قط من مال السلطان ، ولا خدمَه^(٣) . وكان واسع اليد بالمشاركة^(٤) . آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة . وكان معلوماً بوفور العقل وسُبوغ العلم والزكّانة ، مع الدهاء وبعد النظر وإصابة القرطاسة^(٥) .

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم ابنه فأدرك متمهلاً ، وسما بعدُ إلى بلوغ الغاية ، فخلط ما شاء ، وركب الجرائم الصعبة . وكان القاسم بن حمود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه إسماعيل ، ورد عليه ميراثه من قضاء بلده بعدُ بعده عنه مدة ، وحصل منه بمنزلة الثقة ، فخانه تخوّن الأيام عند إدبارها عنه ، إثارةً للحزم وطلباً للعافية ، وصَدَّه عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مقلولاً .

وكان الذي وطّد له ذلك نفرٌ من أكابرها المرسمين بالوزارة ، منافخين في ذلك لوزراء / قرطبة على تحميلهم لابن عباد كِبَرَ ذلك ، لإنافته عليهم في الحال [٦٥ - ب]

(١) الأصل : المغرب ، والتصويب من ذخيرة ابن بسام ، مخطوط أوكسفورد ، ورقة ٢ ظهر . والمراد غرب الأندلس . ومن المعروف أن ابن بسام - في مضاهاته لتقسيم يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي إلى أقطار يذكر في كل منها ما يختاره لشعرائها - قسم الأندلس إلى ثلاثة أقسام : الشرق والغرب والموسطة .

(٢) نص ابن حيان برواية ابن بسام (الذخيرة ، ورقة ٢ ظهر) : « وكان أيسرُ مَكْوَرٍ بالأندلس وقتَه » . ومكور أى معمم ، كناية عن أنه كان من أهل الفقه والعلم والقضاء . انظر ملحق القواميس لدوزى : ٤٩٧/٢ .

(٣) غريب أن يقول ابن حيان أن إسماعيل بن عباد لم يخدم السلطان ، وهو يقول قبل ذلك أنه كان قاضياً ، بل قديم الولاية في القضاء . ولعله أراد أن إسماعيل بن عباد لم يتول شيئاً من الوظائف الإدارية أو السياسية .

(٤) المشاركة هنا تعنى المزارعة ، أى تقديم أراضيها للفلاحين يزرعونها بالمشاركة ، له حصة من المحصول ولهم حصة ، وتسمى أيضاً المقاسمة والمناصفة .

(٥) القرطاسة هى الهدف الذى كان يوضع ليتدرب على إصابته الرماة .

انظر : ملحق القواميس لدوزى : ٣٣٠/٢ .

وسعة النعمة ، وإحصائهم عليه ملكٌ ثلث إشبيلية ضيعة وغلة ، يخادعونهُ بذلك عن تشبه إبقاء منهم على نعمهم ، وهو يشتري بذلك أنفسهم ولا يشعرون ، إلى أن وقعوا في الهوة . وكانوا جماعة ، منهم ولد^(١) أبي بكر الزبيدي النحوي وبنو يريم^(٢) وغيرهم ، راض بهم الأمور ، واستمال العامة ؛ فلما توطأت له قبض أيدي أصحابه هؤلاء^(٣) ، وسما بنفسه وأسقط جماعتهم .

قال : وسلك سيرة أصحاب الممالك الذين بالأندلس لأول وقته ، وقام بأصح عزم وأيقظ جدٍ ، واخترع في الرئاسة وجوهاً تقدم فيها كثيراً منهم ، [وامتلئ رسام^(٤) ابن يعيش^(٥) صاحب طليطلة من بينهم في تمسكه بخطة القضاء وارتسامه

(١) رواية الذخيرة : بنو أبي بكر الزبيدي .

(٢) في الذخيرة : بنو يريم صنائع ابن عباد . وقد ترجم دوزي هذه العبارة بقوله : filii Jarīmi ministri Ibn Abbadī أى أبناء يريم وزراء ابن عباد ، والنص لا يحتمل ذلك . وورد ذكره في البيان المغرب لابن عذارى : ابن يريم .

(٣) نص ابن حيان عند ابن بسام يقول هنا : « وجرت له في تدبيرهم أمور يشق إحصاؤها ركب فيها [أحزم] طرق طلاب الدول ، حتى انفرد بسابقتها ، ومهد لدولته ، واجتمع أهل عمله على طاعته ، فدانوا له » . والتكملة بين المعقوفتين من البيان المغرب لابن عذارى : ١٩٦/٣ .

(٤) بياض بالأصل ، والتكملة من الذخيرة ، ورقة ١٣ .

(٥) لم أجد ذكراً لابن يعيش فيما ذكر ابن حيان من أخبار بني ذى النون وأولية أمورهم (الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ ، ص ١٠٩ وما بعدها) ولكنني وجدت بعض التفصيل في :

ANTONIO PRIETO Y VIVES, *Los Reyes de Taifas. Estudio histórico-numismático de los Musulmanes Espanoles en el siglo V. de la Hégira* (Xlo de J.C.), Madrid, 1928, p. 51—52.

وملخصه أن طليطلة استولى على الأمور فيها عند قيام الفتنة جماعة من رؤسائها منهم ابن مسرة ومحمد ابن يعيش وسعيد بن شنظير ويعيش بن محمد بن يعيش المذكور وأبو عمرو أحمد بن سعيد بن شنظير وعبد الرحمن بن متيويه ، وقد اجتهد يعيش بن محمد بن يعيش حتى أصبح الرئيس الفعلي للجماعة (كما فعل إسماعيل بن القاسم بن عباد) ولكنه لم يستطع الاستمرار في الحكم إذ اختلف عليه الناس وأخرجوه ، واحتاجوا إلى من يقوم بأمرهم بعد ذلك فخطبوا إسماعيل بن ذى النون - وكان مستقراً في شنتبرية Santáver إلى شمال شرق طليطلة ، وكان زعيماً من زعماء البربر في كورة طليطلة ، وكان سليمان المستعين قد ولاه مدينة أقبليش^{هه} ، ثم أضاف إليها كوناكة ، فأقبل بجنده ودخل البلد واستبد بأمره وأعلن انفصاله عن قرطبة والجماعة ، فكان أول من فعل ذلك بمن سموا بعد ذلك =

بها ، وأفعاله على ذلك أفعال الجبابة . وأقبل يضم الأحرار من كل صنف ،
ويشتري العبيد والجد يساعده والأمور تنقاد له ، إلى أن ساوى ملوك الطوائف ،
وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانه وكثرة غلمانه ، فنفع الله به كافة رعيته ، ونجاهم
من مُلك البرابرة^(١) . وتوفي ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين
وأربعمائة . وهو القائل يفخر :

ولا بد يوماً أن أسود على الورى ولو رد عمرو للزمان وعاصرُ
فما المجد إلا في ضلوعى كامنُ ولا الجودُ إلا من يميني ثائرُ
فجيش العلا ما بين جنبي جائلُ وبحر الندى ما بين كفي زاهرُ
وله :

محبٌ ما يساعده الحبيبُ رأى وجهَ الإنابة لو يُنبِ
ويبكي للصبأ إذ زال عنه فيضحك في مفارقة المشيبِ
وكم أحييت حشاشته أمانٍ يباعدُ بينها الأجلُ القريبُ
وله في الياسمين :

وياسمين حسن المنظرِ يفوق في المرأى وفي الخبرِ
كأنه من فوق أغصانه دراهم في مطرفٍ أخضرِ

= ملوك الطوائف . وقد ترجم ابن بشكوال لأبي بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي ، وقال
إنه من أهل طليطلة ، ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم ، « وكان حافظاً للفقهِ ذاكراً للمسائل ،
وتولى الأحكام ببلده ، ثم صار إليه تدبير الرياسة به ، ونفع الله به أهل موضعه ، ثم خلع
من ذلك موصل إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة ٤١٨ هـ ، كذا قال ابن مطاهر ، وقال ابن حيان :
توفي في صفر سنة ١٩ » ترجمة رقم ١٤٠٥ ص ٦٢٨ .

(١) وقف ابن الأبار هنا بكلام ابن حيان ، وبقيته في الذخيرة ، بنوعباد : ٢٢١/١

وما بعدها .

وله فيه :

يا حبذا الياسمينُ إذ يزهرُ فوق غصونٍ رطبيةٍ نُضِرُ
/ قد امتلأ للجمال ذروتها فوق بساط من سندس أخضرُ [١-٦٦]
كأنه والعيونُ ترمقه زمرد في خِلاله جوهَرُ
وله في الظيان^(١) :

ترى ناظر الظَّيَّان في لون إذا مرَّ ماء السحاب يغتذى
وحفَّت به أوراقه في رياضه وقد قدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقد حذى
كصُفْرِ من الياقوت يلمع بالضحى منضدة من فوق قُضْبِ الزمردِ
وله فيه :

كأن لونَ الظَّيَّان حيث بدا نواره أصفرأ على ورقه
لونُ محبٍّ جفاء ذو ملل فاصفرَّ من سُقمه ومن أرقه
وله في النيلوفر :

يا حُسنَ منظرٍ ذا النيلوفر الأرج وحُسنَ تخبره في القوح والأرج
كأنه جامٌ دُرٍّ في تأقير قد أحكموا وُسْطَه فُصًّا من السَّبجِ

١١٩ - ابنه عباد بن محمد المعتضد بالله ، أبو عمرو

قال ابن بسام في كتابه الموسوم بـ « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » :
تسمّى أولاً بفخر الدولة ، ثم بالمعتضد . قطب رعى الفتنة ، ومنتهى غاية الحنة ،

(١) في الهامش إلى يسار السطر : الظيان الياسمين البري ، وهو نبت يشبه النسرين .

مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ قَائِمٌ وَلَا حَصِيدٌ ، وَلَا سَلِمَ عَلَيْهِ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ . جِبَارٌ
أَبْرَمَ الْأَمْرَ وَهُوَ مُتَنَاقِضٌ ، وَأَسَدٌ فَرَسَ الطَّلَى وَهُوَ رَابِضٌ . مَتَهَوْرٌ تَقْحَامَاهُ الدَّهَاهُ ،
وَجِبَارٌ لَا تَأْمَنُهُ السَّكَاةُ . مُتَعَسِفٌ اهْتَدَى ، وَمُنْتَبِتٌ قَطَعَ فَمَا أَبْقَى . ثَارٌ وَالنَّاسُ
حَرْبٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَلْبٌ ، فَكُنِيَ أَقْرَانَهُ وَهُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَضَبَطَ شَانَهُ بَيْنَ
قَائِمٍ وَقَاعِدٍ ، حَتَّى طَالَتْ يَدُهُ ، وَاتَّسَعَ بَلَدُهُ ، وَكَثُرَ عَدِيدُهُ وَعَدَدُهُ . افْتَتَحَ أَمْرَهُ
بِقَتْلِ وَزِيرِ أَبِيهِ حَبِيبِ طَعْنَةٍ فِي ثَغْرِ الْأَيَّامِ مَلَكٌ بِهَا كَفَّهُ ، وَجِبَاراً مِنْ جِبَابِرَةِ
الْأَنَامِ شَرَّدَ بِهَا مَنْ خَلَفَهُ ، فَاسْتَمَرَ يَفْرَى وَيَخْلُقُ^(١) ، وَأَخَذَ يَجْمَعُ وَيَفْرُقُ .
لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةِ مِيدَانٍ ، وَعَلَى كُلِّ رَابِيَةِ خَوَّانٍ^(٢) . حَرْبُهُ سَمٌ لَا يَبْطُلُ ، وَسَهْمٌ
لَا يَخْطِئُ ، وَسُلْمُهُ شَرٌّ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، وَمَتَاعٌ إِلَى أَدْنَى حِينٍ .

[٩٦ - سب] وذكره ابن حبان فقال ، وقد نهي إليهم بقرطبة : / وَعَشَى يَوْمَ الْأَحَدِ
لَسْتُ خَلْتُ لِمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةً إِحْدَى وَسَتِينَ — يَعْنِي وَأَرْبَعُمِائَةٍ — طَرَقَ
قَرْطَبَةَ نَعِيُّ الْمُعْتَضِدِ عِبَادٍ ، زَعِيمٍ جَمَاعَةِ أُمَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ فِي وَقْتِهِ ، أَسَدِ الْمُلُوكِ ،
وَشَهَابِ الْفِتْنَةِ ، وَرَاحِضِ الْعَارِ ، وَمَدْرِكِ الْأَوْتَارِ ، وَذُو الْأَنْبَاءِ الْبَدِيعَةِ ، وَالْجُرَّائِرِ
الشَّنِيعَةِ ، وَالْوَقَائِعِ الْمُبِيرَةِ ، وَالْهَمِّ الْعَلِيَّةِ ، وَالسُّطُورَةِ الْأُبْيَةِ . فَرَمَاهُ اللَّهُ بِسَهْمٍ مِنْ
مَرَامِيهِ الْمَصْمُومَةِ ، أَمَدٌ^(٣) مَا كَانَ فِي اعْتِلَالِهِ ، وَأَرْقَى مَا كَانَ إِلَى سَمَائِهِ ، وَأَطْمَعَ
مَا كَانَ فِي الْإِحْتَوَاءِ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، مُحْتَفِزاً^(٤) لَهَا عِنْدَ تَشْمِيرِهِ الذَّيْلَ بِفِتْنَةٍ لَا كِفَاءَ

(١) ضبطها دوزي : يخلق ، والصواب ما أثبتناه . ويخلق الأديم يُقَدَّرُ لما يريد قبل
القطع ويقيسه ليقطع منه قربة أو مُخَفّاً وما أشبه ، ويفرى ويخلق مصطلح معروف معناه إنفاذ
الإنسان لما عزم عليه . اللسان : ٣٧٥/١١ .

(٢) ضبطها دوزي : مُخَوَّانٌ ، وترجمها *et in quovis colle latronis* ، ومعنى
latronis لص أو قاتل ، وفسرها دوزي بمعنى خائن وقال إن جمعها مُخَوَّانٌ ، وقد أخذها
من قولهم : قطعتُ الطريق ومُخِنتُ السبيل . والصواب مُخَوَّانٌ ، وهو من أساء الأسد .
(٣) قرأها دوزي (بنوعباد ، ٢٤٢/١) : أَسَجَدٌ .

(٤) في الأصل ، وفي مخطوط الذخيرة (ورقة ه وجه) : مُحْتَفِرٌ ، وهكذا قرأها
وأثبتها دوزي (بنوعباد ، ٢٤٢/١) وليثي پروفنسال (البيان المغرب ، ٢٠٤/٣) . والصواب
ما أثبتناه ، واحتفز الرجل في جلوسه أراد القيام والبطش . اللسان : ٢٠٣/٧ .

لها . فتوفاه الله على فراشه من علة ذُبْحَةٍ قصيرة الأمد ، وحيّة الإجهاز ، اتفقت الحكايات على أنها كانت شبه البَغْت . وكانت ولايته بعد موت أبيه يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، وقضى نحبه يوم السبت الثانى من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين ، ودُفِنَ عَشَىَّ يوم الأحد بعده . تعتمد الله خطاياهم ، فلقد حُمِلَ عنه على مر الأيام — فى باب فرط القسوة ، وتجاوز الحدود ، والإبلاغ فى المثلة ، والأخذ بالظنّة ، والإخفار للذمة — حكايات شنيعة ، لم يبد فى أكثرها للمالم بصدقها دليل يقوم عليها ، فالقول ينشاع^(١) فى ذكرها . ومهما برئ من مغبتها ، فلم يبرأ من فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة : سجايا من جِبِلَّتِهِ لم يحاشِ فيهن ذوى رحم ، ولا غلبهن بحيلة .

وقد كان تَقْيِيلُ سيرة أحمد بن أبى أحمد بن المتوكل ، آخر أشداء خلائف العباسيين ، الذى ضمَّ نشرَ المملكة بالشرق ، وسطاً بالمنتزين عليها ، وبفقدته انهضت الدولة . فحمل عِبَادٌ سِمَتَهُ المعتضدية ، وطالعَ بفضل نظره أخباره السياسية ، التى أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية إلى الاحتواء على أمد الرئاسة ، فى صلابة العصا وشناعة الشُّطَا^(٢) ، فجاء منها بمهولات تَذْعِرُ مَنْ سمعها ، فضلاً عن عاينها ، نسبوا إلى هذا الأمير الشهم عِبَادٌ [امتثالها من]^(٣) غير دلالة ، ولم يقصر فى دولته التى مهّدها فوق أطراف الأُسنة ، وصيّر أكثر شغله فيها شبَّ الحروب ، وكياد الملوك ، وانهراج^(٤) البلاد ، وإحراز التّلالد ، من^(٥) توفّر حظه من الأمور الملوكية ، والعُدَد السلطانية / والآلات الرّياضية .

[١-٦٧]

(١) فى الذخيرة (دوزى ، بنوعباد ، ٢٤٢/١) : ينساغ ، وفى نسخة أخرى . ينساع .

(٢) الأصل : السطى ، ولم أجِد هذه اللغة فى سطا يسطو سطوا .

(٣) . بياض فى الأصل ، والتكلمة من الذخيرة (بنوعباد ، ٢٤٣/١) .

(٤) الذخيرة : إهراج البلاد ، وهو أصبح . والهراج الفتنة ، كما فى اللسان .

(٥) رواية الذخيرة : فى .

ومن نادر أخباره [المتناهية في الغرابة] ^(١) أن [نال بغيته] ^(٢) وأهلك [تلك] ^(٣) الأم العاتية ، وإنه لغائب عن مشاهدتها ، مترفع عن مكابذتها ، [مدبر] ^(٤) فوق أريكته ، منفذٌ لحيلها من جوف قصره . ما مشى إلى عدوٍّ أو مغلوب من أمثاله ^(٥) غير مرة أو مرتين ، ثم لزم عريسته يدبر داخلها أموره . جرد نهاره لإبرام التدبير ، وأخلص ليله لتملّي السرور ، فلا يزال تُدار عليه كؤوس الراح ، ويُحيا عليها بقبض الأرواح . له في كل شأن شوين ، وعلى كل قلب سمعٌ وعين . ما إن سبر أحد من دهاة رجاله غوره ، ولا أدرك قعره ، ولا أمين مكره ؛ لم يزل ذلك دأبه منذ ابتدائه إلى انتهائه .

قال : وكان عبّاد أوتي من جمال الصورة ، وتمام الخلقة ، ونخامة الهيأة ، وسباطة البنيان ، وثقوب الدهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحس ما فاق أيضاً على نظرائه .

ونظر مع ذلك في الأدب — قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان — أدنى نظر بأذكي طبع حصل منه ، لثقوب ذهنه ، على قطعة وافرة علقها ، من غير تمهد لها ، ولا إمعان في غمارها ، ولا إكثار من مطالعتها ، ولا منافسة في اقتناء صحائفها ، أعطته نتيجتها ^(٦) على ذلك ما شاء من تحبير الكلام ، وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة ، في معان أمدته فيها الطبيعة ، وبلغ منها الإرادة ، واكتنبا الأدباء للبراعة .

جمع هذه الخلال الظاهرة والباطنة إلى جود كفّ بارى السحاب . وأخبار عبّاد — في جميع أفعاله ، وضروب أنحائه : عالياته ^(٧) وخافياته — غريبة بعيدة .

(١ و ٢ و ٣) التكملة من الذخيرة ، بنو عباد : ٢٤٣/١ .

(٤) بياض في الأصل ، والتكملة من الذخيرة ، بنو عباد : ٢٤٣/١ .

(٥) الذخيرة : أقتاله .

(٦) الذخيرة : سجّيته ، والأصوب هنا أن يقال : أعانته سجّيته .

(٧) في الأصل : عالياته .

وكان — على تجربته في إحكام التدبير لسلطانه — ذا كلف بالنساء ،
فاستوسع في اتخاذهن ، وخلط في أجناسهن ، فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه
أحد من نظرائه . فقليل إنه خاف من صنوفهن السريريّات خاصة نحواً من
سبعين جارية ، إلى حرّته الحظيّة لديه ، الفدّة من حلائله ، بنت مجاهد العاصري
أخت علي بن مجاهد أمير دانية ؛ ففشا نسلُ عباد لتوسّعه في النكاح وقوته عليه .
وقال غير ابن حيّان : افتض ثمانمائة بكر . وفي موت المعتضد يقول أبو الوليد بن
زيدون — ولم يُظهره — سروراً بذلك واستراحةً منه ، لأنه كان غير مأمونٍ على
الدماء ، ولا حافظ لحرمة الأولياء :

لقد سرّني أن النّعيّ موكلٌ بطاغيةٍ قد حمّ منه حِمَامُ
/ تجانب صوبُ الغيث عن ذلك الصدا ومرّ عليه المزن وهو جهّام [٢٧-ب]

ومن شعره ، وقد جمعه ابن أخيه إسماعيل في ديوان :

حَمِيْتُ ذِمَارَ الْجَدِّ بِالْبَيْضِ وَالشَّمْرِ وَقَصَّرْتُ أَعْمَارَ الْعِدَاةِ عَلَى قَسْرِ
وَوَسَّعْتُ سُبُلَ الْجُودِ طَبْعاً وَصَنَعَةً لِأَشْيَاءَ فِي الْعِلْيَاءِ ضَاقَ بِهَا صَدْرِي
فَلَا مَجْدَ لِلْإِنْسَانِ مَا كَانَ ضِدُّهُ يَشَارِكُهُ فِي الدَّهْرِ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
وله :

رَعَى اللَّهُ حَالِنَا : حَدِيثًا وَمَاضِيًا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ جَرَدْتُ عَزْمِي مَاضِيًا
فَمَا لِلْيَالِي لَا تَزَالُ تَرُومُنِي وَيَرْمِينِي صَائِبَ السَّهْمِ قَاضِيًا^(١)؟
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَطُوبَ تَطُوعُنِي وَمَا زِلْتُ مِنْ لِبْسِ الدُّنْيَا عَارِيًا
أَجْدُدُ فِي الدُّنْيَا ثِيَابًا جَدِيدَةً يَجْدُدُ مِنْهَا الْجُودُ مَا كَانَ بَالِيًا

(١) قرأها دوزي (بنو عباد : ٤٩/٢) : قاصيا .

فما مرَّ بي بخلٌ بخاطرٍ مهجتي ولا مرَّ بخلُ الناسِ قَطُّ بياليا
ألا حبذا في المجد إتلافُ طارفي وبذلّي عند الحمد نفسى وماليا
وله :

لقد بسطَ اللهُ المكارمَ مِن كُفِّي فلستُ على العِلاتِ عنها أخا كَفِّي
تُنَادِي بيوتُ المالِ من فرطِ بذلها يميني : قد أسرفتِ ، ظالمتي ، كُفِّي !
فَتُغْرِي يميني بالسَّماحِ فَتَنَهَمِي ولا ترتضى خِلاً يقول لها : يكفي
لعمرك ما الإسرافُ فيَّ طبيعةٌ ولكنَّ طبعَ البخلِ عندي كالخِيفِ
وله :

يصبرُّني أهلُ المودةِ دائماً وإنَّ فؤادي — والإله — صبورُ
أغار على مغنى الرئاسةِ ، إننى على كلِّ حُسنٍ فى الزمانِ غيورُ
أصرِّفُ ذهني فى أمورٍ جليلةٍ وأعلمُ أنَّ الدائراتِ تدورُ
وله :

أقومُ على الأيامِ خَيْرَ مقامِ وأوقِدُ فى الأعداءِ شرَّ ضِرامِ
[٦٨ - ١] / وأنفق فى كسبِ الحمادِ مُهْجَتِي ولو كان فى الذكرِ الجميلِ حِمَامِي
وأبلغُ من دنيايَ نفسى سُؤْلَهَا وأضربُ فى كلِّ العُلا بِسْهَامِي
إذا فُضِحَ الأملاكُ نقصٌ فإنهُ يبينهُ عِندَ الأنامِ تَمَامِي
وله :

عن القصدِ قد جاروا وما جرت عن قصدى إذا خَفِيتُ طُرُقُ الفرائسِ عن أُسْدِي^(١)
إذا اعترضوا للبخلِ أعرضتُ عنهم وإنَّ مَنْ أقوامٍ كَتَمْتُ الذى أُسْدِي

(١) جعلها دوزى (بنو عباد : ٥٠/٢) : أُسْدِي .

فله ما أخفى من العدل والنّدى والله ما أبدى من الفضل والمجد
ولا ألتقى ضيفي بغير بشاشة إذا فجّحت^(١) الله معروفة عندي
وله :

أنام وما قلبي عن المجد نائم وإن فؤادي بالمالى لهائم
وإن قعدت بي علة عن طلابها فإن اجتهدى في الطلاب لدائم
يعز على نفسي إذا رمت راحة براح ، فتثنيى الطباع الكرائم
وأسهر ليلى مفكراً غير طاعم وغيري على العلات شبعان نائم
ينادى اجتهدى إن أحس بفتره : ألا أين يا عبّاد تلك العزائم ؟
فتهتز آمالي وتقوى عزيقي وتذكرنى لذاتهنّ الهزائم
وله :

زهرُ الأسنة في الهيجا غدت زهري غرست أشجارها مستجزل الثمر
ما إن ذكرت لها من^(٢) معركٍ جلي إلا تجلّته بالصارم الذّكر
حتى غدوت وأعدائى تخاطبنى : يا قاتل الناس بالأجناد والفكر !
وله :

هذى السعادة قد قامت على قدم وقد جالست لها في مجلس الكرم
فإن أردت إلهى بالورى حسناً فملكّنى زمام العرب والعجم
فإننى لا عدلت الدهر عن حسن ولا عدلت بهم عن أكرم الشيم
أقارع الدهر عنهم كلّ ذى طلب وأطرّد الدهر عنهم كلّ ما عديم^(٣)
[٦٨ - ب]

(١) كذا في الأصل ، والأصوب هنا : لجحدت . وجعلها دوزى : فحمدت .

(٢) جعلها دوزى (بنوعباد : ٥١/٢) : فى .

(٣) قرأها دوزى (بنوعباد : ٥٢/٢) : عرم ، والأصح ما أثبتناه . و « ما » هنا زائدة .

وله :

وإذا تَوَعَّرَتِ المسالكُ لم أَرِدْ فيها الشَّرَى إلا برأيِ مَقَرٍ
وإذا طَلَبْتُ عَظِيمَةً فمَفَاتِحِي فيها العَزِيمَةُ والسَّنَانُ السَّمْهَرِي

وله :

لعمرك إني بالْعُدَامَةِ قَوَالُ وإني لما يَهْوَى النَّدَايَ لِفَعَالُ
قَسَمْتُ زَمَانِي بَيْنَ كَدٍّ وَرَاحَةٍ : فلأرأى أَسْحَارًا ، وللطَّيِّبِ آصَالُ
فَأَمْسَيْ عَلَى اللِّذَاتِ وَاللَّهُوَ عَاكِفًا وَأُضْحِي بِسَاحَاتِ الرُّثَاسَةِ أُخْتَالُ
وَلَسْتُ — عَلَى الْإِدْمَانِ — أَغْفَلُ بُغْيَتِي من المَجْدِ ، إني في المَعَالِي لِمُخْتَالُ

وله يخاطب أبا القاسم ، وقد عتب عليه :

أَطَعْتُكَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي جَاهِدًا فلم يَكْ لِي إلا المَلَامَ ثَوَابُ
وَأَعْمَلْتُ جُهْدِي فِي رِضَاكَ مَشْمُرًا ومن دُونَ أَنْ أَفْضِي إِلَيْهِ حِجَابُ
وَلَمَّا كَبَا جَدِّي إِلَيْكَ وَلَمْ يَسْغُ لِنَفْسِي عَلَى سُوءِ الْمَقَامِ شَرَابُ
وَقَلَّ اصْطِبَارِي حِينَ لَا لِي عِنْدَكَ من العُطْفِ إِلَّا قَسْوَةُ وَعْتَابُ
فَرَرْتُ بِنَفْسِي أَبْغَى فَرَجَةً لَهَا عَلَى أَنْ حَلَوَ الْعِيشِ بَعْدَكَ صَابُ
وَمَا هَزَنِي إِلَّا رِسْوَلُكَ دَاعِيًا فَقُلْتُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَجَابُ
فَجِئْتُ أُغِذُّ السَّيْرَ حَتَّى كَأَنَّمَا يَطِيرُ بِسَرَجِي فِي الْفَلَاةِ عُقَابُ
وَمَا كُنْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا مُوْطِنًا بَعَزِي عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ إِيَابُ
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا عَلَى حَبِيبَةٍ فَمَا عَنكَ لِي — إِلَّا إِلَيْكَ — ذَهَابُ
أَصِيبُ بِالرِّضَا عَنِ مَسَرَّةٍ مُهْجَتِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا أُتِيْتُ صَوَابُ
وَفَضْلُكَ فِي تَرْكِ الْمَلَامِ ، فَإِنَّهُ وَحَقُّكَ فِي قَلْبِي ظُبِّي وَحِرَابُ
[٦٩ - ١] / إِذَا كَانَتْ النُّعْمَى تُكَدَّرُ بِالْأَذَى فَمَا هِيَ إِلَّا مَحْنَةٌ وَعَذَابُ
وَلَا تَقْبِضَنَّ بِالْمَنْعِ كَفِي فَإِنَّهُ وَجَدَّكَ نَقْضُ لِلْعَلَا وَخَرَابُ

فكلُّ نَوَالٍ لِي إِلَيْكَ انْتِسَابُهُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ مُثَابِ
بَقِيتَ مَكِينَ الْأَمْرِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا لَاحَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ رَبَّابِ
وله إلى صهره مجاهد العامري :

عَرَفْتُ عَرَفَ الصَّبَا إِذْ هَبَّ عَاطِرُهُ مِنْ أَفْقٍ مَنَ أَنَا فِي قَلْبِي أَشَاطِرُهُ
أَرَادَ تَجْدِيدَ ذِكْرَاهُ عَلَى شَحَاطِ قَصَارِهِ (١) قَيْصَرُ أَنْ قَامَ مَفْتَخِرُهُ
خَلَّى أَبَا الْجَيْشِ ، هَلْ يُقْضَى الْلِقَاءُ لَنَا فَيَشْتَفِي مِنْكَ طَرْفُ أَنْتَ نَاطِرُهُ ؟
شَطَّ الْمَزَارُ بِنَا ، وَالْدَارُ دَانِيَةُ يَا حَبِذَا الْقَالُ لَوْ صَحَّتْ زَوَاجِرُهُ
وله أيضاً :

أَتَرَى الْلِقَاءَ كَمَا نَحْبُ يَوْفَقُ فَنُظَلُّ نَصَبَحُ بِالسُّرُورِ وَنُخَبِّقُ ؟
أَفْدَى أَبَا الْجَيْشِ الْمَوْفَقُ إِنَّهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَيْسَرُ وَمَوْفَقُ
بَاهَى بِهِ الزَّمَنُ الْبَهَى كَأَنَّهُ بِشَرُّهُ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ وَرَوْنَقُ
مَلِكٌ إِذَا فُهِمْنَا بِطَيْبِ ثَنَائِهِ ظَلَّتْ لَهُ أَقْوَاهُنَا تَعْمَطُّ
حَسْبُ الرِّئَاسَةِ أَنْ غَدَتْ مَزْدَانَةُ بَسْنَاهُ ، فَهُوَ التَّاجُ وَهِيَ الْمِفْرَقُ
وله في النسيب :

يَجُورُ عَلَى قَلْبِي هَوًى وَيُجِيرُ وَيَأْمُرُنِي ، إِنْ الْحَبِيبَ أَمِيرُ
أَغَارَ عَلَيْهِ مِنْ لِحَاطِي صَيَانَةُ وَأَكْرَمَهُ ، إِنْ الْحَبَّ غَيُورُ
أَخَفْتُ عَلَى لِقْيَا الْحَبِيبِ وَإِنِّي لِعَمْرِكَ فِي جُلَى الْأُمُورِ وَقُورُ
وله :

رَعَى اللَّهُ مَنْ يَصَلِّيَ فَوَادِي بَحْبِهِ سَعِيرًا ، وَعَيْتِي مِنْهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

(١) المراد أصْلُهُ أو جَدُهُ ، إشارة إلى الأصل الصنْطَلِيّ لمجاهد العامري ، ولم أجد هذه الصورة بهذا المعنى في مادة « قَصَرَ » في المعاجم ، وإنما وجدت « قَصْرَةَ » وهي - أحسن النخلة أو الشجرة ، والجمع قَصَرٌ ، ويبدو أن صحة اللفظ : فَأَصْلُهُ ، وبه يستقيم الوزن والمعنى .

[٦٩-ب] / غَزَالِيَّةُ الْعَيْنِينَ ، شَمْسِيَّةُ السَّنَا
 شَكُوتُ إِلَيْهَا حَبًّا بِمَسْدَامِي
 فَصَادَفَ قَلْبِي قَلْبَهَا وَهُوَ عَالِمٌ
 فَجَادَتْ - وَمَا كَادَتْ - عَلَى بَخْدِهَا
 فَقُلْتُ لَهَا : هَاتِي ثَنَائَكَ إِنِّي
 وَمِيلِي عَلَى جِسْمِي بِجِسْمِكَ ، فَاثْنَتُ
 عَنَاكَ وَلِئِمَّا أَرَأَيْتَا^(١) الشُّوقَ بَيْنَنَا
 فَيَا سَاعَةً مَا كَانَتْ أَقْصَرَ وَقْتُهَا
 وَلَهُ :

تَنَامُ وَمَدَنُفُهَا يَسْهَرُ وَتَصْبِرُ عَنْهُ وَلَا يَصْبِرُ
 لَنْ دَامَ هَذَا وَهَذَا بِهِ سَيَهْلِكُ وَجَدًا وَلَا يَشْعُرُ

وَلَهُ :

يَا قُمْرًا قَلْبِي لَهُ مَطْلَعُ وَشَادِنًا فِي مَهْجَتِي يَرْتَعُ
 وَاللَّهِ مَا أَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ مُذْ أَصْبَحْتُ فِي وَصْلِكَ لَا أَطْمَعُ
 لَيْتَ كَمَا يَرْتَعُ فِي مَهْجَتِي أَنِي فِي رَيْقَتِهِ أَكْرَعُ

(١) الأَصْلُ : أَوْرَثَا ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا .

(٢) قَرَأَ دَوْزَى هَذَا الشُّطْرَ هَكَذَا :

* لَدَيَّ تَقَضَّى غَيْرَ مُذْ مَوْتِهَا عَهْدِي ! *

وَتَرْجُمَهَا إِلَى اللَّاتِينِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ :

fata utinam complevissem, sed non antequam suavissima illa hora plane
esset emortua !

(بنو عباد : ٥٨/٢) .

وله :

يطولُ علىَّ الدهرُ ما لم ألقِها ويقصُرُ إنْ لاقيتها أطولُ الدهرِ
لها غُرَّةٌ كالبدْرِ عندَ تمامه وصدغاً عَبيرٍ نَمَقاً صفحةِ البدرِ
وقدْ كَمِثْلُ الغصنِ مالت به الصبا يكاد لفرط اللينِ ينفدُ في الخصرِ
ومشى كما جاءت تَهَادَى غمامةً ولفظ كما انحَلَّ النظامُ عن الدرِ

وله ، وهو من جيد شعره :

شربنا وجفنُ الليلِ يغسلُ كُحلَه بماءِ الصباحِ والنسيمِ رقيقُ
معتقةً كالتَّبرِ ، أما بخارها فضخم ، وأما جسمها فدقيقُ

/ وله في الياسمين :

[٧٠ - ١]

كأنما ياسميننا الغضُّ كواكبٌ في السماء تبيضُ
والطُّرُقُ الحمرُ في جوانبه كحدِّ عذراءٍ مسهُ عضُ

وله وأنشد على منبر مالقة^(١) ودُعِيَ له بها وبخمسةٍ وعشرين حصناً من
حصونها جمعةً واحدة :

عتادى أجرُ ما أوليتُ فيهم من الفتكاتِ بكرٍ أو عوانِ
وحسبى في سبيلِ الله موتٌ يكونُ ثوابه دار الجنانِ
وهذا مثل قوله ، عندما ظفر بحصن رُنْدَة ، من أبيات كان يُعجَّب بها
ويأخذ الناس بحفظها :

سأفني مُدَّةَ الأعداءِ إن طالت بي المدَّةُ
وتبلى بي ضلالُهم ليزداد الهدى جِدَّةً

(١) في الأصل : مقالة ، والتصويب من دوزي (بنوعباد : ٦٠ / ٢) وهو صحيح هنا .

فكم من عِدَّةٍ قَتَلْتُ مِنْهُمْ بَعْدَهَا عِدَّةً
نَظَمْتُ رُؤُوسَهُمْ عِقْدًا فَجَلَّتْ لَبَّةُ الشُّدَّةِ^(١)

وكانت له خزانة — أكرم لديه من خزانة جوهر — في جوف قصره ،
أودعها هامّ الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها رأس محمد بن عبد الله البرزالي ،
ورؤوس الحُجّاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم ، الذين قرن الله رؤوسهم برأس
إمامهم الخليفة يحيى بن علي بن حَمُود . وكان الذي يغريه بطلبهم أن بعض
الراصدين مولده ، أخبر أن انقضاء دولته يكون على أيدي قوم يطراون على الجزيرة
من غير سكانها ، فكان لا يشك أنهم تلك البرازلة^(٢) الطارئون عليها على عهد

(١) ترك ابن الأبار الأبيات الأولى من هذه القطعة ، وأوردها ابن بسام في الذخيرة
(بنوعباد : ٢٤٧/١) ، وها هي :

لقد حُصِّلَت يارنده فصرت للمكنا عِقْدَه
أفادتنيك أرماح وأساياف طاحده
وأجناد أشداء بهم تنتهى الشدّه
غدوتُ يروني مولى لهم ، وأراهم عُدّه

وقد قرأ دوزي الأبيات الثلاثة الأولى من هذه محرفة تحريفاً شديداً .

(٢) بنو برزال — أو البرازلة — رهط من زفاته مواطنهم الأولى وسط الجزائر الحالية فيما
كان يعرف بالزاب الأسفل . وكان الزاب الأعلى ، أى المطل على البحر إلى غرب قسطنطينة
الحالية ، تابعاً لأمراء الأغالبة ثم العبيديين بعدهم ، أى أنه كان معتبراً جزءاً من إفريقية . أما
الزاب الأسفل فكان مستقلاً ، وقد أراد عبيد الله المهدي إخضاعه ، وتم له ذلك على يد قائده
علي بن حمدون الأندلسي واختطف فيه مدينة المسيلة لتكون حصناً للسلطان العبيدي ، وكان بنو برزال
نازليين حول المسيلة ، ودخلوا في طاعة علي بن حمدون ، ثم دارت حرب طويلة بين علي بن
حمدون والزعيم الصنهاجي المعروف زيري بن مناد ، وانتهى الأمر بهجرة جعفر بن علي بن حمدون
الأندلسي إلى الأندلس حيث دخل في خدمة الحكم المستنصر في أواخر أيامه ، واستطالت صنهاجة
يقودها زيري بن مناد (جد بني زيري) على الزفاتييين — وفيهم بنو برزال — بعد رحيل جعفر بن
علي ، فاستأذن جعفر الخليفة الحكم في أن يعبر بنو برزال إلى الأندلس فأذن ، وعبر إلى الأندلس
عدد كبير منهم ، ودخلوا في خدمة الخلافة الأموية ، ثم استعان بهم المنصور بن أبي عامر فزادت =

ابن أبي عامر ، فأعمل في نكاحهم وجوه سياسته . واتفق أن دخل عليه يوماً بعض وزرائه وبين يديه كتاب قد أطلال فيه النظر ، فإذا كتابٌ سَقَوْتُ^(١) ، المنزى

= قوتهم . وعندما وقعت الفتنة غلب البرازلة على قرمونة وإستجة وحصن المدور ، وكان زعيمهم محمد بن عبد الله البرزالي . وقد ثارت حروب طويلة بينه وبين المعتضد بن عباد انتهت بقتل محمد بن عبد الله البرزالي وتفرُّق أمر البرازلة بعد أن فعلوا فيما وقع بأيديهم من البلاد شر الأفاعيل ، وانضمت بقاياهم إلى باديس بن حبوس صاحب غرناطة .

أما الحاجب ابن خزرون فهو عبدون بن خزرون أمير بني يرنيان ، فرع من بني يفرن الزناتيين ، وكاذوا من وفد على المنصور ابن أبي عامر ودخلوا في خدمته وخدمة ابنه من بعده ، وعندما قامت الفتنة استولى عبدون بن خزرون على حصن أركش Arcos de la Frontera واستبد به ، ومثله في ذلك أبو نور بن أبي قرعة اليفرنى ، وقد استبد ببلدة رندة وحصنها ، ومحمد ابن نوح الدمري شيخ بني دمر - قبيل من بني يفرن الزناتيين - وقد استبد بمورور Morón . وتقرّب المعتضد بن عباد إلى هذه الطوائف من الزناتية ، ثم دعاهم إلى حفل إغذار أولاده ، فلما صار رؤسائهم عنده قتلهم ، ويقال إنه أغلق عليهم الحمام فاتوا ، وصارت بلادهم كلها للمعتضد . انظر : ابن عذارى : البيان المغرب : ٢٦٧/٣ وما بعدها .

(١) سقوت البرغواطى أصله من قبيلة برغواطة الزناتية ومنازلها على ساحل المغرب الأقصى جنوبى طنجة إلى أصيلا ، وتجاورهم من الشرق منازل قبيلة غمارة الزناتية أيضاً ، وكانت غمارة عماد قوة الإدارة في عهدهم الأول ، ولهذا كانت برغواطة دائماً من أعداء الإدارة . وقد أسرسقوت هذا في بعض حروب غمارة وبرغواطة ، وانتهى أمره إلى أن صار عبداً لشيخ من شيوخ غمارة ، ثم صار إلى على بن حمود الذى ذكرناه ، وهو من سلائل الإدارة ، والغماريون قومه ، وكان عليهم اعتماده ، وبفضلهم وصل إلى الخلافة ، وكان سقوت من أكبر رجاله ، فولاه على طنجة وسبته وأطاعته غمارة ، وبعد زوال أمر الحموديين ظل سقوت يحكم طنجة وسبته مناوئاً للمعتضد بن عباد ومهدداً له . فلما قامت دولة المرابطين وزحف يوسف بن تاشفين إلى الشمال ووصل إلى أحواز طنجة طلب إلى سقوت ومن معه من الغماريين الانضمام إليه في القضاء على قبيلة برغواطة سنة ٤٧١ ، ومال سقوت إلى الاستجابة لدعوة المرابطين ، ولكن ابنه المسمى بضياء الدولة ثناه عن ذلك ، فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أمر غمارة توجه إلى طنجة واستولى عليها من يد سقوت وقُتِل هذا في الحرب سنة ٤٧٦ . ثم أرسل يوسف بن تاشفين ابنه وولى عهده إذ ذاك المعز (مات بعد ذلك بسنوات وخلفه أخوه على في ولاية العهد) فاستولى على سبته من يد ضياء الدولة بن سقوت البرغواطى وقتله . ودخلت غمارة بعد ذلك في طاعة لمتونة كبرى قبائل المرابطين .

انظر : ابن بسام ، الذخيرة (مخطوط بغداد ، ص ٤٠٧ - ٤١٢) .

ابن خلدون ، العبر : ٢٢١/٦ وما بعدها .

يومئذ بسببته ، يذكر أن المثلثين المدعويين بالمرابطين قد وصلت مقدماتهم رحبةً صرا كش ، فأخذ الوزير يهون أمرهم ويخبر أن دونهم اللجج والمهايم ، فقال له المعتضد : « هو والله الذي أتوقعه وأخشاه ، وإن طالت بك حياة فستراه . اكتب إلى فلان — يعني عامله على الجزيرة^(١) — بحفظ جبل طارق حتى يأتيه أمرى » . ففضى أن خلعوا ولده وقرضوا أمره .

١٢٠ — ابنه محمد بن عباد المعتمد على الله

— ويلقب أيضاً بالظافر وبالمؤيد — / أبو القاسم [٧٠ - ٧٠]

بويغ له بالإمارة بعد أبيه المعتضد سنة إحدى وستين وأربعمائة .

قال ابن حيان — وذكر المعتضد عباد بن محمد : هلكت له بنت أثيرة لديه ، أبدى لها حزناً شديداً امتثله أهل مملكته في إظهاره ، وحضر خواصهم شهوداً جنازتها بداخل قصره عشية الجمعة غرة جمادى الأولى — يعني من سنة إحدى وستين وأربعمائة — فاسخنفروا^(٢) في تعزيتيه . فلما انقضوا شكاً الما برأسه ، من زكام ثقیل انصب^(٣) عليه فهدّه . وأحضر له طبيبُه ، وقد ازداد

(١) يريد الجزيرة الخضراء .

(٢) جعلها دوزى (بنو عباد : ٦١/٢) : احتفلوا ، ولاداعي لهذا التعديل ، فإن فعل اسخنفر يستعمله ابن حيان دائماً للسخرية من يجتهد في القول أو في إلقاء الشعر .

(٣) جعلها دوزى (دون مبرر أيضاً) : نصب عليه ، وقال إنها تستعمل بمعنى *dolore* . صحيح أن عبارة نصب عليه تستعمل في مثل قولهم : « نصب عليه ضرره نصباً شديداً » ، ولكن ليس هذا ما يريده ابن حيان هنا ، إذ أنه يريد أن يقول إن الألم نزل به دفعة واحدة .

قلقه وأنكر نفسه ، ففصّ عليه بهجمة^(١) من دمه ، وأشار بتسريح شيء منه ، فرأى تأخير ذلك إلى غدٍ يومه . وأمسى ليلة السبت — وقضاه الله قد حاق به — بحنقٍ مزعجٍ أغصّه بريقه ومنعه الكلام ، ففضى نحبّه يوم السبت . وعلا النوح من قصره بحينه ، فلم ينكتم موته حيناً لشهود خليفته وقائد جيوشه وحامل كلمته المرشح لمكانه محمد بن عباد المسمى الظافر المؤيد بالله ، فاستقرت دولته ليومها وألقت مراسيها . وقام في جهاز والده ومواراته ، فدفنه بداخل قصره وفي تربة أبيه القاضي محمد بن إسماعيل ، وتولى الصلاة عليه في جماعة الأشراف من أهل مملكته ، وذلك عشيّ يوم الأحد لثلاث خلون من جمادى الأخيرة .

وأفضى الأمر إلى ولده وهو في ريعان شبابه وكال جماله ، ابن تسع وعشرين سنة وشهرين وأيام زائدة : مولده في العشر الآخر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ؛ وقال أبو بكر محمد بن أبي الوليد بن زيدون : مولده سنة إحدى وثلاثين ، وكذلك قال أبو بكر بن اللبّانة .

قال ابن حَيَّان : وكانت سن عباد سبعا وخمسين سنة وثلاثة شهور وتسعة أيام ، تأقيماً من مولده يوم الثلاثاء لسبع بقين من صفر سنة سبع وأربعمائة إلى وفاته يوم السبت لليائتين خلقتا من جمادى الأخيرة . ومدة إمارته منها — من يوم بيعته ب وفاة والده يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين — ثمان وعشرون سنة ويومان .

ويُحكى عن المعتضد خبر غريب في تطيره عند انصرام أيامه ، وبين يدي هجومٍ حمّاه ، وهو انمقاد نيته على استحضار / مغنٍ يجعل ما يبتدئ به فالأ في [٧١-١]

(١) كذا في الأصل بوضوح . وربما تكون صحة العبارة : فنصّ عليه بهجمة من دمه ، المراد أنه نص على أن سبب المرض هجمة من دمه .

أمره ، وقد استشعر انقراضَ مُلكه وحلولَ هُلكه ، فأرسل في الصِّقْلِي المغنى
— وكان قد قَدُمَ عهدُهُ به — فأجلسه وأنسه وأمره بالغناء فغنى :

نَطَوَى اللَّيَالِي علماً أَن سَتَطَوِينَا فَشَعْشَعِيهَا بِمَاءِ العُزْنِ واسقينا

غَنَى من ذلك خمسة أبيات ، وخمسة أيام مات .

وفى وفاة المعتضد عباد وقيام ابنه المعتمد محمد يقول أبو الحسن على بن
عبد الغنى الحِصْرِي الكفيف^(١) :

مات عبادٌ ولسكنُ بقى الفرعُ الكريمُ
فكأنَّ الميْتَ حَيٌّ غيرَ أنَّ الضادَ ميمُ

وكان المعتمد من الملوك الفضلاء ، والشجعان العقلاء ، والأجواد الأسخياء
المأمونين . عفيف السيف والذيل ، مخالفاً لأبيه في القهر والسفك والأخذ بأدنى
سعاية . رد جماعة ممن نفى أبوه ، وسكَّن وما نفَّر ، وأحسن السيرة ، ومَلَكَ
فأسجَح . إلا أنه كان مولعاً بالخمر ، منغمساً في اللذات ، عاكفاً على البطالة ،
مُخلداً إلى الراحة ، فكان ذلك سبب عطبه وأصل هلاكه .

ومما يؤثر من فضائله ، ويُعد في زُهر مناقبه ، استعانتُهُ على الروم بملك المغرب

(١) على بن عبد الغنى الفِهْرِي المقرئ الحِصْرِي القروي ، يكنى أبا الحسن . قال ابن
بشكوال في الصلة (ترجمة رقم ٩٢٣ ص ٤٢٥) أنه كان شاعراً أديباً رخم الشعر ، دخل الإندلس
ولقى ملوكها . وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن بسبته وغيرها ، وله
قصيدة نظمها في قراءة نافع من ٢٠٩ أبيات . توفي بطنجة سنة ٤٨٨ / ١٠٩٥ . وقد عرفه ابن بسام
واختصه بفصل في الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١ ص ١٩٢ وما بعدها) أثنى عليه في أوله ثم نقده
نقداً شديداً وخاصة نثره .

وانظر : رايات المبرزين ، بتحقيق إميليو غوسية غومس (مدريد ١٩٤٢) ص ٢٨٨
من الترجمة الإسبانية وتعليق رقم CXXXVI (١١٦) ، وقد قرأ اسمه : أبو الحسن على بن
عبد الله الفنى الكفيف الحِصْرِي .

حينئذ — وهو يوسف بن تاشفين — وسعيه في استقدامه ، وجده في ملاقة الطاغية ملك النصارى ، والإيقاع به بالموضع المعروف بالزلاقة في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة . وبدخول المتونيين إذ ذاك الأندلس تسببوا إلى خلعهم ، مع معرفته بحسدهم له وانعكاس نصرهم إياه خذلاناً وقهراً ، وتنبيه وزرائه على ما كان منهم قبل استجاشتهم والاستنصار بهم ، فأثر الدين على الدنيا ، وأنف للإسلام من الاصطلام^(١) . وتم فيه قضاء الله فخلعوه ، بعد حضاره مدة ، يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من رجب سنة أربع وثمانين ، واحتملوه وأهله إلى المغرب وأسكنوه أغمات ، وبها مات ؛ والمقدور كائن . وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، على حال يُوحش سماعها فضلاً عن مشاهدتها . وهذا بعد أن خلع عن ثمانمائة امرأة : أمهات الأولاد ، وجواري متعة ، وإماء تصرف^(٢) . ورزق من الناس حباً ورحمة ، فهم يبكونه / إلى اليوم . [٧١-ب]

وكان له في الأدب باعٌ وسابعٌ ، ينظم وينثر . وفي أيامه نفقت سوق الأدباء ، فتسابقوا إليه وتهافتوا عليه . وشعره مدونٌ موجود بأيدى الناس ، ولم يك في ملوك الأندلس قبله أشعر منه ولا أوسع مادة . وهو القائل في صباه بديهةً ، وقد سمع الأذان لبعض الصلوات :

هذا المؤذنُ قد بدا بأذانهِ يرجو الرضا والعفو من رحمانهِ
طوبى له من ناطقٍ بحقيقةٍ إن كان عقدُ ضميره كدِسانهِ

وله يصف ترساً لازوردى اللون ، مطوقاً بالذهب ، في وسطه مسامير مذهبة ؛ ويقال إن أباه المعتضد أمره بوصنه فقال بديهاً :

(١) الاستئصال .

(٢) قرأها دوزى (بنو عباد : ٦٣/٢) : تعرف ، وهو خطأ . والصحيح إماء التصرف أى جواري الخدمة .

مِجَنٌّ حَكِي صَانَعُوهُ السَّمَاءَ لَتَقْصُرَ عَنْهُ طَوَالُ الرِّمَاحِ
وَصَاغُوا مِثَالَ الثَّرِيَا عَلَيْهِ كَوَاكِبَ تَقْضِي لَنَا بِالنَّجَاحِ
وَقَدْ طَوَّقُوهُ بِذَوْبِ النُّضَارِ كَمَا جَلَّلَ الْأَفَقَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ

وله يستعطف أباه المعتضد ، لما فرط في أمر مאלقة وخذله أصحابه فأخرج منها ، ولجأ إلى رُنْدَةَ^(١) فأقام بها مدة تحت موجدة أبيه :

سَكَنَ فَوَادَكَ لَا تَذْهَبُ بِكَ الْفِكْرُ مَاذَا يُعِيدُ عَلَيْكَ الْبَيْتُ وَالْحَذَرُ ؟
وَأَزْجُرُ جَفَوْنَكَ لَا تَرْضَى الْبُكَاءَ لَهَا وَاصْبِرْ فَقَدْ كُنْتَ عِنْدَ الْخَطْبِ تَصْطَبِرُ
فَإِنْ يَكُنْ قَدَرٌ قَدْ عَاقَ عَنْ وَطَرٍ فَلَا مَرَدٍّ لَمَّا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَأِنْ تَكُنْ حَيْبَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً فَكَمْ غَزَوْتَ ، وَمِنْ أَشْيَاعِكَ الظُّقَرُ
إِنْ كُنْتَ فِي حَيْرَةٍ عَنْ جُورِ مَجْتَرِمٍ فَإِنْ عَذَرَكَ فِي ظُلُمَائِهَا قُرُ
فَوَضَّ إِلَى اللَّهِ فِيمَا أَنْتَ خَائِفُهُ وَثِقْ بِمَعْتَصِدٍ بِاللَّهِ يَغْتَفِرُ
وَلَا يَرُوعَنَّكَ خُطْبٌ إِنْ عَادَ زَمَنٌ فَاللَّهُ يَدْفَعُ وَالنُّصُورُ يَنْتَصِرُ
[٧٢ - ١] / وَاصْبِرْ فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ أُولَى جَلَدٍ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
مَنْ مِثْلُ قَوْمِكَ ؟ مَنْ مِثْلُ الْهَمَامِ أَبِي عَمْرٍو — أَيْبِكَ — لَهُ مَجْدٌ وَمَفْتَخَرٌ ؟

(١) أورد ابن بسام تفصيل هذا الخبر (مخطوطة بغداد) ، القسم الثاني ورقة ١٦ ا و ب ، وملخصه أن مאלقة كانت تحت سلطان باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، وكان أهلها يكرهون حكمه ويتمنون أن يصيروا إلى حكم المعتضد بن عباد « تشيماً لم يكن له أصل إلا شؤم الحمية ولؤم العصبية » ، لأنهم كانوا يكرهون أن يكونوا تحت أمير بربري ، فأنهزوا فرصة ابتعاد باديس في غرناطة وأرسلوا للمعتضد ، فأرسل ابنه جابراً ومحمداً (الذي سيخلفه بلقب المعتمد) فأسرعا إلى مאלقة من رُنْدَةَ ، واستوليا على البلد إلا القصبة إذ تحصن فيها جماعة من جند باديس السويدي ، وأرسلوا يستغيثون به ، فأرسل إليهم الأمداد ، فلما وصلت مزقت شمل قوات ابني عباد ، وفرا واعتصما في رُنْدَةَ .

سَمِيدَعٌ يَهَبُ الْآلَافَ^(١) مَبْتَدَأُ
له يدٌ ، كلُّ جبارٍ يَقْبَلُهُ
يا ضَيْغَمًا يَقْتُلُ الْأَبْطَالَ مَفْتَرَسًا
وفارسًا تَحْذَرُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ
هو الذي لم تَشِمْ يُمْنَاكَ صَفْحَتَهُ
قد أَخْلَفْتَنِي ظُرُوفٌ أَنْتَ تَعْلَمُهَا
فَالنَّفْسُ جَارِعَةٌ ، وَالْعَيْنُ دَامِعَةٌ
قد حِلْتُ لَوْنًا ، وَمَا بِالْجِسْمِ مِنْ سَقَمٍ
وَمِيتٌ إِلَّا ذِمَاءٌ فِي يَمْسِكِهِ
لم يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ
قَوْمٌ نَصِيحَتُهُمْ غَشٌّ ، وَحُبُّهُمْ
تُمِيزُ الْغَيْطَ فِي الْأَلْفَاظِ ، إِنْ نَطَقُوا
إِنْ يَحْرِقُ الْقَلْبَ نَبَزٌ^(٢) مِنْ مَقَالِمٍ
أَجِبْ نِدَاءَ أَخِي قَلْبٍ تَمَلَّكَهُ
لم أَوْتِ مِنْ زَمَنِي شَيْئًا أَلَذُّ بِهِ
وَلَا تَمَلَّكْنِي دَلٌّ وَلَا خَفَرٌ

وَيَسْتَقِلُّ عَطَايَاهُ وَيَحْتَقِرُ
لَوْ لَا نَدَاهَا لَقَلْنَا إِنِّهَا الْحَجَرُ
لَا تَوَهَّنِنِّي فَإِنِّي النَّابُ وَالظُّفْرُ
صُنْ حَدَّ عَبْدِكَ فَهُوَ الصَّارِمُ الذَّكْرُ
إِلَّا تَأْتِي مَرَادٌ وَانْقَضَى وَطَرُ
وَعَالَ مَوْرَدَ آمَالِي بِهَا كَدَرُ
وَالصَّوْتُ مَنْخَفُضٌ ، وَالطَّرْفُ مَنْكَسِرُ
وَسَبْتُ رَأْسًا ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي الْكِبَرُ
أَنِي عَهْدُكَ تَعْفُو حِينَ تَقْتَدِرُ
عُتْبًا ، وَهَاهُوَ قَدْ نَادَاكَ يَعْتَذِرُ
وَفِي لَهْمٍ عَفْوُكَ الْمَعْهُودُ إِذْ غَدَرُوا
بَغْضُ ، وَنَفْعُهُمْ - إِنْ صُرِّفُوا - ضَرَرُ
وَتَعْرِفُ الْحَقْدَ فِي الْأَلْفَاظِ ، إِنْ نَظَرُوا
فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ نَارِ الْقِيَالِي شَرَرُ
أَمِّي ، وَذِي مَقْلَةٍ أَوْدَى بِهَا سَهْرُ
فَلَسْتُ أَعْرِفُ مَا كَأْسٌ وَلَا وَتَرُ
وَلَا تَمَرَّسُ^(٣) بِي غُنْجٌ وَلَا حَوَرُ

(١) الأصل : الألفاف .

(٢) الأصل : نبذ . وقرأها دوزي (بنو عباد : ٦٤/٢) : بَنَد .

(٣) بنو عباد ٦٤/٢ : ولا سبأ خلدي .

[٧٢ - ب] / رضاك راحةٌ نفسى ، لا فُجعتُ به
 وهو المدام التى أسلو بها ، فإذا
 أجل ، ولى راحةٌ أخرى كَلِفْتُ بها :
 كم وقعةٍ لك فى الأعداء واضحةٍ
 سارت بها العيسُ فى الآفاق فانتشرتُ
 ما تركى الخمرَ عن زهدٍ ولا ورعٍ
 وإنما أنا ساجٍ فى رضاك ، فإن
 إليك روضةً فكرى جادَ منبتهَا
 جعلتُ ذكرك فى أرجائها زهراً
 فهو العتادُ الذى للدهر أدّخر
 عَدِمْتُهَا وَقَدْتُ فى قلبى الفِكر
 نظمُ السكلى فى القنا والهَامُ تبتدِر^(١)
 تفنى الليالى ولا يفنى بها الخبر
 فليس فى كل حَيٍّ غيرها سمر
 فلم يفارق - لعمري - سِنَى الصَّغَرِ
 أخفقتُ فيه فلا يُفْسَحُ لى العُمُرِ
 ندى يمينك ، لا ظلٌ ولا مطر
 فكل أوقاتها للمبجنى سَحَر

وذكر أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني ، المعروف بابن اللبانة^(٢)
 أن رجلاً من أهل إشبيلية كان يحفظ هذا الشعر فى ذلك الأمد ، ثم خرج منها
 لنيةٍ منه إلى أقصى حَيٍّ فى العرب فأوى إلى خيمةٍ من خيامهم ، ولاذ بذمة
 راجعٍ من رعاتهم ، فلما توسط القمرُ فى بعض الليالى وهجم السامر ، تذكر الدولة
 العبادية وروثها ، فطلق يُنشد القصيدة بأحسن صوت وأشجاء . فما أكملها حتى
 رُفِعَ رواقُ الخيمة التى [أوى]^(٣) إليها عن رجل وسيم ضخم تدل سِيما فضله على
 أنه سيد أهلها ، قال : يا حَضْرِي ! حَيَّاكَ الله ، لمن هذا الكلام الذى اعدّ وذب
 مورده ، واخضوضل منبته ، ونحلت بقلاوة بكره ، وهدر بشقشقة

(١) الأصل : تنتدر.

(٢) سياق الخبر هنا يدل على أنه وقع بعد ذهاب أمر الدولة العبادية بزمان طويل ، مع
 أن راويها وهو ابن اللبانة الشاعر معاصر للمعتمد وكان من أقرب أصحابه إليه ، بل اشتهر بوفائه
 لذكرى إمارته بعد خلعه ونفيه إلى أعماق ، وقد توفى سنة ٥٠٧/١١١٣ .

(٣) أسقطها الناسخ ، ويقتضيها السياق .

الجزالة بَكَرِه ؟ » ، فقال : « هو ملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عباد » ،
فقال العربي : « أظن هذا الملك لم يكن له من الملك إلا حظ يسير ، ونصيب
حقير . فمثل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشيء دونه » . فعرفه الرجل بعظم
رؤاسته ، ووصف له بعض جلالته ، فتعجب العربي من ذلك ثم قال : « ومن
الملك ، إن كنت تعلم ؟ » فقال الرجل : « هو في الصميم من أخم ، والذؤابة من
يعرُب » ، فصرخ العربي / صرخةً أيقظ الحى بها من هجعتة ، ثم قال : [٧٣ - ١]
« هلموا ، هلموا ! » ، فتبادر القوم إليه ينثالون عليه ، فقال : « معشر قومي !
اسمعوا ما سمعته ، وعُوا ما وعيته ، فإنه لفخرٌ طلبكم ، وشرفٌ تلاصق بكم .
يا حضري ! أنشدك كلة ابنِ عمنا » ، فأنشدهم القصيدة . وعرفهم العربي بما عرفه
الرجل به من نسب المعتمد ، فخامرتهم السراء ، وداخلتهم العزة ، وركبوا من
طربهم متون الخيل ، وجعلوا يتلاعبون عليها باقى الليل . فلما رسل الليل
نسيمه ، وشق الصباح - أو كاد - أديمه ، عمد زعيم القوم إلى عشرين من
الإبل فدفعها إلى الرجل ، وفعل الجميع مثل ما فعل . فما كان رَأْد الضحى إلا
وعنده هُنَيْدَة من الإبل ، ثم خلطوه بأنفسهم ، وجعلوه مقرّ سرورهم وتأنسهم .
وللمعتمد أيضاً يستعطف أباه المعتضد :

مولاي أشكو إليك داءً أصبح قلبي به جريماً
إن لم يُرِخْهُ رضاك عنى فلست أدري له مريجاً
سُخْطُكَ قد زادني سقاماً فابعث إلى الرضا مَسِيحاً
واغفر ذنوبي ولا تضيقْ عن حملها صدرك الفسيحاً
لو صوّر الله للمعالي جسماً لأصبحت فيه روحاً

وله في النسيب :

داري الغرام ورام أن يتكلمنا وأبى لسان دموعه فتكلما

رحلوا وأخفى وجده فأذاعه
سائرهم والليل غفل ثوبه
فوقفت ثم محيراً ، وتسلبت
وله :

أكثر هجرى غير أنك ربما
فكأنما زمن المهاجر بيننا
وله :

عفا الله عن « سحر » على كل حالة
[٧٣ - ب] / أسحر ظلمت النفس واخترت فرقتي
ولا حوسبت عني بما أنا واجد
فجمعت أحزاني وهن شوارد
وكانت شجونى - باقترابك - زحاً
فإن تستلذى برد ما بك بعدنا
وله :

قامت لتجيب قرص الشمس قامتها
علماء بعمرها منها أنها قر
عن ناظري ، حُجبت عن ناظر الغير
هل تحجب الشمس إلا غرة القمر ؟
وناولته إحدى جواريه كأس بلور مترعة خمرأ ولع البرق فارتاعت ، فقال :
ريعت من البرق وفي كفها
يا ليت شعري ، وهى شمس الضحى
وله ، ويعنى به :

تظن بنا أم الربيع سامة
ألا غفر الرحمن ذنباً تواقعهُ

أَجْرُ ظِيًّا فِي فَوَادِي كِنَاسُهُ وَبَدَرَ تَمَامٍ فِي ضُلُوعِي مَطَالَعُهُ
وَرَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَنِيهَا وَبَارِدًا مِنْ الظَّلَمِ لَمْ تُحْظَرْ عَلَى شَرَائِعِهِ
إِذَا عِدِمْتُ كَفَى نَوَالًا تُفِيضُهُ عَلَى مُعْتَقِيهَا أَوْ كَمِيًّا تُقَارِعُهُ

وله فيها^(١) ، وَضَمَّنَ أَوَائِلَ الأَبْيَاتِ حُرُوفَ اسْمِهَا :

أَغَابَةُ الشَّخْصِ عَنْ نَظَرِي وَحَاضِرَةً فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ بِقَدْرِ الشَّجُونِ وَدَمْعِ الشُّوْنِ وَقَدْرِ السُّهَادِ
تَمَلَّكْتَ مِنِّي صَعْبَ الْمَرَامِ وَصَادَفْتَ مِنِّي سَهْلَ الْقِيَادِ
مُرَادِي أَعْيَاكَ فِي كُلِّ حِينٍ فَيَا لَيْتَ أَنِّي أُعْطِيَ مِرَادِي
أَقِمِّي عَلَى الْعَهْدِ فِي بَيْنِنَا وَلَا تَسْتَحِيلِي لَطُولَ الْبِعَادِ
دَسَسْتُ اسْمَكَ الْحَلَوَّ فِي طَيِّهِ وَأَلْقَيْتُ فِيكَ حُرُوفَ «اعْتِمَادِ»

وإليها يشير بقوله في رثاء ابنه المأمون والراضى بعد خلعه :

/مَعِيَ الْأَخَوَاتُ الْهَالِكَاتُ عَلَيْكُمَا وَأَمُّكَ الشَّكْلَى الْمُضَرَّمَةُ الصَّدْرِ [١-٧٤]
تُبَكِّي بِدَمْعٍ لَيْسَ لِلغَيْثِ مِثْلُهُ وَتَرْجُرُهَا التَّقْوَى فَتُصْغِي إِلَى الرَّجْرِ
تَذَلُّلُهَا الذِّكْرَى فَتَفْزَعُ لِلْبُسْكَ وَتَصْبِرُ - فِي الْأَحْيَانِ - شُجًّا عَلَى الْأَجْرِ
أَبَا خَالِدٍ ، أَوْرَثَتْنِي الْبَيْتُ خَالِدًا أَبَا النُّصْرَ ، مَذُودَّعَتَ وَدَّعْنِي نَضْرَى
وَقَبْلَكَ مَا أَوْدَعَ الْقَلْبَ حَسْرَةً تَجَدَّدُ طَوْلَ الدَّهْرِ : تُكَلُّ أَبَى عَمْرٍو

(١) الإشارة هنا إلى «اعتماد» الرميكية أحب نساء المعتمد إليه ، ولم يذكرها ابن الأبار قبل ذلك . وواضح أنه كان لا بد أن يمهّد لذلك بشيء عنها ، ويبدو أن ذلك ليس سهواً من الناسخ وإنما هو من الأصل الذي كتبه ابن الأبار ، فقد سها عندما اختار مختاراته من شعر المعتمد عن أن يمهّد لهذه الأبيات .

يعنى ابنه سراج الدولة أبا عمرو عباد بن محمد قتيل ابن عكاشة بقرطبة^(١) . وأبو خالد هو ابنه يزيد الملقب بالراضى ، وهو الذى قتله قروور اللمتونى^(٢) غدرًا بُرئْدَة . وأبو نصر هو ابنه الفتح الملقب بالمأمون ، وقُتل أيضًا بقرطبة فى آخر دولتهم . وإخوتهم أبو الحسين عبيدُ الله الملقب بالرشيد ، حُمل مع أبيه إلى العدو ، وأبو بكر عبدُ الله الملقب بالمعتد ، وأبو سليمان الربيع تاج الدولة ، وأبو هاشم المعلى زين الدولة ، وكلهم لجاريته هذه الحظية عنده الغالبة عليه « اعتماد » : وهى أم الربيع ، وتعرف بالسيدة الكبرى ، وتلقب بالرؤمىكىة نسبة لمولاه رُمَيْك ابن حجاج ، ومنه ابتاعها المعتمد فى أيام أبيه المعتضد . وكان مفرط الميل إليها حتى تَلَقَّب بالمعتمد لينتظم اسمه حروف اسمها ، وهى التى أغرت سيدها بقتل أبى بكر ابن عمار لذكره إياها فى هجائه المعتمد الذى أوله :

(١) روى ابن بسام هذا الخبر فى اللخيرة (بنو عباد : ٣٢٢/١ وما بعدها) ومجمله أن قرطبة لما صارت إلى بنى عباد ولى المعتمد عليها قائداً من قواد جنوده يسمى محمد بن مرتين ، وكان المظفر ابن ذى النون طامعاً فى قرطبة ، ولكن جنود المعتمد أوقعوا به هزيمة كبيرة ، فأقام قائداً من قواده يسمى ابن عكاشة فى أحد الحصون المجاورة لها ليغاورها . وكان ابن عكاشة رجلاً ذكياً واسع الخيلة ، فى حين كان محمد بن مرتين مغروراً بنفسه يظن أن أحداً لا يستطيع الثبات له ، وكان معه سراج الدولة أبو عمرو عباد بن المعتمد بن عباد ، فجعل ابن عكاشة يتلصص حول قرطبة حتى اتفق مع نفر من حراسها ، ثم هاجمها على غرة فى ليلة مظلمة سنة ٤٦٧ هـ ، وقتل أبا عمرو ومحمد بن مرتين وتملك البلد واستدعى المظفر فأسرع واستقر فى قرطبة ، وأراد التخلص من ابن عكاشة فلم يستطع . ثم توفى ابن ذى النون إثر ذلك وعادت قرطبة إلى المعتمد .

(٢) يسميه صاحب الحلل الموشية (ص ٨٧) جرور الحشمى ، وورد ذكره مراراً فى مذكرات الأمير عبد الله الزيرى فى صورة « قروور » (انظر فهرس الأعلام) . وكان يوسف بن تاشفين قد ولاه على جيش ليحاصر يزيد الراضى بن المعتمد بن عباد فى رندة ويستخلصها من يده ، وقد سلم له يزيد البلد . ثم قتله جرور بعد ذلك . وفى نفس الوقت سنة ٤٨٤ جعل يوسف بن تاشفين قائده أبا عبد الله بن الحاج على رأس جيش آخر ليستولى على قرطبة من يد الفتح بن المعتمد ابن عباد ، ويلقب بالمأمون ، وكان يليها لأبيه المعتمد ، وقد اقتحم ابن الحاج البلد بالقوة وقتل الفتح بن المعتمد فى المعركة .

أَلَا حَيٌّ بِالْغَرْبِ حَيًّا حَلَالًا أَنَاخُوا جِبَالًا وَحَازُوا جِبَالًا
يقول فيه :

تَخَيَّرَتْهَا مِنْ بَنَاتِ الْمُهْجِينَ رُمَيْكِيَّةٌ مَا تُسَاوِي عِقَالًا
وهو شعر أقدع فيه ، وقد قيل إنه منحول إليه ومقول على لسانه ، فالله
أعلم^(١) .

وتوفيت أم الربيع هذه بأغمت قبل المعتمد سيدها ، لم ترقأ لها عبرة
ولا فارقها حسرة ، حتى قضت أسفاً وهلكت حزناً ، رحمها الله .

ومحاسن المعتمد في أشعاره كثيرة ، وخصوصاً مراثيه لأبنائه وتفعجه لزوال
سلطانه . وحكى أن بعض بني عباد أنشد في النوم قبل حلول الفاقة بهم
هذه الأبيات :

/ مَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ وَالْدُنْيَا تَمَرُّ بِهِ بِأَنَّ صَرَفَ لَيْالِي الدَّهْرِ مَحْذُورُ
بَيْنَا الْغَتَى مُتَرَدِّدٍ فِي مَسَرَّتِهِ وَاقِفٍ عَلَيْهِ مِنْ الْأَيَّامِ تَغْيِيرُ

[٢٤ - ب]

(١) يبدو أن هذا أيضاً رأى ابن بسام ، فقد قال في الذخيرة (مخطوط بغداد ، ورقة
١٦٠ ب) : « فشاعت في الناس أشعار عزيز إلى ابن عمار منها قصيدة . . » ثم أورد أبياتاً متفرقة
من القصيدة . وبعد أن أورد أشد الأبيات إقذاً قال : « وبعد ما أضربت عنه ، رغبة بكتابي
عن الشين ، وينفسي أن أكون أحد الهاجين ، فقد قالوا : الراوية أحد الشامين » !

وجاء بعد ذلك تعليقاً على قول ابن عمار :

وَعَرَجَ يَوْمِينَ أُمَّ الْقَرْيَ عَسَى أَنْ تَرَاهَا [هناك] خِيَالًا

يومين : اسم قرية بقطر إشبيلية كانت أولية بني عباد منها .

وقد أورد ابن بسام بعد ذلك خبر المعتمد مع ابن عمار كاملاً .

وأورده مختصراً عبد الواحد المراكشي في المعجب (بتحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان

محمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩) ص ١١١ وما يليها .

وفرّ من حوله تلك الجيوش كما تفر - عاينت الصقر - العصافير^(١)
 وخرّ خسرًا فلا الأيام دمن له ولا بما وعد الأبرار محبور
 من بعد سبع كاحلام تمر وما يرقى إلى الله تهليل وتكبير
 يحلّ سوء بقوم لا مردّ له وما تردّ من الله المقادير
 وكذلك حكى أيضًا عن آخر أنه رأى في منامه كأن رجلا صعد منبر جامع
 قرطبة واستقبل الناس فينشدهم :

رُبَّ رَكِبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِيَسَهُمْ فِي ذُرَى تَجْدُهُمْ حِينَ^(٢) بَسَقُ
 سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقُ
 فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعى لملكه ، وإعلام بما انتثر من سلكه ،
 فقال :

مَنْ عَزَا الْمَجْدَ إِلَيْنَا قَدْ صَدَقَ لَمْ يُلَمْ مَنْ قَالَ - مَهْمَا قَالَ - حَقُّ
 مَجْدُنَا الشَّمْسُ سَنَاءٌ وَسَنَاءٌ مَنْ يَرُمُ سَتْرَ سَنَاهَا لَمْ يُطَقْ
 أَيُّهَا النَّاعِي إِلَيْنَا مَجْدَنَا هَلْ يَضُرُّ الْمَجْدَ أَنْ خُطِبَ طَرَقُ ؟
 لَا نُرْعِغُ لِلدَّمَعِ فِي آمَاقِنَا مَزَجْتُهُ بِدَمِ أَيْدِي الْحُرَقِ
 حَنِقَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا فَسَطَا وَكَذَا الدَّهْرُ عَلَى الْحُرِّ حَنِقُ
 وَقَدِيمًا كَلِيفَ الْمُلْكِ بَنَانَا وَرَأَى مِنَّا شُمُوسًا فَعَشِقُ
 قَدْ مَضَى مِنَّا مَلُوكٌ شُهُرُوا شُهْرَةَ الشَّمْسِ تَجَلَّتْ فِي الْأَفُقِ

(١) عند ابن بسام (بنو عباد : ١ / ٣٠٧) :

وفرّ من حوله تلك الجيوش كما تفر - إن عاينت صقراً - عصافير
 وهو أجود .

(٢) الأصل : كما ، وبه ينكسر البيت ، والتصويب من نفع الطيب للمقرى .

نحن أبناء بني ماء السما نحونا تطمحُ الحَاظُ الحَدَقُ
وإذا ما اجتمع الدين لنا فخيرٌ ما من الدنيا افترق
/ ومنها في ذكر مدة إمارتهم :

[١-٧٥]

حِجَبًا عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا وثلاثين وعشرين نَسَقُ
أُشْرَقَتْ^(١) عَشْرُونَ مِنْ أَنْفُسِهَا وثلاثٌ نَيَّاتٌ تَأْتَلِقُ
وكان مُلْكُ بني عَبَّاد ثلاثًا وسبعين سنة ، للمعتمد منها ثلاث وعشرون .

وله :

لما تَمَاسَكَتِ الدَّمُوعُ وتنَبَّهَ القلبُ الصَّدِيعُ
وتَنَاقَرَتْ هِمَمِي لِمَا يَسْتَأْمُرُ الخَطْبُ الفَظِيعُ
قَالُوا الخَضُوعُ سِيَاةٌ فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمُ خَضُوعُ
وَالَّذُ مِنْ طَعْمِ الخَضُوعِ عَ عَلَى فِى الشَّمِ النَّقِيعُ
إِنْ تَسْقَلِبْ عَنِ الدُّنَا^(٢) مُلْكِي وَتَسْلِمْنِي الْجَمُوعُ^(٣)
فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ لَمْ تُسَلِّمِ القلبَ الضُّلُوعُ
لَمْ أُسْتَلَبْ شَرَفَ الطَّبَا عَ ، أَيْسَلَبُ الشَّرَفُ الرَفِيعُ ؟
قَدْ رُمْتُ يَوْمَ نِزَالِهِمْ أَلَا تُحَصِّنَنِي الدَّرُوعُ
وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى القَمِيدِ صِ عَلَى الحَشَا شَيْءٌ دَفُوعُ
وَبَذَلْتُ نَفْسِي كِي تَسِي لَ إِذَا يَسِيلُ بِهَا النَّجِيعُ

(١) الأصل : أُسْرَعَتْ ، والتصويب عن دوزي (بنو عباد : ٢ / ٧٠) .

(٢) ورد هذا الشطر في ديوان شعر المعتمد (جمعه وحققه الأستاذ أحمد بدوي والدكتور حامد

عبد المجيد ، القاهرة ١٩٥١) ص ٨٨ : إِنْ يَسْلِبِ القَوْمُ العِدَا .

(٣) ورد في الهامش إزاء هذا الشطر :

* إِنْ يَسْلِبِ القَوْمُ العِدَا *

أَجَلِي تَأَخَّرَ ، لَمْ يَكُنْ — وَابَى ذُلِّي وَالْخُشُوعُ
مَا سَرْتُ قَطُّ إِلَى السَّكَاةِ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرُّجُوعُ
شَيْمٌ الْأُولَى أَنَا مِنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَتَبَعُهُ الْقُرُوعُ^(١)

وله :

لَكَ^(٢) الْحَمْدُ مِنْ بَعْدِ السِّيُوفِ كُبُولُ بِسَاقٍ مِنْهَا فِي السَّجُونِ حُجُولُ
وَكُنَّا إِذَا حَانَتْ لِحَرْبٍ^(٣) فَرِيضَةٌ وَنَادَتْ بِأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ طَبُولُ

(١) أورد ابن بسام هذه القصيدة بصورة أوفى (بنو عباد : ٣٠٣/١ - ٣٠٤) . وقد قال المعتمد هذا الشعر يصف حاله يوم اقتحم المرابطون إشبيلية وأخرجوه من قصره بعد أن استقر رأى يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف . وقد وصف عبد الواحد المراكشي خلع المعتمد على يد سير بن أبي بكر بن تاشفين ابن أخى يوسف بن تاشفين وأكبر قواده بعد قتال دام أياما (المعجب : ١٣٨ وما بعدها) . وكان أهل إشبيلية قد أعلنوا الثورة على المعتمد وانضموا إلى المرابطين ، فوجد المعتمد ألا فائدة من القتال واستسلم ، فأخذ هو والباقيون من أبنائه وبناته ونسائه وأرسلوا إلى الجزيرة الخضراء ، وفيها ركبوا مركباً حملهم إلى العدو ، حيث نقلوا إلى أعماق جنوب مراكش ، وظل المعتمد هناك إلى أن مات .

وقد زرت الموضع الذى يقال إنه قبر المعتمد ، وهو قبر متواضع داخل حجرة مهدمة في فضاء لا يعمره غير بعض الرعاة .

وقد زار هذا القبر ابن اللبابة الشاعر ، ورثى المعتمد في قصيدة مشهورة ، وزاره أيضاً لسان الدين بن الخطيب ورثاه .

ورواية عبد الواحد المراكشي للحوادث ظاهر فيها ميله إلى بنى عباد وبغضه للمرابطين ، وهو صدى لبغض الأندلسيين عامة للبربر الذين استقدمهم المنصور بن أبي عامر ليؤيد بهم سلطانه ، فكان من نتائج ذلك ما رأينا ، وكان عبد الواحد المراكشي من شيعة الموحدين المبغضين للمرابطين ، وكلامه على هذا ينبغى أن يقرأ بتحفظ .

قال ابن بسام (بنو عباد : ٣٠٦/١) : ووافاه حمامه بعد مرض شديد أصابه ، وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٤٨٨ . وكان مولده في ربيع الأول سنة ٤٣١ ، « ومن النادر الغريب أنه نودى في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظيم سلطانه وجلالة شأنه » .

وكل ما سيرويه ابن الأبار بعد ذلك من شعر المعتمد قاله في منفاه ، وهو أجمل شعره وأصدق .

(٢) الذخيرة (بنو عباد : ٣١٩/١) : له .

(٣) في الديوان (ص ١١) نقلا عن الذخيرة : لِنَحْرِ .

شهِدْنَا ، فَكَبَّرْنَا ، فَظَلَّتْ سَيُوفُنَا تُصَلِّي بِهَامَاتِ الْعِدَا فَتُطِيلُ [٢٥-ب]
سُجُودٌ عَلَى إِثْرِ الرُّكُوعِ مُتَابِعٌ^(١) هُنَاكَ وَأَرْوَاحُ الْكُفَا تَسِيلُ

وعلى هذه الحال من الاعتقال كان الشعراء ينتجعونه ويمتدحونه ، فيصل
بما لديه ، مَنْ يَقْدُ عَلَيْهِ ، أَوْ يُوَجِّهُ بِشِعْرِهِ إِلَيْهِ . وتعرض له أبو الحسن الحصري^(٢)
في طريقه إلى أغمات — بعد القبض عليه — بشعر يمدحه فيه ، فوجه إليه بسقة
وثلاثين مثقالا لم يكن عنده سواها ، وأدرج قطعة شعر طيها معذراً من قتلها .
وتسامع الشعراء بذلك ، فقصدوه من كل ناحية ، فقال :

شُعْرَاءُ طَنْجَةَ كُلُّهُمْ وَالْمَغْرِبِ ذَهَبُوا مِنَ الْإِغْرَابِ أَبْعَدَ مَذْهَبِ
سَأَلُوا الْعَسِيرَ مِنَ الْأَسِيرِ ، وَإِنَّهُ بِسُؤَالِهِمْ لِأَحَقُّ ، فاعجب^(٣) واعجب
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ لَخَمِيَّةٌ طَى الْحِشَا نَاظُهُمْ فِي الْمَطْلَبِ
قَدْ كَانَ - إِنْ سُئِلَ الْغَدَى - يُجْزَلُ ، وَإِنْ نَادَى الصَّرِيخُ بِيَابِهِ : أَرْكَبْ ! يَرْكَبِ

وله في الزهد :

أَرَى الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ لَا تَوَاتِي فَأَجِلْ فِي التَّصَرُّفِ وَالطَّلَابِ
وَلَا يَغْرُرُكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عَلَمَانِ مِنْ ذَهَبِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهَا رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهَا رَدَالٌ مِنْ تَرَابِ

(١) ورد هذا الشطر في الذخيرة (مخطوطة بغداد ، ورقة ١٢٦) :

* وفود على إثر الركوع متابع *

وقراء دوزي (بنو عباد : ٣١٩/١) :

* رقوع على أن الرقوع متابع !

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري الكوفي الذي ذكرناه آنفاً ، وقد روى

هذا الخبر بتفصيل ابن بسام في الذخيرة (مخطوط بغداد ، ورقة ٢٢ ب وما بعدها) .

(٣) في الديوان (ص ٩٠) نقلاً عن « الذخيرة » و « المعجب » : بِسُؤَالِهِمْ

لأَحَقُّ مِنْهُمْ فاعجب .

أبناء المعتمد رحمه الله :

١٢١ — عبيد الله بن محمد الرشيد ، أبو الحسين

ذكر أبو بكر بن اللبانة أن كبار أولاد المعتمد محمد بن عباد عبيد الله الرشيد هدا ، ثم المعتد أبو بكر عبد الله ، ثم المأمون أبو نصر الفتح ، ثم الراضي أبو خالد يزيد ؛ هكذا أسماهم . وقد قيل إن المعتد أصغرهم ، وإنما أراد بعد أبي عمرو عباد بن محمد سراج الدولة قتيل ابن عكاشة بقرطبة ، وإلا فهو بكر أولاده والمسمى باسم أبيه المعتضد .

قال : ووُلد للرشيد سبعة وأربعون ولدًا ، وكان دميًا رقيق حاشية الطبع ، [٧٦ - ١] طالع شيئًا من العلوم الرياضية ، وكشف له عن غيب / الأغاني ، حتى قيل إنه يجيد ضرب العود ؛ وكان له أدب وشعر .

وذكر غيره أن أباه المعتمد ولاه عهده ، وأنه قدّمه أيضًا إلى خطة القضاء بإشبيلية — محافظة على رسم سلفه في ذلك — فكان يجلس للأحكام جلوسًا عالمًا يوم الخميس ، ويحضر عنده أعيان الفقهاء وأهل العلم وثقات الشهداء ، وتُتجاذب عنده النوازل ، فيحكم فيها ، ويستفتى الفقهاء ، ويمضي من ذلك ما يجب على مذهب مالك وأصحابه ، وتنعقد عليه السجلات بالأحكام . وكان الذي يتولى القضاء للرشيد الفقيه المشاور أبو محمد عبد الله بن جابر اللخمي ، ثم صُرف عن ذلك ووُلّي أبو القاسم أحمد بن منظور القيسي . ولما نُقل بنو عباد إلى المغرب أسكن الرشيد منهم بقلعة مهدى ، وكان هنالك إلى أن توفى في حدود الثلاثين وخمسمائة وقد نيف على السبعين في سنه . ومن شعره يخاطب أم ابنه المعلى عند ولادتها إياه :

أهنيك ، بل نفسي أهني ، فإنني بلغت الذي كان اقتراحي على الدهر :
 خلاصك من أيدي المنون وغرة بدت للمعلّى مثل دائرة البدر
 كأنني^(١) به عما قريب مُملّكا زمام المعالي نافذ النهي والأمر
 يقود إلى الهيجاء كل غَضَنَقَرٍ ويضرب من ناواه بالبيض والشمر
 فقرت به عيني وعينك في العلا ولا زال أسمى في المحلّ من الغفر

وجرى بمجلس أبيه قسيم في صفة القبة المسماة بسعد السعود — وهي قبة
 بالقصر الزاهي — فمعجز من حضر من الشعراء عن إجازته ، فقال الرشيد مرتجلا :

سعد السعود يتيه فوق الزاهي وكلاهما في حسنه متناه
 ومن اغتدى وطناً لمثل محمدٍ قد جلّ في علياه عن أشباه
 لا زال يخلد فيهما ما شاءه ودهت عداه من الخطوب دواه
 وله :

قالوا : غداً يوم الرحيل ، فأمطرتُ عيني دمعاً واكف العبرات
 / لم لا ؟ وأنأي عن أحبة مهجتي كرهاً ، فقلبي دائم الحسرات [٧٦-ب]
 من كل بيضاء العوارض طفلة مثل البـدور تضيء في الظلمات
 لولا الرجاء بأن يُعجّل بيننا وشك التلاقي لاشتبهت مماتي
 وعتب عليه أبوه المعتمد في طريقه من مكناسة إلى أغمات عتبا أفرط فيه ،
 فكتب إليه يستعطفه :

يا حليف النـدى وربّ السّماح وحبیب النفوس والأرواح

(١) الأصل : كأنك .

مِنْ تَمَامِ النُّعْمَى عَلَى التَّمَاحِ لِحْجَةً مِنْ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
 قَدْ غَنَيْنَا بِبِشْرِهِ وَسَنَاهُ عَنْ ضِيَاءِ الصَّبَاحِ وَالْمَصْبَاحِ
 ذَاكَ حَظَى مِنَ الزَّمَانِ ، فَإِنْ جَا دَ بِهِ لِي بَلَغْتُ كُلَّ اقْتِرَاحِ
 فَأَجَابَهُ الْمُعْتَمِدُ :

كُنْتُ حِلْفَ الْوَدَى وَرَبَّ السَّمَاحِ وَحَبِيبَ الْفُؤُوسِ وَالْأَرْوَاحِ
 إِذْ يَمِينِي لِلْبَذْلِ يَوْمَ الْعَطَايَا وَلَقَبُضِ الْأَرْوَاحِ يَوْمَ الْكَفَاحِ
 وَشِمَالِي لِقَبْضِ كُلِّ عِنَانٍ يُقَيِّمُ الْخَيْلَ فِي مَجَالِ الرِّمَاحِ
 وَأَنَا الْيَوْمَ رَهْنُ أُسْرٍ وَقَفَرٍ مُسْتَبَاحُ الْحِمَى مَهِيضُ الْجَنَاحِ
 لَا أَجِيبُ الصَّرِيخَ إِنْ حَضَرَ الْبَا سُنُّ وَلَا الْمُعْتَفِينَ يَوْمَ السَّمَاحِ
 عَادَ بِشْرِي الَّذِي عَهْدَتَ عَبُوسًا شَغَلْتُي الْأَشْجَانُ عَنْ أَفْرَاحِ
 فَالْتِمَاحِ إِلَى الْعَبُوسِ كَرِيهٌُ وَلَقَدْ كَانَ نَزْهَةً اللَّمَّاحِ

١٢٢ — يزيد بن محمد الراضى ، أبو خالد

ولاه أبوه الجزيرة الخضراء ، وكان بها عند إجازة عساكر ابن تاشفين
 اللعتنى البحر واشترطه إياها ، فنقله إلى رُنْدَةَ ؛ وهو شقيق عَبَادِ الْفَتْحِ
 وعبيد الله المعتد^(١) بنى المعتمد ، أمهم اعتماد ، وقد تقدم ذكر ذلك وذكر حُظُوتِهَا
 [٧٧ - ١] لديه . وقيل إن المعتضد غاظه / ما بلغه من غلبتها على المعتمد أول ما اشتراها ،

(١) سبق أن ذكره ابن الأبار باسم عبد الله .

فتوجه إليه عازماً على عقابه^(١) ومعتقداً التَّنْكِيلَ به ، والمعتمد إذ ذاك بِشَلْبِ
بِإِعْمَالِهِ له ، وقد وَلَدَتْ منه أكبرَ أولاده سِرَاجَ الدَّوْلَةِ عِبَاداً . فأمرها أن تتلقاه
به لتعطفه رؤيته عليها ، فكان ذلك كذلك ، ورقَّ له المعتضدُ وفترَ عزْمُهُ على
الإيقاع به .

وكان الراضى من أهل العلم والأدب ، كَلِيفاً بالمطالعة والدراسة ، قرأ كتب
القاضى أبى بكر بن الطيب^(٢) ، وأشرف على مذهب أبى محمد بن حزم الظاهرى ،
فهر فى الأصول وذهب إلى النظر والاختيار .

قال ابن اللبانة : ولد الراضى سبعةً من البنين ، وهو أقل بنى عباد الرؤساء
ولداً ، وكان على الهمة ، عالماً بالشرعيات ، واقفاً على الطبيعيات ، ذا كراً للعرب
وأنسابها ، حافظاً للغاتها وآدابها .

قال : وهو شاعر بنى عباد بعد أبيه ، على أنه أقوى عارضةً منه ، وأبوه
الطف طبعاً وأرق صنماً . واستنزل الراضى من رُنْدَةٍ عند خلع أبيه ، وبعد
بِمُخَاطَبَتِهِ أياه بذلك على عهد أخفرت وموائق نُقِضَتْ ، فقتل صبراً فى رمضان
سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وهو القائل فى النسب :

مَرَّوْا بِنَا أَصْلًا مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ فَأَوْقَدُوا نَارَ شَوْقِي أَيْ إِيْقَادِ
وَأَذْكُرُونِي أَيَّامًا لَهَوْتُ بِهِمْ فِيهَا ، فَفَازُوا بِإِيْثَارِي وَإِحْمَادِي
لَا غُرُوْا نَزَادَ فِي وَجْدِي مَرُورُهُمْ فَرُؤْيَةُ الْمَاءِ تُذَكِّي غُلَّةَ الصَّادِي

وله يخاطب أباه ، وقد أنهض جماعةً من إخوته دونه ، وبعث بها مع
بعض بنيه :

(١) الأصل : عقبه ، وقرأها دوزى (بنو عباد : ٧٥/٢) : عتبه .

(٢) المراد أبو بكر بن الطيب الباقلانى .

أَعِيذُكَ أَنْ يَكُونَ بِنَا خُمُولُ وَيَطْلَعُ غَيْرُنَا ، وَلَنَا أَفُولُ
 حَنَانُكَ ، إِنْ يَكُنْ جُرْمِي قَبِيحًا فَإِنَّ الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِي جَمِيلُ
 وَإِنْ عَثَرْتُ بِنَا قَدَمٌ سَفَاهَا فَإِي مِنْ عِثَارِي مُسْتَقِيلُ
 وَأَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ بِهِ عَزِيزُ يَنَادِيهِ فِيرْجُهُ ذَلِيلُ
 وَهَآنَذَا أَنَادِيكُمْ ، فَهَلْ لِي إِلَى قَرَبٍ مِنَ الرَّحْمَى سَبِيلُ ؟
 [٧٧-ب] / وَأَنْتَ الْمَلِكُ تَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ فَمَا لَكَ ظَلَمْتَ يُغْضِبُكَ الْقَلِيلُ ؟
 أَلَسْتُ بِفِرْعَكَ الزَّاكِي ، وَمَاذَا يُرْجَى الْفِرْعُ خَاتَمُ الْأُصُولُ ؟
 بَعَثْتُ بُرْقَعَتِي هَذِي رَسُولًا صَغِيرَ السِّنِّ لَيْسَ لَهُ حَوِيلُ
 لَتَرْحَمَهُ وَأَفْرَاخًا إِذَا مَا عَتَبْتَ عَلَى عَادَ لَهُمْ عَوِيلُ
 بَقِيَتْ لَهُمْ عَلَى عَتَبٍ وَعُتْبَى فَإِنَّ حَيَاتَكَ الظِّلُّ الظِّلِيلُ

وله يخاطبه أيضا مسلماً عن هزيمة جيش له بناحية لوزقة كان عليه
 ابنه المعتد :

لَا يُنْكِرُ نَنْكَ^(١) خُطْبُ الْحَادِثِ الْجَارِي فَمَا عَلَيْكَ بِذَاكَ الْخُطْبِ مِنْ عَارِ
 مَاذَا عَلَى ضَيْغَمٍ أَمْضَى عَزِيمَتِهِ أَنْ خَانَهُ حَدُّ أَنْيَابٍ وَأُظْفَارِ ؟
 مَنْ يُوقِظُ الْحَرْبَ لَا يُنْكِرُ حَوَادِثَهَا قَدْ تَحْرَقُ النَّارُ يَوْمًا مُوقَدَ النَّارِ
 لَنْ أَتَوَكَ فِنْ جُنُبٍ وَمِنْ خَوَرٍ قَدْ يَنْهَضُ الْعَيْرُ نَحْوَ الضَّيْغَمِ الضَّارِ
 عَلَيْكَ لِلنَّاسِ أَنْ تَسْعَى لِنَصْرِهِمْ وَمَا عَلَيْكَ لَهُمْ إِسْعَادُ أَقْدَارِ
 لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي أَنْ تَدُومَ لَهُمْ بَكَوًا ، لِأَنَّكَ مِنْ ثَوْبِ الصُّبَا عَارِ
 وَلَوْ أَطَاقُوا انْتِقَاصًا مِنْ حَيَاتِهِمْ لَمْ يُتَحَفَوْكَ بِشَيْءٍ غَيْرِ أَعْمَارِ*

(١) أى لا يسوءك . انظر اللسان ٢ / ٤٨٥ .

وهى طويلة ، وجل شعره فى استعطاف أبيه المعتمد لطول موجدته عليه ،
والاعتذار فى كل حين إليه . ومن ذلك قوله :

سَجِيَّةُ ذِي الدُّنْيَا عِدَاوَةٌ ذِي الْفَضْلِ وَرَوْحُكَ نَقْلَ الطَّبِيعِ مِنْ أَكْثَرِ الْجَهْلِ
فَصَبْرًا عَلَى ضِيقَاتِهَا فَلَعَلَّهَا تُفَرِّجُ يَوْمًا ، وَالْعُقُودُ إِلَى حُلِّ
وَلَا تُضْمِرَنَّ الشُّكْلَ إِنْ كُنْتَ ذَا حِجَابٍ فَايِسْ لِيَبَاءٍ مِنْ يَبِيتَ عَلَى نُكُلٍ
سَأَشْكُو إِلَى مُشْكِي فَوَادِي بَعْثَبِهِ وَمِنْ عَجَبِ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى النَّصْلِ
أَمْعَمَدَ الْأَمْلاكَ ، دَعْوَةٌ آمَلٍ رِضَاكَ فَلَا ضَاقَتْ إِلَى غَيْرِهِ سُبُلِي
/ وَلَسْتُ - وَإِنْ أَضْحَى بَعِيدًا - بِيَأْسٍ فَإِنْ دَمَوْعَ الْمَزْنِ تَهْوِي إِلَى سُفْلٍ [٧٨ - ١]
لَكَ الْخَيْرُ لَمْ أَعْلَمْ بِأَنَّكَ مِنْكَرٌ - إِذَا الشَّمْسُ آذَنَتْ - فَرَارِي إِلَى الظِّلِّ
فَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ فَحَسْبِيَ عَفْوُكُمْ وَقَلْبِي مَا زَلَّ الرِّجَالُ ذَوُو الْعَقْلِ
وَكَمْ حَقَّنَ الْأَمْلاكَ قَبْلَكَ مِنْ دَمٍ وَكَانَ لَدَيْهِمْ سَفْكُهُ كَجَنِّي النَّحْلِ
يُورِّقُنِي ظَنِّي بِجَدِّي وَنَقْصِهِ وَيُرْقِدُنِي عِلْمِي بِمَا لَكَ مِنْ فَضْلِ
لَعَمْرِي لَنْ كُنْتُ الْجَدِيرَ بِزُفْقَةٍ لَدَيْكَ ، فَهَذَا الْفَرْعُ مِنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ

وله من قصيدة :

مَا لِي أَرَى ذَا السِّيفِ عِنْدَكَ عَاطِلًا وَهُوَ الْمَصَّمُّ إِنْ سِوَاهُ تَبَلَّدَا ؟
مَا لِي حَرَمْتُ رِضَاكَ لِي ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَرْهَبُ مِنْ زَمَانٍ أَنْكَدَا ؟
إِنِّي وَحَقِّكَ وَاجِدٌ بَيْنَ الْحَشَا مِنْ أَجْلِ سُخْطِكَ مِثْلَ حَزٍّ بِالْمُدَى
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَعَفْوُكَ وَاسِعٌ أَوْ إِنْ يَكُنْ بَغْضٌ فَقَدْ بَانَ الرَّدَى
قَدْ كَانَ مِنْ حَقِّي - لَعَمْرِي - أَنْ أَرَى مِنْ بَيْنِ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مُحَسَّدَا
فَأَنَا الْجَوَادُ مَتَى أَجِيءُ فِي حَلْبَةٍ فَاتَتْ عَيُونَُ النَّاضِرِينَ لِي الْمُدَى

لَا تَنْحَلُوا شِعْرِي سِوَايَ تَشْكُكَا ۖ فَالَسَّقَطُ قَدْ يُغَشِي الْعَيُونَ إِذَا بَدَا

وقوله يصف نكد أيامه :

هي الدارُ غادرَةٌ بالرجال ۖ وقاطمةٌ لجمال الوصال
وكلُّ سرورٍ بها نافذٌ ۖ وكلُّ مقيمٍ بها لارتحال
وموعدها أبداً كاذبٌ ۖ فإن أنجزته فبعدَ المطال
فمن رام منها وفاءً يدومُ ۖ ومكثاً لها رام عينَ المحال
خُلقنا نياماً ، وظلَّتْ خيالاً ۖ وأوشكُ شيءُ فراقُ الخيال
/ نُعَذِّبُ منها بغير اللذيد ۖ ونشرق منها بغير الزلال
[٧٨ - ب] ۖ ونزداد - مع ذاك - عشقاً لها
ألا إنما سعيُّنا في ضلال^(١)

وقوله في مثل ذلك :

يَحُلُّ زَمَانُ الْمَرْءِ مَا هُوَ بِقَادُ ۖ وَيَسِيرُ فِي إِهْلَاكِهِ وَهُوَ رَاقِدُ
وَيُغْرَى بِأَهْلِ الْفَضْلِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ ۖ جَنَازَةُ ذُنُوبٍ ، وَهُوَ لَكُلِّ حَاقِدُ
سِينُهُ مَبْنِيٌّ ، وَيُقْفِرُ عَامِرٌ ۖ وَيَصْفِرُ مَمْلُوءٌ ، وَيَحْمَدُ رَاقِدُ
وَيَفْتَرِقُ الْأَلْفَ مِنْ بَعْدِ صَحْبَةٍ ۖ وَكَمْ شَهَدَتْ مِمَّا ذَكَرْتُ الْفِرَاقِدُ

وله في قصيدة يجاوب بها أباه ، وقد خاطبه طاعناً عليه وهازئاً به :

أَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكُو ۖ نَ كَمَنْ غَدَا فِي الدَّهْرِ نَادِرُ

(١) أضاف دوزي هنا بيتاً غير موجود في الأصل وهو :

كعشوقة ودها لا يدوم ۖ وعاشقها أبداً غير سال

ولم يذكر مصدره ، ومن المعروف أنه نشر ما نشر من « الحلة » عن النسخة التي عملت من نسختنا للمكتبة الأهلية في باريس ، فلعل الناسخ أضافه من عنده أو من مصدر آخر لم يعينه .

هيهات ذلك مطعم أعيان الأوائل والأواخر
لا تس يا مولاي قولة ضارح لا قول فاجر
ضبط الجزيرة عندما نزلت بعقوتها العساكر
هبنى أسأت كما أسأت ، أما لهذا العتب آخر ؟
هب زلتى لبـنوتى واغفر ، فإن الله غافر

وأول قصيدة أبيه :

المُلك في طيِّ الدفاتر فتخلَّ عن قود العساكر
طف بالسريّر مسلماً وارجع لتوديع المناير
واطمن بأطراف اليراع ، نصيرت ، في ثغر الحابر
واضرب بسكين الدوا ة مكان ماضى الحدّ باتر
أولست رِسْطاليسَ إن ذكر الفلاسفة الأكابر ؟
وكذاك إن ذكر الخلية ل فانت نحوى وشاعر
/ وأبو حنيفة ساقط في الراى حين تكون حاضر
مَن هُرْمُس ، مَن سيهوى مَن ابن فورك إذ تُناظر ؟
هذى المكارم قد حوى ت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فإنك طاعم كاس ، وقل : هل من مُفاخر ؟^(١)

[٧٩ - ١]

(١) ذكر ابن خاقان في « قلائد العقيان » (بولاق ١٢٨٣ ، ص ٣١ - ٣٣) ظنّوف هاتين القصيدتين . وخلاصتها أن المعتمد عندما وصل لورقة وجد أن خصمه - والأغلب أنه المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس - قد أرسل إليها جيشاً ليحول بين المعتمد وبينها ، فطلب المعتمد إلى ابنه الراضى أن يقود جيشاً للقاء العدو ، « فأظهر التمارض والتشكى ، وأكثر التّعاس والتلكى . . ورأى أن المطالعة أرجع من المقارعة ، ومعاناة العلوم أريح من مداواة . . »

١٢٣ - يحيى بن محمد المدعو بشرف الدولة ، أبو بكر

قرأ في حياة أبيه على أبي عبد الله مالك بن وهيب^(١) وأبي الحسن بن
الأخضر بإشبيلية ، ونشأ خاملاً وتعيش من كتب الوثائق بمرّاكش . وهو
القائل وقد دعاه المقدم للحسبة من قبل القاضي أبي محمد بن أبي عرجون ليكتب
له ، وكان أمياً جاهلاً :

عجباً لدهرٍ كلُّ ما فيه عجبٌ قدّم سماً ونبيه قومٍ قد رَسِبَ
لا تنفعُ الآدابُ فيه وإن غدتُ تُعزى إلى ذى همةٍ على النسبِ
أوليس من نكد الزمان بأن أرى أدعى لا كتبَ صاغراً للمحتسبِ؟^(٢)

= الكلوم ، فقد كان عاكفاً على تلاوة ديوان ، عارفاً بإجادة صدر وعنوان » ، فيئس منه المعتمد^(٣)
وعهد إلى أخيه عبد الله المعتد في ذلك ، فخرج بالهيش وانهزم شرهزيمة ، وعاد إلى أبيه مفلولاً ،
فاشتد غضب المعتمد على ابنه الراضى ، خاصة وقد كتب إليه قصيدة (سبق أن ذكرها ابن الأبار)
يعزيه في الحسارة . ووضح أن انصراف الراضى عن الحروب كان سبب الخلاف الطويل بينه
وبين أبيه المعتمد . وكان أبوه قد ولاه رندة ، فاستنزله القائد المرابطى جرور الحشمى عنها بأمان ،
ثم ضرب عنقه بعد ذلك سنة ٤٨٤ . وقد أورد ابن الأبار مختاراً من القصيدتين ، وهما بتأملهما
عند ابن خاقان في الموضع المشار إليه آنفاً .

(١) أبو عبد الله مالك بن وهيب فقيه أندلسى ، أصله من إشبيلية ، اشتهر أمره أواخر
أيام المرابطين بمساجلة كانت بينه وبين محمد بن تومرت في مراكش في أوائل دعوته ، ويقال
إن ابن تومرت أفحمه ، فنصح مالك على بن يوسف بن تاشفين بقتله . وقد روى الحادثة معظم
مؤرخى الموحدين .

انظر : كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين لأبي بكر الصنهاجى المعروف
بالبيدق (تحقيق ليثى پروفسال ، باريس ١٩٢٨) ص ٦٨ ، والمعجب لعبد الواحد المراكشى
ص ١٨٥ - ١٨٦ ، وانظر أيضاً : ابن خلكان ، وفيات الأعيان (القاهرة ١٩٤٨) ترجمة
٦٦٠ ج ٤ / ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) بفتح السين ، وسيجىء تفسير ذلك .

خَسَفَ أُسَامُ بِهِ وَتَأَبَّى هِمَّةٌ نَحْمِيَّةٌ إِلَّا الصِّيَانَةَ لِلْحَسَبِ
أَرَادَ بِالْمَحْتَسَبِ — مَفْتُوحِ السَّيْنِ — أَنَّهُ — لِفَدَامَتِهِ — كَالْمَيْتِ الَّذِي
أَحْتَسِبُ .

١٢٤ — حكم بن محمد المدعو بذخر الدولة ، أبو المكارم

قرأ أيضاً على ابن وهيب وتأدب به ، ومال إلى الهجاء في خوله فتخومى
لسانه ، وتجول بأقطار المغرب ، ثم استقر بمدينة فاس يكتب الوثائق — كأخيه
المذكور قبله — إلى أن توفى . وكتب إليه بعض أصحابه :

تَسَامَى الْحِكْمُ	مَذْ شَاهَا حَكْمُ
فَخَرَّ الطَّرْسُ بِهِ	وَتَبَاهَى الْقَلَمُ
وَزَهَتْ لَنَحْمُ بِهِ	فَهُوَ فِيهَا عِلْمُ
مِنْ صَنَادِيدِ عُلَا	بِالثَّرْيَا خِيَمُوا
آلُ عِبَادٍ وَقَلُ :	آلُ أَعْجَادٍ هُمُ
إِنْ سَطَا الدَّهْرُ بِهِمْ	فَكَفَى مَجْدُهُمُ

فجاوبه بقوله :

/ مَا لِمَجْدِ عِلْمُ	وَالزَّمَانُ حَكْمُ
وَقَضَايَاهُ غَدَا	جَوْرُهَا يَحْتَكُمُ
رَأْدُ الشُّؤْمِ بِهِ	مِجْبَرٌ أَوْ قَلَمُ
وَنَبِيْسُهُ فُطْنُ	بَيْتَ شِعْرِ يَنْظُمُ

دَرَسَ الْقَضْلُ بِهِ وَتَفَانَى الْكِرْمُ
 وَغَدَا كُلُّ أَخٍ وَدَّهِ يُتَهَّمُ
 غَيْرُ خِلٍّ مَاجِدٍ فَضْلُهُ مُنْتَظَمُ
 سَفَرَتْ عَنْهُ لَنَا كَلِمٌ ، بَلْ حِكْمُ
 عَظُمَتْ إِذْ أَنْظَمَتْ مُجَدَّ قَوْمٍ عُدِمُوا
 صَاحِرٍ إِنَّا عَرَبٌ مَلَكَتْهَا عَجَمُ
 كُلُّ فَضْلٍ وَنَهَى عَدَمٌ عَنْدَهُمْ
 آهَ مِنْ دَهْرٍ غَدَا جُرْءُهُ يُهْتَضَمُ
 آلُ عِبَادٍ بِهِ غَائِرٌ بِجَبْهَتِهِمْ
 لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ وَمَحَا رَسْمَهُمْ
 لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى خُلْبٌ أَوْ حُلْمُ
 هَلْ إِلَى أَنْدَلَسٍ نَظْرَةٌ تُفَتِّمُ ؟

١٢٥ — مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ صَادِحِ التَّجِيبِيِّ المَعْتَصِمِ بِاللَّهِ

الْوَائِقِ بِفَضْلِ اللَّهِ ، أَبُو يَحْيَى

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 صَادِحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَهَاجِرِ بْنِ عَمِيرَةَ — الدَّخَلُ إِلَى
 الْأَنْدَلُسِ — ابْنِ الْمَهَاجِرِ بْنِ سُرَيْحٍ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَفِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

عبد الله يجتمعون مع محمد بن هاشم^(١) وأهل بيته التجيبين ولاية سرقسطة

(١) بنو صمادح التجيبون وبنو هاشم فرعان لأسرة واحدة من أصحاب الثغر الأعلى ، وأصلهم كلهم من العرب الذين استقروا في إقليم أرغون من أيام الفتح . وكان أول ظهورهم أيام الأمير محمد ، وكان جدهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح يلى دروكة Daroca شبه مستقل فيها ، فاستعان به الأمير محمد في القضاء على بنى قسى أصحاب الثغر الأعلى ، وكانوا يحكمون شبه مستقلين في هذه الناحية منذ أيام الفتح ، وأعطى الأمير محمد عبد الرحمن بن صمادح ولاية قلعة أيوب بالإضافة إلى دروكة مكافأة له ، وقد اضطر محمد بن موسى بن موسى بن فرتون Furtuno رأس بنى قسى إذ ذاك إلى التنازل عن سرقسطة لرايموند كند بليارش Pallars ثم انتزعها الأمير محمد من هذا الأخير وأضافها إلى عبد الرحمن بن صمادح ، فأصبح هذا الأخير سيد الثغر الأعلى كله من قلعة أيوب إلى جبال البُرت (البرانس) . واستمر هذا إلى أيام ابنه محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأنقر (أى الأعور) . ثم تمكن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح من القضاء على آخر بنى قسى وهو محمد بن لب ، فقتله سنة ٨٥٧/٢٤٤ وانفرد بالثغر الأعلى .

أما بنو هاشم ففرع آخر من ذلك البيت التجيبى ، وجدهم هاشم بن محمد المعروف بالأنقر هو جد هذا الفرع (انظر الجدول) . وكان الأمير عبد الله قد استعان بمحمد الأنقر في كسر شوكة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح وآله الذين استبدوا بالثغر الأعلى وربطوا علاقاتهم بالممالك النصرانية في الشمال ، وانتهى الأمر بأن صار هاشم بن محمد الأنقر صاحب سرقسطة والثغر الأعلى كله ، واكتفى عبد الرحمن بن محمد بن صمادح ببلدة وشقة وحصنها وخلفه أبناؤه عليها .

وقد أنجب هاشم بن محمد ابنين ، أحدهما هذيل الذى دخل في خدمة الناصرو صار من بين وزرائه وقواده ، والثانى أبو يحيى محمد الذى ورث ولاية الثغر الأعلى عن أبيه ، وخلفه ابنه المطرف ثم ابن هذا عبد الرحمن الذى قتله المنصور بن أبى عامر في المؤامرة التى اشترك فيها مع عبد الله بن المنصور وغالب الناصرى كما ذكرناه ، وخلفه ابنه يحيى المعروف بسماجة ، ثم يحيى ، ثم منذر وهو الذى استبد بالثغر بعد انتشار الخلافة ، ثم يحيى ، ثم منذر الذى قتله ابن عمه المسمى عبد الله بن حكم . وكان قتله الضربة القاضية على هذا الفرع .

أما الفرع الثانى - فرع صمادح بن عبد الرحمن - فقد ظل يحكم وشقة حتى أخرج سليمان ابن هود آخرهم أبا يحيى محمد منها في المحرم سنة ٤٣١ . وبذلك انتهى تاريخ بنى صمادح وبنى هاشم التجيبين في الثغر الأعلى ، ولجأ أبوالأحوص معن وأبو عتبة صمادح ابنا أبى يحيى محمد إلى عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن أبى عامر في بلنسية كما يحكى ابن الأبار ؛ وإليك جدولاً يبين تسلسل البيتين : =

عميرة (أول من دخل منهم الأندلس)

المهاجر

عبد الله

عبد العزيز

عبد الرحمن

عبد الرحمن

صمادح

محمد الأنقر

عبد الرحمن

هاشم (توفى ٩٣٠ / ٣١٨)

محمد

أبو يحيى محمد

هذيل

عبد الرحمن

أحمد

المطرف

يحيى وزير الناصر
(قتله المنصور بن أبي عامر
سنة ٩٨٩ / ٣٧٩)

أبو يحيى محمد

عبد الرحمن

يحيى سماجة

أبو عتبة صمادح (توفى أبو الأحوص معن) أول من
(استبد بالمرية من بني صمادح)
(١٠٥٤ / ٤٦٤)

يحيى

أبو محمد يحيى المعتصم
(توفى ١٠٩١ / ٤٨٤)

المنذر

يحيى

عز الدولة أحمد

رفيع الدولة

عبد الله

أبو جعفر

المنذر (قتل)

(أول من استبد بالثغر الأعلى)

رشيد الدولة

سنة ١٠٣٩ / ٤٣١)

أيام الطوائف . توفى ٤١٤

(١٠٢٣ /

وأمرائها فى الفتنة وقبلها ، وأمه بُرَيْهَة بنت الناصر عبد الرحمن بن المنصور محمد ابن أبى عامر . وكان جده أبو يحيى محمد بن عبد الرحمن والياً على وشقة ، وهى وما والاها دار هؤلاء التجيبين من الثغر الشرقى بالأندلس .

ولما أخرج منها فى الفتنة صار إلى أبى الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبى عامر صاحب بلنسية — ويلقب بالمنصور — فأكرمه وأوطنه بلده ، وصاهر ابنه مَعْنَاً أبا الأحوص وصمادحاً أبا عتبة : زوجهما أختيه . ثم رأى اللحاق بالمشرق فهلك غرقاً فى البحر ، وكان اليمُّ أقصى أثره .

وبقى ابنه مَعْنٌ فى كنف صهره عبد العزيز بن أبى عامر ، فقدّمه على المريّة ، لما صارت من عمله بعد مقتل زُهَيْر العامرى بمدة قريبة / وذلك فى سنة [٨٠ - ١] اثنتين وثلاثين — وقيل ثلاث وثلاثين — فاستبد بضبطها إلى أن هلك سنة ثلاث وأربعين ، فأجلس بنو عمه ورجاله ابنه أبا يحيى محمد بن مَعْن هذا ، وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنة .

وقد كان أبوه أخذ البيعة له فى حياته وأحكم أمرها ، بعد أن عرضها على أخيه أبى عتبة صمادح فدفعها وأبى قبولها ، فتمت له الإمارة بعد أبيه وسمى نفسه بـ « معز الدولة » . فلما تلقب سائر أمراء الأندلس بالألقاب الخلافية ، تلقب هو أيضاً بـ « المعتصم بالله » و « الواثق بفضل الله » : لقبين من ألقاب خلفاء بنى العباس ، مناغاةً لصاحب إشبيلية عباد بن محمد لما تلقب بـ « المعتضد بالله المنصور بفضل الله » .

= انظر : R. DOZY : *Essai sur l'histoire des Tadjibides. Les Banū Hāchīm de Saragosse et les Banū Çomādih d'Almérie. Recherches*, I, pp. 211-291.

والنصوص التى أوردها دوزى فى آخر الكتاب ، ومنها نص ابن الأبار الوارد فى المتن .

وكان حسن السيرة فى رعيته وجنده وقرابته ، فانتظمت أيامه واتصلت دولته واستقامت أموره .

وقال أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر السالى فى تاريخه ، وذكر المعتصم هذا : كان رَحْبَ الفناء ، جزيل العطاء ، حليماً عن الدماء والدهاء ، فطافت به الآمال ، واتسع فيه المقال ، وأُعمِلَتْ إلى حضرته الرحال . قال : ولم يكن من فحولة ملوك الأندلس ، بل أخذ إلى الدعة ، واكتفى بالضيق من السعة ، واقتصر على قصر يمينيه ، وعَلَقَ يَقتنيه .

وكانت بينه وبين أصحابه ملوك الطوائف فتن مبيدة غلبوه عليها ، وأخرجوه من سجيته مكرهاً إليها . قال : وصاهر المعتصم إقبال الدولة على بن مجاهد العامرى ، وأنكحه ابنته ، وخاطب عنه أبو محمد بن عبد البر من دانية — يعنى عند زفافها إليه — برسالة بديعة .

وقال غيره : كان المعتصم ساكن الطائر ، مأمون الجانب ، حصيف العقل ، طاهراً ، معنياً بالدين وإقامة الشرع ، يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ، ويجلس يوماً فى كل جمعة للفقهاء والخوارج ، فيتناظرون بين يديه فى كتب التفسير والحديث . ولزم حضرته فحول من الشعراء كأبى عبد الله بن الحداد^(١) ،

(١) أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى ، ويسميه بعضهم مازن ، فى الطبقة الأولى من شعراء القرن الخامس الهجرى ، وقد اختص بمعن بن صمادح وقال فيه أمداحاً كثيرة . توفى سنة ١٠٨٧/٤٨٠ .

انظر عنه : الذخيرة لابن بسام ، مجلد ٢ قسم ١ ص ٢٠١ وما يليها .

تكلمة ابن الأبار ، ص ١٣٣ .

المغرب لابن سعيد : ١٤٣/٢ .

رايات المبرزين لابن سعيد ، ص ٢٣٤ .

وانظر بقية المراجع عنه فى المغرب والرايات فى الصفحات المبينة أعلاه .

وفيه استفرغ شعره ، وكان عبادة^(١) وابن ملك^(٢) والأسعد بن بليطة^(٣) وأبي العباس [أحمد بن قاسم المحدث^(٤) ، رغم] اتصافه بكثرة الجبن وقلة الجود ؛ وعلى ذلك قصده العلماء والأدباء .

وصدمته خيلُ المرابطين في آخر دولته وهو عليل علته التي مات منها ، فحاصروه وقاتلوه من مقا [مه في]^(٥) قصبة المرية وهو يعالج الموت ويقول أثناء

(١) أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزاز . اختصه ابن بسام بفصل طويل في الذخيرة (مجلد ٢ قسم ١) واختصه المقرئ بمادة طيبة في أزهار الرياض ، ٢٥٢/٢ . كان شاعر معن بن صمادح المقدم ، وهو غير عبادة بن ماء السماء . انظر : المغرب لابن سعيد : ١٣٤/٢ - ١٣٧ ، ورايات المبرزين لابن سعيد .

(٢) أبو بكر محمد بن مالك القرطبي ، اختصه ابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ٢٤٥ وما بعدها بكلام طويل . وكان على براعته في الشعر والنثر فقيراً معدماً لم تفارقه الحاجة حياته كلها .

(٣) الأسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبي الشاعر النادر المتوفى في حدود ١٠٤٨/٤٤٠ . ذكره ابن الفرضي ، ترجمة ٥٨١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ وابن حاقان في المطمح ص ٨٣ - ٨٤ وابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ٢٩٠ وما بعدها والمقرئ في النفح (طبعة أوربا) ١/٤٥٣ - ٤٥٥ وابن سعيد في الرايات ص ١٩٧ . وقد كان فارساً بأسلاً في نفس الوقت ، قال ابن بسام : « فارسٌ جحفلٌ ، وشاعرٌ محفلٌ ، فجرى في الميدانين ، وارتزق في الديوانين » . وذهب دوزي (بنو عباد : ٢٠/١ ، هامش ٦٦) إلى أن بليطة هي الكلمة الإسبانية *billete* ومعناها البطاقة .

(٤) يغلب على ظني أن أبا العباس المذكور في الأصل مبتور الاسم هو ابن قاسم هذا ، وقد ذكره ابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ٣٩١ . وابن الأبار يقتبس هنا من ابن حيان (راجع الذخيرة ، نفس القسم ، ص ٢٣٦ وما بعدها) ، وهو يقول في ص ٢٣٩ : « ولزمه جملة من فحول شعراء الوقت كأبي عبد الله الحداد وابن عبادة وابن الشهيد ، وغيرهم ممن لم يعلق بسواه سبباً . . » . وابن الشهيد هو أبو حفص عمر بن الشهيد . انظر عنه الذخيرة ، نفس القسم والمجلد ، ص ١٨٠ وما بعدها . وأعتقد أن ابن الشهيد هنا أصبح من أبي العباس أحمد بن قاسم . وأضفت كلمة « رغم » للسياق .

(٥) أكملت هذه العبارة بما يقيم السياق . وقد وردت هذه الحكاية في معظم مراجعنا نقلاً عن ابن حيان ، ولكن كل واحد منها تصرف فيها وحكاها كما شاء (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١ . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٤٧ - ٤٨ . ابن عذاري ، =

[٨٠ - ب] ذلك : « نُغَصِّ / علينا كلُّ شيءٍ حتى الموت ! » إلى أن هلك بعد ذهاب
المرابطين عنه — وقيل : توفي وهم يحاصرونه في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين
وأربعمائة — فكانت مدة إمارته بالمرية أربعين سنة ، أشبه في ذلك خاله^(١)
عبد العزيز بن المنصور صاحب بلنسية ، فإنه وُلِّيَ سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وتوفي
سنة اثنتين وخمسين .

ومن شعر المعتصم وقد توفيت إحدى كرائمه فكتب من قصره وأمر
بمواراتها :

لما غدا القلبُ مفجوعاً بأشوده وفُضَّ كلُّ خِتامٍ من عزائمِهِ
رَكِبْتُ ظَهْرَ جَوَادِي كِي أُسَلِّيَهُ وقلتُ للسيف : كن لي من تمامِهِ

وله ، وكتب به إلى بعض حُرَمِهِ في رقعة طيرها إليها في جناح حمامة :

وَحَمَلْتُ ذَاتَ الطُوقِ مِنِّي تَحِيَّةً تكون على أفقِ المريةِ مُجَمَّراً
تُبَلِّغُ مِن وُدِّي إِلَيْكُمْ رَسَائِلًا بأعْبَقَ مِن نَشْرِ العَبِيرِ وَأَعْطَراً

وكتب إلى ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار مراجعاً ومعاتباً :

وزهدني في الناسِ معرفتي بهم وطولُ اختباري صاحباً بعدَ صاحب
فلم تُرني الأيامُ خِلاًلًا تُسرُّني مبادئه إلا ساءني في العواقبِ

= البيان المغرب : ٣/ ١٦٨ . وقد رأيت ابن خاقان يقول : « فأكثر القتال إنما كان تحت مجلسه
الذي كان به مضجعه ، وفيه تألمه وتوجهه . » فاسترشدت بهذه العبارة في تقويم ما أسقط ناسخ
الحلة السيرة .

(١) الأصل : حاله ، وكذلك قرأها دوزي ، والصحيح : خاله ، لأن عبد الملك
ابن عبد العزيز الملقب بالمنصور صاحب بلنسية كان خال أبي يحيى محمد بن معن بن صامح هذا .
(انظر : الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ٢٣٨) .

ولا قلتُ أرجوه لدفع مائة من الدهر إلا كان إحدى النوائب
وكتب إليه ابنُ عمار يسأله السراح وهو ضيف عنده :

يا واثقاً فضح السحا بـ الجود في معنى السباح
ومطابقاً يأتي وجو هـ الجد من طرق المزاح
أسرفت في برّ الضيو ف ، نخذ قليلاً في السراح

فراجع المعتصم بقوله ، وهو أشعر منه في الجواب :

يا فاضلاً في شكره أصلُ المساء مع الصباح
/ هـا رفقت بمهجتي عند التسكّم في السراح ؟
إن السباح ببعدكم والله ليس من السباح

[٨١ - ١]

وله في جدول :

انظر إلى حسن هذا الماء في صَبَبِهِ كأنه أرقمٌ قد جدّ في هربه
كذا قال هذا البيت فرداً ، وقد تقدم ذكرُ الخلاف في مثله : هل هو شعر
أم لا .

وكان الذي بينه وبين المعتمد محمد بن عباد غير صالح ، فكتب إليه المعتمد
وقد اتهمه بالسعي عليه عند يوسف بن تاشفين أمير المغرب :

يا مَنْ تَمَرَّسَ لي يريدُ مساءتي لا تَقْرِضَنَّ فقد نصحتُ لَمَنْدَمٍ
مَنْ غَرَّه مني خلائقٌ سهلةٌ فالشّم تحتَ لِيانِ مَسِّ الأرقمِ
ثم تحرك ابنُ تاشفين من العدو بعد وقعة الزّلاقة ، وأجاز البحرَ إلى
الأندلس ، وتقدمه سير بن أبي بكر ، فلم يخرج إليه المعتمد لبطالة كان فيها
منغمساً . وكانت أولُ وحشة وقعت بينهما . ثم توجهوا جميعاً إلى حصن

أَلَيْبُطٌ^(١) من أعمال لورقة - وقد تغلب عليه النصارى - فخرج المعتصم ليلقاهم
وَيُنْزِلُهُمْ مُؤَدِّيًّا حَقَّ ابْنِ تَاشَفِينَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَأَخْبَلَهُ الْمُعْتَصِمُ بِتِيَّاسُورِهِ عَنْ طَرِيقِ
لِقَائِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

يَا بَعِيداً وَإِنِّ دَنَا كَمْ تَمْنَيْتُ قُرْبَكَ
أَنْتَ حَسْبِي مِنَ الْمُنَى لَيْتَنِي كُنْتُ حَسْبَكَ

وتلاقيا بعد ذلك عند ابن تاشفين في تلك الغزوة ، والمعتصم قد تزوّج بحمل

(١) في الأصل : أَلَيْبُطُ ، وقد قومتها بما يتفق مع الرسم الجارى في بقية مراجعنا العربية ،
وهو لَيْبُط . وألَيْبُطُ أقوم ، لأنه أقرب إلى الرسم الإفرنجى Aledo وهو حصن كان بين لورقة
ومرسية . وكان يوسف بن تاشفين بعد أن انتصر في وقعة الزلاقة في عبوره الأول ، قد صمم على
المسير نحو طليطلة في عبوره الثاني (ربيع الأول ٤٨١ / يونيو ١٠٨٨) ، ولكن هذا الحصن
كان يقع في الطريق ، وكان ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون قد حصنه ووضع فيه قوة
تقدر بألف فارس واثني عشر ألف مقاتل ، كانت تغاور نواحي مرسية ولورقة والمرية ، فأراد
يوسف بن تاشفين الاستيلاء عليه ، ودعا ملوك الطوائف إلى أن يوافوه بقواتهم عنده ، ولكنه
استبان من اختلافهم بعضهم مع بعض وعدم إخلاصهم في الجهاد ما جعله يرفع الحصار عنه بعد
أن كاد يستولى عليه ، فلم يكن قد بقى من القوات التي فيه إلا مائة فارس وألف راجل . وانسحب
يوسف بن تاشفين وقد عول على خلع ملوك الطوائف ، وبعد انسحابه تبين ألفونسو السادس
أنه لن يستطيع الدفاع عن الحصن إذا هاجمه المرابطون مرة أخرى ، فأخلاه وهدمه (٤٨٣ -
٤٨٤) .

انظر : روض القرطاس ، ص ٩٩ .

الحلل الموشية ، ص ٤٩ - ٥٠ .

مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بقرناطة (تحقيق ليثى بروفنسال ، القاهرة
١٩٥٥) ص ١٠٨ - ١١٣ .

مقالنا : الشجر الأعلى الأندلسى وسقوط سرقسطة . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ،

مجلد ١١ ج ٢ سنة ١٩٤٩ ، ص ٩١ - ١٤٣ .

ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (الترجمة العربية لمحمد

عبد الله عنان) الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩١ - ٩٢ .

العمامة ولبس البرنس يتقرب بذلك على عزمه ، فنظر إليه المعتمد ، وفهم المعتصم أنه يهزأ به وانصرف ؛ فضاحك المعتمد في ذلك من جالسه من وزرائه . وأهدى ذو الوزارتين أبو الحسن بن اليسع منهم عشي ذلك اليوم من نرجس ، فكتب إليه المعتمد معرّضاً بابن صمادح :

أزِف الصيامُ وزار نُورُ النَّرْجِسِ فَلَقَيْتُ زورته بَحْثُ الأَكُوسِ
في ليلة دارت على نجومها حتى سَكِرْتُ بكفِّ قوتِ الأنفُسِ
خَوْدُ تَمَلَّكَتِ القَوَادَ فريدةً بَنَدَى الثنايا والحِيا المِشْسِ
/ وجعلتُ نُقْلِي ذِكْرُ مُوَصِّلِ زَفَرْتِي فَجَمَعْتُ أَشْتَاتَ العُنى في مجلسي [٨١-ب]
ولقد ذكرتُ فزاد عيني قُرَّةً هُونُ السَّبَالِ وخِزْيُ ربِّ البرنسِ

وحكى أبو بكر بن اللبانة أن المعتصم كتب إلى المعتمد :

شكرى إبرك شكرُ الروضِ للمطرِ ونَفَحُ بِشْرِي به أذكى من الزَّهْرِ
وجاءني مُخْبِرٌ عنه ، فقلتُ له : بالله قلْ وأعدْ يا طيِّبَ الخبرِ
يا واحداً علماً في كلِّ مَنْقَبَةٍ جَلَّتْ ، ويا ثالثاً للشمس والقمرِ
لئن حُرمتُ لقاءَ منك أشكره لقد حَلَّتْ سوادَ القلب والبصرِ

فراجع المعتمد :

أنفحةُ الروضِ رَقَّتْ في صَبَا السَّحَرِ من بعدِ ما بات والأنداء في سَمَرِ ؟
لا ، بل تَحِيَّةُ تَحْضِي الودِّ بَلَّغَهَا برُّ شريفُ المعالي ماجدُ النَّفَرِ
أما لَعَمْرُ أبي يحيى لقد وصلتُ من به صلة أحلى من الظَّفَرِ
يا من وردتُ الوفاء الغمرَ مُرتوياً من عهده إذ يُساقى الناسَ بالغَمَرِ
أحرزتُ سرَّو السجايا ثم قارنه ظَفَرُ اللسانِ اقترانَ الكأسِ بالوترِ

إذا اعتبرتُ من الأخلاق أنفَسَها كنتَ المنافسَ فيه السامى القَدَرِ
عليك منى سلامٌ لا يزالُ له فرضٌ تؤديه آصالٌ إلى بُكرِ
وقصده أبو الوليد النَّحْلِي^(١) في أسمال دنسة ، والناس بالمرِيَّة قد لبسوا
البياض ، فكتب إليه :

أيا مَنْ لا يُضاف إليه ثانٍ وَمَنْ فَتَحَ العُلا بابًا فبابًا
أيجمل أن تكون سوادَ عيني وأبصر دون ما أبغى حجابًا
ويمشى الناس كلُّهم حَمَامًا وأمشى بينهم وحدى غُرَابًا ؟
فوصله المعتصم وكساه ، وكتب إليه مراجعًا :

[٨٢ - ١] وردتَ وليلِ البهيم مطارفٌ عليك وهذى للصباح بُرودُ
وأنت لدينا ما بقيتَ مقربٌ وعيشُك سَلَسَالُ الحمام بُرودُ

١٢٦ — ابنه عبيد الله عز الدولة ، أبو مروان

كان أبوه المعتصم قد أنقذه في آخر دولته رسولاً إلى يوسف بن تاشفين
— عند كونه بغرناطة — فاعتقل وقيد ، فكتب إلى أبيه :

أبعدَ السَّنَا والمعالي خُولُ وبعد ركوب المذاكي كُبولُ ؟

(١) ذكره ابن بسام في الذخيرة (مخطوطة بغداد ، ورقة ٢٥٣ اوب) دون أن يعرف به ، بل لم يزد على ذكر اسمه إلا قوله : الأديب أبو الوليد المعروف بالنحلي ، وقال إنه كان نابغة دهره ونادرة عصره ، وقال إنه : « لم يصد دراهم ملوك عصره » ، « وكان يضحك من حضر ولا يبتسم هو إذا ندر » ، تم أورد طائفة من شعره وخبراً بديل على تقدير المعتمد بن عباد له .

وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ حُرًّا عَزِيزًا أَنَا الْيَوْمَ عَبْدٌ أَسِيرٌ ذَلِيلٌ ؟
 حَلَلْتُ رَسُولًا بَغْرِنَاطَةً فَلََّ بِهَا بِي خُطْبٌ جَائِلٌ
 وَتَقَّتُ إِذْ جِئْتُهَا مَرَسَلًا وَقَدْ كَانَ يَكْرَمُ قَبْلِي الرَّسُولُ
 فَقَدْتُ الْمَرِيَّةَ ، أَكْرَمُ بِهَا فَمَا لِلْوَصُولِ إِلَيْهَا سَبِيلُ

فراجعه أبوه :

عَزِيزٌ عَلَيَّ ، وَنَوْحِي ذَلِيلُ عَلَى مَا أَقَاسِي ، وَدَمْعِي بِسِيلُ
 لَقَطَّعَتِ الْبَيْضُ أَغْمَادَهَا وَشَقَّتْ بَنُودٌ وَنَاحَتْ طَبُولُ
 لَن كُنْتُ يَعْقُوبَ فِي حُزْنِهِ وَيُوسُفَ أَنْتَ ، فَصَبْرٌ جَمِيلُ

ثم لم يزل المعتصم يتحجّل في تخليصه حتى أخذ من حراسه وهرب به على البحر ، فوافى المريّة وهنئ أبوه بخلاصه^(١) . وبعقب ذلك توفي المعتصم ، وقد حاصره المعتونيون وبارزوه بالعداوة .

وكان ابنه معز الدولة أحمد وليّ عهده والمرشح لمكانه من بعده ، فعهد إليه أن يلحق ببلاد ابن حماد من شرقي العذرة ، إذا سمع بخلع ابن عبّاد ، فامتثل ذلك لأشهر من وفاة أبيه .

وذكر أبو عامر السالمى عن معز الدولة مثل هذا ، وأنه وليّ بعد أبيه المعتصم ،

(١) كان أبو يحيى محمد بن معن المعتصم صاحب المريّة من أشدّ أمراء الطوائف مكرراً وحيلة ، وكان يرقب الحوادث بعد نزول المرابطين الأندلس ويجهّد في أن يمكر بيوسف بن تاشفين لعله يتركه على إمارته . وكان يوسف عندما بدأ في عزل ملوك الطوائف في جوازه الثالث قد بدأ بغرناطة وصاحبها عبد الله الزيرى ، فاستنزله واحتل غرناطة في شعبان ٥٨٦ / سبتمبر ١٠٩٠ ، فعجل المعتصم فأرسل ابنه عبيد الله هذا ليهشء يوسف بن تاشفين بذلك ، فقبض يوسف على عبيد الله وأودعه السجن ، واجتهد أبوه في خلاصه حتى تمكن من ذلك ، إذ هرب به في مركب نقلته من مالقة إلى المريّة . وعقب ذلك مباشرة أرسل يوسف قائده عبد الله بن واسينوا للاستيلاء على المريّة .

وبقى بالمريّة إلى وقت القبض على المعتبد محمد بن عباد ، ثم ركب البحر على وجهه في قطع أعدّها لفراره ، وأسلم المريّة وأعمالها ، وذلك في رمضان / من سنة أربع وثمانين وأربعمائة — وقد قيل في شعبان .

قال : وليوم آخر دخلها أصحاب ابن تاشفين ، وكانت إذ ذاك يحاصر مُندُوشَر^(١) على عشرين ميلاً منها .

وقصد معز الدولة بِجَاية فأقام فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر بن علّناس ابن حماد بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي وفي كنفه ، وقد كان ما بينهما قبل ذلك جميلاً ؛ ويقال إن المنصور أنزله بِتَنَس من أعماله الغربية .

قال إسماعيلي : وعز الدولة أبو مروان عبّيد الله بن المعتصم كان رسول أبيه إلى ابن تاشفين . وذكر اعتقاله ، والأبيات التي خاطب بها أباه ، ومراجعته إياه ، ووصف خلاصته كما تقدم . قال : وبقي إلى أن فرّ أخوه — يعني معز الدولة إلى بجاية ، ولجأ هو إلى أحد المرابطين لأذمة كانت بينهما ، إلى أن انقضى أمدّه بين آسٍ وكاس . قال : وحضر مع الأمير يحيى بن أبي بكر غزوته إلى طليطلة^(٢) ،

(١) كتبها ابن عبد المنعم الحميري (الروض المعطار رقم ١٧٧ ص ١٨٥) : مندوجر وقال إنها على مرحلة من المريّة ، وقال ليثي بروثنسال في تعليقه على الترجمة الفرنسية لنفس الكتاب (ص ٢٢٤ من الترجمة تعليق رقم ١) : هي Mondújar . أو بالضبط Santa Fé de Mondújar ، قرية صغيرة تابعة لمركز المريّة من مديرية المريّة على ٢٠ كيلومتراً منها على نهر أندَرَشْ Andarax .

(٢) الغالب أن المراد هنا يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان من قواد علي بن تاشفين في المغرب والأندلس . والحملة على طليطلة المشار إليها هنا كانت سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ - ١١١١ م ، وكان علي بن يوسف بن تاشفين قد انتهز فرصة اشتغال ألفونسو السادس بالحرب مع زوجته أوراكا فيسير جيشاً ضخماً نحو طليطلة ، وكان علي يقود الحملة بنفسه ، فاستولى على كثير من المدن والقلاع والحصون ، منها مجريط ووادي الحجارة وطلبيرة ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء على طليطلة .

فلما شارفها وضرب بساحتها أخيبته ، سقط أحد ألويته من يد حامله وانكسر
الرمح ، فتطير قوم وتفاءل آخرون ، فقال عز الدولة :

لم ينكسر عودُ اللواءِ لطيرةٍ يُخشى عليك بها وأن تتأوّلا
لكن تحقّق أنه يندقّ في نحر العدو لدى الوغى فتمجّلا

ونظير هذا ما ذكر عن أبي الشَّعْمَق ، في خروجه مع خالد بن يزيد بن
مزيد الشيباني إلى الموصل عندما قلدها ، فلما دخلها ومر بأول درب منها اندق
اللواء ، فاغتم خالد لذلك وعظّم عليه ، فقال أبو الشعمق بديها يسليه عن ذلك ،
وأجاد ما أراد :

ما كان مندقّ اللواء لريبةٍ تُخشى ولا أمرٍ يكون مزيّلا
لكنّ هذا الرمح أضعف مثنه صغرُ الولاية فاستقلّ الموَصِلا

فسرّ خالد بما صدر منه في الحين ، وسرّي عنه وأحسن إليه .
وقرأت في بعض ما طالعته من أخبار ملوك الطوائف بالأندلس ، أن أبا بكر
ابن اللبانة كتب إلى عز الدولة هذا ، لما توفي أبوه المعتصم وخلع هو وسائر
إخوته وقد وافاه منتجعاً :

/ يا ذا الذي هزّ أمداحي بحليته وعزّه أن يهزّ المجدّ والكرما [٨٣-١]
واديك لا زرع فيه [كنت] ^(١) تبذله نخذ عليه لأيام العنى سلما
فوجه إليه بما أمكنه ، وكتب معه :

= انظر : يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، الترجمة العربية ،
ص ١٤٠ - ١٤١ .

محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية
في مدريد ، المجلدان ٧ و ٨ سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ - ١٤٠) .

(١) أضاف دوزي (ص ١٧٦) هذه الكلمة ، وقال إنها غير واردة في المخطوط .
وبها يستقيم الوزن .

المجدُّ يُخْجَل مَنْ يَفْدِيكَ فِي زَمَنِ ثَنَاهُ عَنْ وَاجِبِ الْبِرِّ الَّذِي عَلِمَا
فَدُونَكَ النَّزْرَ مِنْ مُصَنَّفٍ مَوَدَّتِهِ حَتَّى يُوفِيكَ أَيَّامَ الْمَنَى السَّامَا

١٢٧ - أخوه رفيع الدولة بن المعتصم

ذكره أبو عمرو عثمان بن علي بن الإمام^(١) في كتابه الموسوم بـ « سِمَطُ
الْجَمَانِ وَسِقَطُ الْأَذْهَانِ » ولم يسمِّه وكنّاه أبا يحيى ، وكذلك كنّاه أبو عامر
السالمى في تاريخه ، وكنّاه صاحبُ المَطَمَحِ « أبا زكريا » . ولم يكن في بنى
صمادح أشعر منه ، إلا أن الخمول أخنى على محاسنه ، وبقي إلى آخر دولة الممتونيين .
وذكر أبو علي حسن بن عبد الله الأشيرى في كتاب « نَظْمُ اللَّالِي فِي فَتُوحِ
الْأَمْرِ الْعَالِي »^(٢) من تأليفه ، أن رفيع الدولة هذا كان بتلمسان أثيراً عند واليها
حينئذ ، أبى بكر بن مَزْدَلِي ، وذلك في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، والموحدون ،

(١) ترجم له ابن الأبار في التكلة (رقم ١٨٣٣ ج ٢ ص ٦٦١) وقال إنه من أهل
شلب ونزل إشبيلية ، وقال إنه « كان من علماء الأدباء بليغ القلم واللسان معروفاً بالإجادة
والإحسان . كان كاتباً متقدماً وشاعراً مجيداً ، له تأليف في شعراء عصره . توفى بعد الخمسين
 وخمسمائة » . ويغلب أن الكتاب الذى أشار إليه ابن الأبار هو « سقط الجمان وسقيط المرجان »
الوارد ذكره في نفح الطيب ، وقد ورد ذكر هذا الكتاب في كشف الظنون بصورة أخرى هي
« سمط الجمان وسقط المرجان » .

انظر : پونس بوجس ، رقم ١٨١ ص ٢٢٤ .

(٢) في الأصل : الأمر العالى ، وهو خطأ . وأبو الحسن على بن عبد الله الأشيرى / كاتب
 وشاعر من أهل تلمسان ، توفى سنة ١٠٧٣/٥٦٩ - ١٠٧٤ ، وكتابه هذا في تاريخ الموحدين ،
 والأمر العالى إشارة إلى الدعوة الموحدية . وقد ذكر صاحب « الحلل الموشية » نفس الكتاب وأورد
 قطعة بما نقل ابن الأبار منه هنا (انظر ص ١٠٧ من الحلل) .

أعزهم الله ، إذ ذاك بالجبل المعروف بما بين الصخرتين^(١) يحاصرونها . وحكى أن ابن أخيه أبا يحيى بن عز الدولة كان معه ، وأنهما قالَا شعراً في ذلك شاركهما فيه ابن الأشيري ، وسيأتى بعد — بحول الله — عند ذكر ابن عز الدولة في المائة السادسة .

ومما أنشده السالمى لرفيع الدولة هذا :

سطا ظبي الخميّة ، يالْقومي ! على أسدِ العرينَةِ واستطالا
فأوترَ قوسَ حاجبه اختيالاً وفوق من لواظِه نبالاً
وله :

وأهيف لا يلوى على عتبِ عاتبٍ ويقضى علينا بالظنونِ الكواذبِ
يحكمُ فينا أمره فنطيعه ونحسب منه الحكمَ ضربةَ لازِبٍ
وله :

مالى وللبدر لم يسمح بزورته لعله ترك الإجمالَ أو هجراً

(١) الإشارة هنا إلى دور من أدوار الصراع بين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين آخر أمراء المسلمين من المرابطين وعبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين . وكان عبد المؤمن يحوس بقواته من هرغة وهنتاة وغيرهما من قبائل الموحدين بنواحي شمال المغرب الأقصى يجمع طاعة القبائل وتاشفين يلاحقه ليفسد خططه . وفي أول ذلك العام (سنة ٥٣٩) استولى عبد المؤمن على جبال غمارة وضم هذه القبيلة إلى سلطانه ، ثم انتقل إلى الغرب وحاصر تلمسان ، وكان يحكمها أبو بكر ابن القائد المرابطي الكبير مزدلي بن سلكان . ونزل جيش عبد المؤمن عند « الجبل المعروف بما بين الصخرتين » المذكور هنا ، وهو موضع بين قمتين عاليتين تعرفان بصخرتي طرني . والبكري يسمى الجبل نفسه جبل طرني ، بفتح الطاء وكسرهما . ومن هذا المرتفع استطاع عبد المؤمن أن يراقب جيش تاشفين . وقد استنجد تاشفين بحليفه ابن حماد الصنهاجي صاحب بجاية ، فأمدّه بجيش يقوده طاهر بن لَسَّاب ، فانهزم أولاً ، ثم انضم إلى عبد المؤمن والموحدين . انظر : الحلل الموشية ص ١٠٧ وترجمته الإسبانية التي قام بها .

إن كان ذاك لذنوبٍ ما شعرتُ بهِ فأكرمُ الناسِ من يعفو إذا قدرا

[٨٣ - ب] / وله :

هذه ديارهم التي ذكّرني عهد الصبا وحديثه المعسولا
ما كان أجلّ عهدهم وفعالهم لو كان فعلك يا زمان جميلا

وله :

حبيبٌ إذا ينأى عن العين شخصه يكاد فؤادي أن يطير من البين
ويسكن ما بين الضلوع إذا بدا كأنّ على قلبي تمام من هين

وله :

ألا أيها الظبي الذي راق وجهه ورقّت حواشيه ، وناهيك من حسن
يظن أناسٌ أنتى بك مغرمٌ لعمر الهوى ، ما أخطأ القوم في الظنّ

وله :

وعلقته حلّو الشائل ماجنا خنث الكلام مرنج الأعطاف
مازلت أنصفه وأوجب حقه لكنه يأبى من الإنصاف

وله ، وقد رويت لغيره :

سلي الركب عن نجدٍ فإن تحية لساكنٍ نجدٍ قد تحملها الركب
وإلا فما بال المطي على الوجا خفافاً ، وما للريح حرجفها^(١) رطبٌ ؟

وله :

أبا العلاء كؤوسُ الراح مُترعةٌ وللندى سرور في تعاطيها

(١) الحرجف الريح الباردة ، وريح حرجف : باردة . اللسان : ٣٩١/١٠ . والوجا :

السرعة .

وللغصون ثننٍ فوقها طربًا وللحمام سجعٌ في أعاليها
فاشرب على النهر من صهباء صافية كأنما عُصرت من خد ساقها
وله :

ماكرٌ إلى القصفِ أبا عامرٍ فإنما نُجِّحُ الفتى في البُكرِ
من قبل أن يمسحَ كفُّ الصِّبا دمعَ الغوادي من خدود الزَّهرِ
هذا البيت مثل قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي في قصيدة يمدح بها
الرشيدَ عبيدَ الله بن المعتمد محمد بن عباد أولها :

قَمِّ هاتِها مِن كَفِّ ذاتِ الوِشاحِ فقد نَمَى اللَّيلَ بِشِيرِ الصِّباحِ
واحْلُلْ عُرَى نَوْمِكَ عن مَقْلَةٍ تَمْلُكُ أَحْداقًا مِراضًا صِباحِ
/ خَلَّ الكرى عنكَ ، وخذ قهوةً تُهْدِي إلى الروحِ نَسِيمَ ارتِياحِ [٨٤-١]
هذا صَبُوحٌ وَصَّباحٌ فما عَذَرَكَ في تَرْكِ صَبُوحِ الصُّباحِ
بادِرْ إلى اللذاتِ وارْكَبْ لها سوابِقَ اللّهُوِ ذواتِ المِراحِ
من قبل أن ترشَفَ شمسُ الضحى ريقَ الغوادي من ثغور الأَفاحِ
أردت هذا البيت .

ولرفيع الدولة يعتذر عن وسيم في إنسان عينه ما يشينه :

قالوا : حبيبك في إنسان مقلته مثلُ الحِبابَةِ إذ تطفو على الراحِ
فقلت : بينهما في ذلكم شبهة كَلَّتْها تَبْعَثانِ الشُّكْرَ لِلصَّاحِ
وله :

لئن منعوا عني زيارةَ طيفهم ولم أُلَفِ في تلكِ الديارِ مقيلا
فما منعوا ريحَ الصِّبا سَوَقَ عَرَفِهم وقد بَكَرتُ تَنْدَى عَلى بَلِلا

ولا منعوني أن أعلّ بذكرهم فؤاداً بما يجنى الصدودُ عليلاً
وله يعاتب :

أفدى أبا عمرو وإن كان جانباً على ذنوباً لا تُعدّد بالعتبِ
فما كان ذاك الودّ إلا كبارقِ أضواء لمينى ثم أظلم عن قربِ
وله في المدح :

تُرْمى إذا عَليقتُ أسيافه عَلياً كأنه في خدود البيض توريدُ
يهتز عطفك في يوم الوغى طرباً كأن وقع سيوف الهند تغريدُ
تُعنى بذكرك أزمانٌ والسنة كأن ذكرك إيمانٌ وتوحيدُ
وله :

إذا ما الأمرُ أخفق فيه سعى وضاق مرأته من كلِّ بابِ
فلا تقنطُ فإن الله يأتي بفتحٍ لم يكن لك في حسابِ

١٢٨ - المتوكل بن المظفر بن المنصور ، أبو محمد

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي بن الأفطس^(١) .

[٨٤ - ب] قال ابن حَيَّان : كان عبد الله بن مسلمة رجلاً من مكناسة ، / وكان سابور العامري — أحد صبيان فائق الخادم فتى الحَكَم ، يعنى المستنصر بالله — قد انتزى ببطليوس وثرع الغرب ، فصحبه عبد الله وظاهره ، ورمى إليه بأموره ، فدبر أعماله ، وتزيد في الغلبة عليه حتى صار كالمستبد به . فلما هلك سابور

(١) لم يرد ذكر لبني الأفطس بين التجبيين الأندلسيين الذين ذكرهم ابن حزم في الجمهرة .

ورث سلطانه بعده ، فاستولى على الأمور ، وتلقب بالمنصور . ثم أفضى الأمر لابنه محمد ، وتلقب بالمظفر^(١) .

ولابن حيان أيضاً قول أبسط من هذا في أولية بني الأفطس ، يأتي ذكره إن شاء الله تعالى . قال : ومن النادر الغريب انتمائه في تَجِيب ؛ وبهذه النسبة مدحته الشعراء إلى آخر وقته ، منهم ابنُ شرف القيرواني حيث يقول :

يا ملكاً أمست تُجِيبُ به تحسُد قحطانَ عليها نِزَارُ
لولاك لم تَشْرِقْ مَعْدُ بها جلَّ أبو ذَرٍّ فجَلَّتْ غِفَارُ

وكانت وفاة المظفر سنة ستين وأربعمائة^(٢) ، فوَلَّى بعده ابنه يحيى بطليوس وتسمى بالمنصور . وكان أخوه عمر المتوكل بِيَابِرَة^(٣) وما إليها من الثغر الغربي ،

(١) إليك تسلسل الحكام في بطليوس وما تبعها من غرب الأندلس (يابرة ، الأشبونة ، شترين ، قلمرية وما إليها) :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة (المنصور) : تولى ١٠٢٢/٤١٣ وتوفي في ١٧ ربيع الثاني ٤٣٧/٣٠ ديسمبر ١٠٤٥ .

أبو محمد بن عبد الله بن مسلمة (المظفر) : تولى ٤٣٧/١٠٤٥ وحكم حتى ٤٥٦/١٠٦٣ .

يحيى المنصور : تولى ٤٥٦/١٠٦٣ وتوفي ٤٦٠/١٠٦٧ .

عمر المتوكل أخو يحيى ، أعطاه أبوه يابرة : تولى ٤٦٠/١٠٦٧ ونازع أخاه يحيى وحاربه حتى قتله المرابطون سنة ٤٨٧/١٠٩٤ . توفي هذا فأصبح عمر المتوكل أميراً على إمارة بطليوس كلها .

(٢) هذا هو القول السائد ، ولكن پريتو بيبس عثر على عملة باسم ابنه وخليفته يحيى المنصور ، مؤرخة في سنة ٤٥٦ ، ولهذا عدلنا سنة وفاته في الجدول في التعليق السابق .

Cf : PRIETO VIVEZ, *op. cit.* p. 66.

(٣) يابرة Évora بلدة في جنوب البرتغال الحالية ، وهي عاصمة مديرية الميتهجو Almetejo على ١١٧ كيلو متراً بالسكة الحديدية من الأشبونة .

انظر : الروض المعطار ، ص ١٩٧ من النص العربي وص ٢٣٩ من الترجمة الفرنسية ، تعليق رقم ١ .

ثم استوثق له ^(١) الأمرُ بموت أخيه يحيى — بعد منافسة طويلة بينهما كادت تفسد حالهما — واحتل حاضرة بطليوس ، وجعل ابنة العباس عمر ^(٢) بياطرة وصار إليه أمر طليطلة وقتاً ، وجلَّ شأنه .

ولما عظم عيث الطاغية أذفونش بن فرذلند ، وتطاول إلى الثغور ، ولم يقنع بضرائب المال ، انتدب للتطوُّف على أولئك الرؤساء القاضي أبو الوليد الباجي ، يندبهم إلى لم الشعث ومدافعة العدو ، ويطوف عليهم واحداً واحداً ، وكلهم يصغى إلى وعظه ^(٣) .

وازدلف خلال ذلك إلى سبته أمير المغرب حينئذ — أبو يعقوب يوسف ابن تاشفين اللمتوني — حسبة ورغبةً في الجهاد ، وقد دانت له بلادُ العدو ، وسأل من سقوت بن محمد صاحب سبته أن يُبيح له فرض ^(٤) الإجازة إلى الأندلس ، فأبى وتمنع من ذلك ، فأفتى الفقهاء بقتاله لصدده عن سبيل الله ، فقتل هو وابنه في خبر طويل . وفتح الله على ابن تاشفين سبته ، وأمكنه الحصول على مراده بذلك ^(٥) .

وعلم المعتمدُ محمد بن عباد تصميمه على نيته ، فخاطب جاريته : صاحب

(١) أى لعمر المذوكل . (٢) يبدو أن لفظ عمر هنا زائد .

(٣) اجتهد أبو الوليد الباجي في دعوة ملوك الطوائف إلى الاتحاد وترك التشاحن للوقوف أمام العدو المشترك ، فلم يصغ إليه واحد منهم ، بل كانوا « يستبردون نزعتهم » كما تقول النصوص .

(٤) جمع فرضة ، والمراد طنجة وسبته .

(٥) سبق أن ذكرنا خبر سقوت ، ويكتبه ابن خلدون بالكاف . ونضيف إلى ما أوردناه عن ابن خلدون ما رواه ابن بسام من كلام ابن حيان في الدخيرة (القسم الثاني ، مخطوطة بغداد ص ٤٠٦ — ٤١١) وهو أوسع ما لدينا عنه وعن ملوكه وأبنائه في طنجة وسبته .

وانظر كذلك المعلومات المستقاة من النعمانية التي أوردتها پريتو بيبس في كتابه الآنف الذكر :

بطليموس وصاحب / غرناطة ، في تحريك قاضيها إلى حضرته للاجتماع بقاضى [٨٥ - ١] الجماعة بقرطبة . فوصل من بطليموس قاضيها أبو إسحاق بن مقانا ، ومن غرناطة قاضيها القلبي ، واجتمعا في إشبيلية بالقاضى أبى بكر بن أدهم ، وانضاف إليهم الوزير أبو بكر محمد بن أبى الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون^(١) . وتوجهوا جميعاً إلى ابن تاشفين ، على شروط لا تتعدى إلى غيرها . ووصلوا إلى الجزيرة الخضراء - وعليها يزيد بن المعتمد ، الملقب بالراضى - ثم أجازوا البحر منها ، واجتمعوا بابن تاشفين مرةً بعد مرة . وتفاوضوا في مكانٍ تنزله العساكر ، فأشار ابن زيدون بجبل طارق ، وسُئل الجزيرة الخضراء فلم يُوجد سبيلاً إليها ، فما قبل بشكر ولا لوم ، وأصدره وأصحابه دون علم بالمراد . ومشاوره الفقهاء من ابن تاشفين تستتب ، وقتوأم لا تغب ، فلم يُرْعَ إلا الشروعُ في الإجازة ، ولم يُشْعَرْ إلا والجزيرة الخضراء في مثل حلقة الخاتم من الجيوش الكثيفة^(٢) .

(١) المعلومات التى يقدمها ابن الأبار هنا تلقى ضوءاً على الظروف التى عبر فيها يوسف بن تاشفين إلى الأندلس . ومن الثابت أن عمر المتوكل بن الأفطس كان أول من استغاث بيوسف بن تاشفين فظراً لأن بلاده كانت تتعرض للخطر المباشر ، إذ أن ألفونسو السادس استولى على قلمرية وشنترة وغيرها من بلاده وأصبح من الواضح أن هدفه التالى بطليموس نفسها ، فأرسل كتاباً كتبه ابن أيمن عن لسانه ، ثم أرسل كتاباً ثانياً ، وبدأ يوسف بن تاشفين يستعد للمسير . ويبدو كذلك أن فقهاء كثيرين من الأندلس وفدوا عليه يستصرخونه . وعندما رأى ابن عباد ذلك خطا الخطوة التى يذكرها ابن الأبار بعد أن كان يوسف بن تاشفين قد قرر العبور إلى الأندلس . وقد تطورت الظروف بعد ذلك تطوراً بعيداً كما ترى من التفاصيل التى يوردها صاحب الحلل الموسية وابن عذارى وابن بسام وابن الخطيب والأمير عبد الله الزيرى في مذكراته وغيرهم من مؤرخينا ، وكذلك ما يرد في المراجع النصرانية من تفاصيل . والموضوع كله في حاجة إلى دراسة جديدة .

(٢) كان هذا العسكر الأول بقيادة القائد اللمتوفى داوود بن عائشة . وأحسن تفصيل لذلك ذكره الأمير عبد الله الزيرى في مذكراته المعروفة بالتبيان (تحقيق ليثى بروثنسال ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وفُتحت لهم أبوابها ، وأُخرجت إليهم مرافقها ؛ فطير الراضى حماماً إلى أبيه بذلك ، فأذنه بتركها والارتحال عنها إلى رُندة ، ففعل .

واطردت الإجازة ، ثم تحركت العساكر إلى إشبيلية ، وردفهم ابنُ تاشفين ونزل بظاهرها . وبلغه على أثر ذلك موتُ ابنه أبي بكر^(١) ، فخيرَه حتى لَهمَّ بالانصراف عن وجهه ، ثم آثر الجهاد ، وأنفذ مَزْدَلِي^(٢) إلى مراكش .

وبعد قراره بظاهر إشبيلية لحق صاحب غرناطة في نحو ثلاثمائة فارس ، وأخوه تميم من مالقة في نحو مائتين ، فنزلا على ضفة النهر الأعظم . ثم لحق لصاحب المرية عددٌ من الخيل صُحبة وَلَدِه ، وتقدم ابنُ تاشفين مستعجلاً في حركته إلى بطليوس ، وابن عباد وراءه . فخرج إليهم المتوكل ، وأوسعهم برّاً وتضييفاً ، وتلومت العساكر بظاهرها في المضارب أياماً ، إلى أن قصدهم أذفونش وتلاقوا

(١) أبو بكر سير بن يوسف بن تاشفين ، يبدو أنه كان أكبر أبناء يوسف بن تاشفين ، وكان قد رشحه لولاية العهد ، ولكنه مرض قبل رحيل أبيه يوسف إلى الأندلس للمرة الأولى ، فتركه مريضاً في سبتة ، وقبيل معركة الزلاقة بلغه خبر موته ، فرشح بعده لولاية العهد ابنه الثانى هل بن يوسف . انظر :

FRANCISCO CODERA Y ZAIDIN, *La Familia real de los Benitexufin en Estudios críticos de Historia Arabe Espanola*, segunda serie, Madrid 1917 p. 75 - 166.

(٢) أبو عبد الله مزدلى بن سلنكان قائد مرابطي كبير من قبيلة لمنونة ، استترك في جميع أعمال يوسف بن تاشفين العسكرية في الأندلس ، وقاد الجيوش أيضاً في أيام علي بن تاشفين . توفى في معركة عنيفة سنة ٥٠٨/١١١٥ مع جيوش ملكة قشتالة بعد الحملة التي وجهها إلى طليطلة ومنطقتها في سنة ٥٠٧ هـ . . .

انظر بحثنا عن سرقسطة والنغر الأعلى في عهد المرابطين . مجلـ كـلية الآداب بجامعة القاهرة ، مجلد ١١ ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ ، ص ١١٣ - ١١٤ وكذلك كتاب « نظم الجمان » لابن النقطان بتحقيق الدكتور محمود مكى ، طـ . تطوان سنة ١٩٦٣ ، ص ١٩ ، حاسية رقم ١ .

بالزَّلَاقَة^(١) ، على مقربة من بَطْلَيَوْس ، يومَ الجمعة في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، فكان الظهور للمسلمين ؛ وفي ذلك يقول ابن جمهور^(٢) أحد أدباء إشبيلية :

لم تعلم العجم إذ جاءت مصممةً يومَ العروبة أن اليوم للعرب

ونكل المتوكل يومئذ وغيره من الرؤساء ، وكان فيه للمعتمد ظهورٌ مشهور .

ثم صدر ابن تاشفين / ظافراً ، وأجاز البحر إلى العدو صادراً ، وتحرك إلى [٨٥ - ب] الأندلس بعد مجاهدٍ لأعدائها ، وناظراً في خلع رؤسائها ، والمعتمدُ إذ ذاك أعظمهم شوكةً وأشهرهم نجدةً ؛ فلما قبض عليه لم تقم لسايرهم قائمة ، ومزقوا كل ممزق . وفي ذلك يقول ذو الوزارتين أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن أحمد ، المعروف بابن الحاج اللُّورقي^(٣) :

(١) الزلاقة موضع صغير يسمى اليوم Sagrajas على أحد نهيرات وادي آنه المسمى نهر جيريرو Guerrero على نحو ١٢ كيلومتراً شمالى بطليوس Badajoz ، وكان أول من حدد مكان الموقعة بالدقة زايبولد :

Cf : SEYBOLD, *Die geographische Lage von Zalláka und Alárcos*.
Revue Hispanique. Tome XV, 1906, p. 647,

ثم أكد تحقيق زايبولد رامون منندز بيدال :

R. MENÉNDEZ PIDAL, *La Espana del Cid*. I, 539.

وانظر : الروض المطار لابن عبد المنعم الحميري ، رقم ٨٤ ص ٨٣ وما يليها وص ١٠٣

من الترجمة الفرنسية تعليق رقم ١ .

(٢) عبد الله بن أحمد بن جمهور بن سعيد بن يحيى بن جمهور ، يكنى أبا محمد : أديب وفقه من أئمة أهل الفقه في إشبيلية خلال القرن السادس الهجري ، فقد ولد سنة ٥١٦ هـ وتوفي سنة ٥٩٦ هـ وقد ولي الصلاة بجامع ابن عبد بَسَس في إشبيلية وكان إلى ذلك بصيراً باللغة متحققاً بهقد الشروط .

انظر التكملة لابن الأبار ، رقم ١٤١٧ ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٣) « جعفر بن إبراهيم بن أحمد الماعري المعروف بابن الحاج ، ذو الوزارتين : من أهل

لورقة ، عداة في رؤساء الأدباء . كان حياً سنة ٤٩٤ . وكان شاعراً وناثراً شجاعاً » . المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي لابن الأبار ، رقم ٥٩ ص ٦٩ .

وانظر عنه : المغرب لابن سعيد : ٢/٢٧٧ وتعليق الدكتور شوقي ضيف .

كم بالمغرب من أشلاء مخترمٍ وعائرٍ الجدد مصبورٍ على الهون
 أبناء معنٍ ، وعبادٍ ، ومسلمةٍ والحميريّين : باديسٍ وذى النونِ
 راحوا لهم فى هضاب العز أبنية وأصبحوا بين مقبورٍ ومسجونِ
 وكان سير بن أبى بكر — أحد رؤساء المعتونيين — هو الذى حاصر
 إشبيلية حتى استولى عليها ، وقبض على المعتمد وتقلد إمارتها بعده دهرًا ، ثم
 تولى محاصرة بَطْلَيْوُس إلى أن دُخلت عنوةً يومَ السبت لثلاث بقين من المحرم
 سنة سبع وثمانين وأربعمائة — وقيل : يومَ السبت السابع من صفر ، وقيل :
 فى شهر ربيع الأول منها — وقبض على المتوكل فقيد ، وأهين بالضرب فى
 استخراج ما عنده ، ثم أزعج عنها ، وقتل هو وابناه الفضل والعباس على مقربة منها
 ذبحًا ، وكان ذلك مما نعى على ابن تاشفين . وقيل إنه رغب فى تقديم ولديه هذين
 بين يديه ليحتسبهما ، ثم قام بعد قتلها ليصلى ، فبادره الموكلون به وطعنوه
 برماحهم حتى فاضت نفسه وغربت شمسُه . وقد رثاهم أبو محمد عبد الحميد بن
 عبدون^(١) بقصيدة فريدة ، أنشدناها شيخنا أبو الربيع بن سالم الكلاعى^(٢)

(١) لا نحتاج هنا إلى التعريف بأبى محمد عبد الحميد بن عبدون وراثيته المشهورة فى رثاء
 بنى الألفس ، ولكننا نشير إلى الفصل الطويل الذى اختصه به ابن بسام فى الذخيرة (القسم الثانى ،
 مخطوطة بغداد) ص ٤١٤ وما بعدها . وفى هذا الفصل من شعر ابن عبدون ما يفوق رائيته جمالا
 وشاعرية .

(٢) أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام
 الحميرى والكلاعى البلنسى الأصل ، يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم : أكبر أهل الفقه والرواية
 فى شرق الأندلس خلال القرن السادس الهجرى ، وهو أستاذ ابن الأبار وقد ترجم له ترجمة
 واسعة فى التكملة . والكلاعى هو الذى استحث ابن الأبار على تأليف معجمه فى تلاميذ شيخهم أبى على
 الصدفى ، وقد اضطر إلى مناداة بلده بلنسية عندما تهددت الأخطار المتلاحقة سنة ٥٨٧ هـ ، وقال فى
 ذلك قصيدة طويلة لا تدل على شاعرية جديرة بالذكر . وكتبه ومؤلفاته فى الفقه والحديث والتاريخ
 كثيرة جداً أحصاها من ترجموا له ، وتوفى مستشهداً فى معركة دارت بين الموحدين والنصارى
 عند بلدة أنيشته أو أنيچه على سبعة أميال من بلنسية (يقول ابن الأبار إنها على ثلاثة =

بمحاضرة بلنسية مراراً . قال : أنشدناها القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون^(١) في مسجده بإشبيلية ، قال : أنشدناها الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون ، وأولها :

الدهر يقجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور
يقول في آخرها :

ويح السّماح ويحّ الباس لو سلّما والمجد والدين والدنيا على عُمر^(٢)
/ سَقَتْ ثرى الفضل والعباس هامية تُعزى إليهم سماحاً لا إلى المطر [١-٨٦]
وأنشدنى أبو الربيع شيخنا — وحدثنى لفظاً — قال : حدثنى الفقيه
أبو عبد الله محمد بن سعيد شيخنا — يعنى ابن زرقون — عن الوزير أبى بكر
ابن القبطورنة^(٣) ، أنه حدثه أنه دخل على نجم الدولة سعد بن المتوكل — وهو

= فراسخ من بلنسية) فى ١٠ ذى الحجة ٦٣٤ هـ ، وقد أبدى شجاعة عظيمة فى هذه المعركة .
وقد نشر من كتبه : الاكتفا فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء — الجزء الأول بعناية هنرى
ماسيه فى الجزائر سنة ١٩٣١ . وقد ساق الناشر قبل النص نصوص تراجم الكلاعى من الإحاطة
لابن الخطيب ومركز الإحاطة لأبى البقاء محمد بن إبراهيم بن محمد البششمكى المصرى (مخطوطة
باريس) وابن الأبار فى التكملة رقم ١٩٩١ ص ٧٠٨ والزيادات فى طبعة جنزالد بالنيثيا وألاركون
ص ٥٤٠ ، وشمس الدين الذهبى فى «تذكرة الحفاظ» (طبعة حيدر أباد) رقم ١٤ ج ٤
ص ٢٠٩ ، والسيوطى فى «طبقات الحفاظ» (جوتنجن ١٨٣٣) رقم ١٥ ج ٢ ص ٥٦ ،
وابن فرحون فى «الديباج المذهب» (فاس ١٣١٦) ص ١٢٥ ، والمقرئ فى نفح «الطيب»
(أوروبا) : ٥٠٢/٢ و ٦٥٥ و ٧٦٨ ، وپونس بويجس ، رقم ٢٣٩ ، ص ٢٨٣ .
(١) محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصارى ، يكنى أبا عبد الله
ويعرف بابن زرقون : من أهل إشبيلية وسكن بعض سلفه بطليوس ، من كبار فقهاء القرن
السادس لهجرى ومن أساتذة ابن الأبار ، وقد ترجم له ترجمة واسعة فى التكملة (رقم ٨٢٤
ج ١ ، ص ٢٥٦-٢٥٨) ، وذكر شيوخه ورواياته العالية وقال إنه ولى قضاء شلب وقضاء
سبتة فحُمدت سيرته وعرفت نزاهته ، وكان إلى ذلك يقرض الشعر ويجيد النثر ، حسن الشارة والهيئة
صبوراً على الجلوس للإسماع مع الكِبَرَة . ومؤلفاته فى الفقه كثيرة ، ذكر بعضها ابن الأبار .
ولد بشريتس ١٥ ربيع الأول ٥٠٢ (وفى رواية أخرى سنة ٥٠١ بدون تحديد الشهر) وتوفى فى
إشبيلية منتصف رجب ٥٨٦ .

(٢) المراد عمر المتوكل بن الألفطس .

(٣) أبو بكر عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز البطليوسى من أعلام كتاب الأندلس =

محبوس في سجن المُلثمة ، بعد غلبتهم على أبيه المتوكل وقتلهم إياه وابنيه العباس
والفضل — فلما رآه أجهدش باكياً ثم أنشده :

بأبيك ، قدّس روحه وضريحه ياسعدُ ساعدني ، ولستَ بخيلاً
واسفحْ على دموع عينك ساعة وامتنُ بها حُجراً تفيضُ همولاً
إن يصبح الفضلُ القليلَ فإنني أمسيتُ من كمدٍ عليه قتيلاً
كم قد وقيتكم الحمامَ بمهجتي وحيتُ شَوْلَ^(١) علائكم معقولا
قدمتُ نفسي للمنايا دونكم بدلاً فلم تُردِ المَنونُ بديلاً
ومن شعر المتوكل ، وكتب به إلى أخيه يحيى المنصور من يابرة مع نثر ،
وقد بلغه أنه قدح فيه بمجلسه :

فما بالهم ، لا أنعم الله بالهم ، ينوطون لي ذمّاً ، وقد علموا فضلي
يسيئون في القول جهلاً وضلّةً وإني لأرجو أن يسوءهم فعلي

= خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الأول من السادس ، فقد توفي بعد سنة ١١٢٦/٥٢٠ . تولى الكتابة لعمر المتوكل بن الأفطس ثم للمرابطين وتمتع بلقب الوزير الكاتب مثل أخويه أبي محمد طلحة وأبي الحسن محمد . وقد كتب الدكتور محمود علي مكى فقرة طويلة عنه في مقاله الذي أشرنا إليه : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١١٧ وهامش ١ و ٢ وذكر مراجع ترجمة حياته : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني من مخطوطة بغداد ، ص ٤٦٨ - ٤٨٠ . ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٧٤٣ . القلائد لابن خاقان ، ص ١٤٨ - ١٥٥ . المغرب لابن سعيد : ٣٦٧/١ - ٣٦٨ . المطرب لابن دحية : ص ١٨٦ - ١٨٧ . الإحاطة لابن الخطيب ، بتحقيق محمد عبد الله عنان : ٥٢٨/١ - ٥٣١ . المقرئ : نفح الطيب (طبعة محيي الدين عبد الحميد) ٤/٢٥٠ و ٤٨ . وذكر كذلك تفسيري سيمونيت (Glosario, 97) ودوزي : Supplément, II, 302 لمعنى لفظ القبطورنة واشتقاقه من كلمة caput (أى رأس ، وفي الإسبانية القديمة cap :) وtorno أى مستدير أو دائر ، فعناه على هذا : ذو الرأس المستدير .

(١) الشول هنا يراد به البقية ، والمعنى المراد أننى حميت مابق من علائكم وأنا في حالة عجز ، ويمكن أن يكون المراد أيضاً : إننى حميت طرّف عزكم مصوناً (انظر : اللسان ٢٩٨/١٣ و ٤٨٦) .

طَغَامٌ لثَامٌ ، أَمْ كَرَامٌ بِرَغْمِهِمْ سَوَاسِيَةٌ ؛ مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقُبُلِ^(١)
لَنْ كَانَ حَقًّا مَا أَذَاعُوا فَلَا خَطَّتْ إِلَى غَايَةِ الْعِلْيَاءِ مِنْ بَعْدِهَا رَجُلِي
وَلَمْ أَلْقَ أَضْيَافِي بِوَجْهِ طَلَاقَةٍ وَلَمْ أَمْنَحِ الْعَافِينَ فِي زَمَنِ الْمَخْلِ
وَكَيْفَ وَرَاحِي دَرَسُ كُلِّ غَرِيبَةٍ وَوَرَدُ التُّقَى شَمِّي ، وَحَرْبُ الْعِدَا نُقْلِي
وَلِي خُلُقٌ فِي الشُّخْطِ كَالشَّرِّ طَعْمُهُ وَعِنْدَ الرِّضَا أَحْلَى جَنِّي مِنْ جَنَى النِّحْلِ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ لَآتٍ بِمَا أَعْيَى الصَّنَادِيدَ مِنْ قَبْلِي
/ وَمَا أَنَا إِلَّا الْبَدْرُ تَنْبِجُ نَوْرُهُ كَلَابٌ عِدًّا تَأْوِي اضْطِرَارًا إِلَى ظِلِّي [٨٦ - ب]
فِيهَا أَيُّهَا السَّاقِ أَخَاهُ عَلَى النَّوَى كُؤُوسُ الْقَلِي ، مَهْلًا رُؤَيْدَكَ بِالْعَلِّ
لَتَطْفِئَ نَارًا أَضْرَمْتُ فِي صَدُورِنَا فَمِثْلِي لَا يُقْلَى ، وَمِثْلُكَ لَا يُقْلَى
أَلَسْتُ الَّذِي أَصْفَاكَ قَدَمًا وَدَادَهُ وَأَلْقَى إِلَيْكَ الْأَمْرَ فِي الْكَثْرِ وَالْقُلِّ ؟
وَصَيَّرَكَ الذُّخْرَ الْغَبِيطَ لِدَهْرِهِ وَمَنْ لِي ذَخْرًا غَيْرَكَ الْيَوْمَ ؟ لَا ، مَنْ لِي ؟
وَقَدْ كُنْتُ تُشْكِينِي إِذَا جِئْتُ شَاكِيًا فَقُلْ لِي : لِمَنْ أَشْكُو صَنِيعَكَ بِي ؟ قُلْ لِي !
فَبَادِرْ إِلَى الْأُولَى ، وَإِلَّا فَإِنِّي سَأَشْكُوكَ يَوْمَ الْحِشْرِ لِلْعَلَّامِ الْعَدْلِ
وَلَهُ وَقَدْ ارْتَقَبَ قَدُومَ أَخِيهِ عَلَيْهِ مِنْ شَنْتَرِينَ^(٢) يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَوَفِدَ عَلَيْهِ

يَوْمَ السَّبْتِ :

(١) الْقُبُورُ نوع من الحول . قال أبو زيد : الأقبل إذا أقبلت حدقتها على أنفه ، والأحول الذي حولت عيناه جميعاً . وقال الليث : القُبُورُ في العين إقبال السواد على الحجر ، ويقال : بل إذا أقبل سواده على الأنف ، فهو أقبل . وحول وقُبُورُ : جمع أحول وأقبل . اللسان : ٥٨ / ١٤ - ٥٩ .

(٢) شَنْتَرِينَ Santarem في البرتغال الحالية ، تقع على ٦٧ كيلومتراً شمالاً الأشبونة . انظر : الروض المعطار ، رقم ١٠٤ ص ١١٤ و ص ١٣٩ من الترجمة الفرنسية ، وتعليق رقم ١ ، وانظر المادة عنها في دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ١٥٩ .

تَخَيَّرَتِ الْيَهُودُ السَّبْتَ عِيداً وَقَلْنَا : فِي الْعَرُوبَةِ ^(١) يَوْمٌ عِيدٌ
 فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ السَّبْتَ فِينَا أَطْلَتَ ^(٢) لِسَانَ مُحْتَجِّ الْيَهُودِ
 وَمِنْ مَلِيحٍ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَحَبَّبَ يَوْمَ السَّبْتِ عِنْدِي أَنِّي يَنَادِمَنِي فِيهِ الَّذِي أَنَا أَحْبَبْتُ
 وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنِّي مُسَلِّمٌ حَنِيفٌ ، وَلَكِنْ خَيْرَ أَيَّامِ السَّبْتِ
 وَكَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِوَنَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَقَدْ انْكَسَبَ الْمَطَرُ إِثْرَ قَحْطِ
 خَيْفٍ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ وَافِيَّ بَطْلَيْوُسَ حَيْنُثُذَمَنْ مَحْسِنٌ يَعْرِفُ
 بِأَبِي يُوسُفَ :

أَلَمْ أَبُو يُوسُفٍ وَالْمَطَرُ فَيَالَيْتَ شَعْرَى مَا يُنْتَظَرُ ؟
 وَلَسْتُ بِأَبٍ وَأَنْتَ الشَّهِيدُ حُضُورَ نَدِيَّكَ فِي مَنْ حَضَرَ
 وَلَا مَطْلَعِي وَسَطَ تِلْكَ السَّمَاءِ بَيْنَ النُّجُومِ وَبَيْنَ الْقَمَرِ
 وَرَكْضَى فِيهَا جِيَادَ الْمَدَامِ مَحْثُوثَةً بِسَيَاطِرِ الْوَتْرِ
 / فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ مَرْكُوبًا وَكَتَبَ مَعَهُ :

[٨٧ - ١]

بَعَثْتُ إِلَيْكَ جَنَاحًا فَطَرُ عَلَى خَفِيَّةٍ مِنْ عَيُونِ الْبَشَرِ
 عَلَى ذُلٍّ مِنْ فِتَاجِ الْبُرُوقِ وَفِي ظُلَلٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّجَرِ
 فُحْسِيَّ عَمَّنْ نَأَى مَنْ دَنَا فَمَنْ غَابَ كَانَ فِدَا مَنْ حَضَرَ
 وَتَوَجَّهَ إِلَى شَنْتَرِينَ وَمَعَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِوَنَ ، فَتَلَقَّاهُ ابْنُ مُقَانَا قَاضِي

(١) العروبة اسم يوم الجمعة في الجاهلية .

(٢) في الأصل :

فلما أن طلعت الشمس فينا أطلت لسان محتج اليهود
 وهو خطأ ، فقومته .

حضرتة ، وأنزله وقدم طعاماً ، ثم قعد بباب المجلس ملازماً له إلى الليل ، والمتوكل محتشم منه . فخرج أبو محمد — لما أُرْمِيَ — إلى بعض أصحابه ، وقد أعد له مجلس أنسٍ ، فقعد يشرب معه ؛ وقد وجّه من يرقب انفصال ابن مقانا ، فلما عرفه بذلك بعث إلى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما :

إِلَيْكُمَا فَاجْتَلِيَا مِنْبِرَةً وقد خبا حتى الشهابُ الثاقبُ
واقفةً بالباب لم تأذن لها إلا وقد كاد ينام الحاجبُ
فبعضها من الخفاف جامدٌ وبعضها من الحياء ذائبُ
فقبلها وكتب إليه :

قد وصلتُ تلك التي زَفَقْتَهَا بِكَرٍّ ، وقد شابتُ لها ذوائبُ
فهبَّ حتى نستردَّ ذاهباً مِنْ أُنْسِنَا ، إن استردَّ الزاهبُ
وقرأتُ في « كتاب الذخيرة » لابن بسام : أخبرني الوزير أبو طالب بن غانم قال : لا أنسى والله خط المتوكل بهذين البيتين في ورقة بَقْلَةُ الكرنب ، وقد كتب إليّ بهما من بعض البساتين :

انهض أبا طالب إلينا واسقط سقوط الندى علينا
فنتحن عِندَ بغير وَسْطَى ما لم تكن حاضراً لدينا
وحكى غيره أنه كتبهما بطرف غصن ، وروى البيت الأول :

أقبل أبا طالب إلينا وقعَ وقوعَ الندى علينا

[٨٧-ب] ١٢٩ — / عبد الملك بن هذيل بن رزين - ذو الرياستين ،
حسام الدولة أبو مروان

وَلَّى بَعْدَ أَبِيهِ الْحَاجِبَ عَزَّ الدَّوْلَةَ أَبِي مُحَمَّدٍ هُذَيْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ خَلْفِ
ابْنِ لَبِّ بْنِ رَزِينَ شَنْتَمَرِيَّةَ الشَّرْقِ مَوْضِعَ إِمَارَةٍ سَلَفَهُ ، وَكَانَ ظُهُورُهُمْ فِي سَنَةِ
إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَوَّلَ افْتِرَاقِ الْجَمَاعَةِ وَانْبِعَاطِ الْفِتْنَةِ ، وَيَعْرِفُونَ بَيْنِي الْأَصْلَحَ ،
وَاتِمَّائِهِمْ فِي هَوَّارَةٍ .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَيَّانٍ طَرَفًا مِنْ خَبْرِهِمْ فَقَالَ : وَأَبُو مُحَمَّدٍ هُذَيْلُ بْنُ خَلْفِ
ابْنِ لَبِّ بْنِ رَزِينَ — الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَصْلَحِ — صَاحِبُ السَّهْلَةِ ، مُوسِطَةٌ مَا بَيْنَ
الشَّعْرِ الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى لِقَرْطَبَةٍ . [كَانَ مِنْ أَكْبَرِ بَرَابِرِ الشَّعْرِ] ^(١) ، وَرِثَ ذَلِكَ
عَنْ سَلَفِهِ ، ثُمَّ سَمَّا لِأَوَّلِ الْفِتْنَةِ إِلَى اقْتِطَاعِ عَمَلِهِ [وَالْإِمَارَةِ لْجَمَاعَةِ] ^(٢) ، وَالتَّقْيِيلُ
لْجَارِهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ذِي النُّونِ فِي الشُّرُودِ عَنْ سُلْطَانِ قَرْطَبَةٍ ، فَاسْتَوَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ
مَا أَرَادَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ جَمِيعٍ مَنْ انْتَزَى فِي الْأَطْرَافِ ^(٣) ، وَتَمَرَسَ بِهِ الْحَاجِبُ
مَنْذَرُ بْنُ يَحْيَى ، مُدْرِجًا لَهُ فِي طَيٍِّّ مِنْ اسْتَتْبَعِهِ ^(٤) وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَصَاغِرِ أَمْرَاءِ

(١ و ٢) أَسْقَطَ ابْنُ الْأَبَّارِ أَوْ نَاسَخَهُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَيَّانٍ ، عَلَى أَهْمِيَّتِهَا هُنَا .
رَاجِعْ نَصَ ابْنِ حَيَّانٍ فِي الذَّخِيرَةِ لِابْنِ بَسَامٍ ، الْقِسْمَ الثَّلَاثَ (مَخْطُوطَةٌ جَايَانْجُوسِ الْمَحْفُوظَةُ
بِمَكْتَبَةِ أَكَادِمِيَّةِ التَّارِيخِ فِي مَدْرِيدٍ ، وَرَقَةٌ ١٢٠) .

(٣) وَرَدَ هُنَا عَنْ ابْنِ بَسَامٍ (نَفْسُ الْمَخْطُوطَةِ وَالصَّفْحَةُ) : « غَرْبًا وَشَرْقًا وَقَبْلَةً وَجَوْفًا ،
إِلَّا أَنَّ هُذَيْلَ هَذَا مَعَ تَعَزُّزِهِ عَلَى الْخُلُوعِ هَشَامٌ لَمْ يُخْرِجْ عَنْ جَمَاعَتِهِ ، وَلَا وَافَقَ الْحَاجِبَ مَنْذَرًا
وَلَا جَمَاعَتَهُ الْمُتَمَالِّثِينَ عَلَى هَشَامٍ فِي شَيْءٍ مِنْ شَأْنِ سُلَيْمَانَ (الْمُسْتَعِينِ) عَدُوَّهُ ، إِلَى أَنْ ظُنْفِرَ بِهِ شَامٌ ،
فَسَلَكَ هُذَيْلُ مَسْلَكَهُمْ ، فَفَرَضَى مِنْهُ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى مَا فِي يَدِهِ لِعَجْزِهِ عَنْهُ ، فَزَادَهُ هَذَا
بِعَادًا مِنْهُ » ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ الْكَلَامُ كَمَا عِنْدَ ابْنِ الْأَبَّارِ .

(٤) الْأَصْلُ : اتَّبَعَهُ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الذَّخِيرَةِ .

الثغر ، فأبت نفسه البُخوع له والانضمام إليه ، فردّ أمره وحده ، وصار نِدّه ،
وأجاره مِنّةً معقله^(١) .

قال : وليس في ذلك الثغر أخصب بقعة من سهله^(٢) — المنسوبة إلى بني
رزين — في اتصال عمارتها ، فكثّر ماله . وكان مع ذلك شاباً جميل الوجه ،
صار إليه أمر والده منبعث الفتنة وهو أفتى مع العشرين من سنه . وأطال ابنُ
حيان في وصفه بالقسوة والفظاظة ورفعته الهمة ، فاقترعتُ من ذلك على ما أثبتُّ .
وهذيل هذا هو عم هذيل والد أبي مروان المذكور . وبعده ولى أخوه
عبدُ الملك بن خلف أبو مروان — ويعرف بعبود — ثم ولى ابنه هذيل ،
ثم ابنه عبد الملك ، ثم ابنه يحيى وعليه انقرض مُلكهم .

(١) ترك ابن الأبار هنا قطعة كبيرة من كلام ابن حيان لها أهمية خاصة لذلك التاريخ .
وقد أوردها ابن عذارى في الجزء الثالث من البيان ، ص ١٨٢ ، فأغنى ذلك عن تكرارها هنا .
(٢) شنتمرية الغرب أو سهلة بني رزين Santa María de Albarracín توصف في
الجغرافية العربية للأندلس على أنها كانت من كبار معازل كورة شنتبرية Santaver ،
وهي كورة كانت تمتد من حدود كورة سرقسطة الجنوبية الغربية إلى كورقي وادي الحجارة ،
وطليطلة ، وكانت تعتبر منطقة عسكرية من مناطق الثغر الأدنى أو الأوسط وقاعدته العسكرية
في مدينة سالم ، وكانت عاصمة الكورة أيام الإمارة والخلافة بلدة شنتبَرِيَّة Santaver ثم
انتقلت إلى أُقْلِيْش Ucles ، وبعد سقوط هذه في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون
أصبحت عاصمتها شنتمرية الشرق التي عرفت من ذلك الحين باسم شنتمرية بني رزين أو سهلة
بني رزين ، وهي تقع اليوم في شرق مديرية تيروال Teruel على نهر جايو El Oallo أحد
نهرات نهر تاجه وهي غير بعيدة عن مجرى النهر الأبيض Guadalviar أحد نهرات نهر توريا
الذي يسمى بالنهر الأحمر . وقد عرفت المنطقة بالسهلة نظراً لكثرة أنهارها ووفرة مياهها ، والبلد
ففسه واقع وسط تلال ومرتفعات كانت عامرة بالحصون التي بناها الخلفاء لتحصين منطقة الثغر
الأدنى ، وهذا ما ساعد هذيل بن رزين ثم ابنه على الاستبداد في هذه الناحية .

وكان أبو مروان — مع شرفه وأدبه — متعسفًا على الشعراء ، ومتعسرًا بمطلوبهم من ميسور العطاء ، وضعيف منظومه أكثر من قويه . وكانت وفاته سنة ست وتسعين وأربعمائة . وقد صار إليه من أعمال بلنسية بعضُها ، وولى بعده ابنه فأقام يسيرًا ، وتغلب على ما بيده ابنُ تاشفين^(١) بعد أن أقام هو وأبوه دعوتَه في أعمالهما . ومن شعره يفخر :

أنا مَلَكٌ تَجَمَّعَتْ فِيَّ خَمْسٌ كُلُّهَا لِلْأَنَامِ نُحْيِي نُمِيتُ
[٨٨ - ١] / هي : ذهن ، وحكمة ، ومضاء ، وكلام في وقته ، وسكوت
وله مجاوبًا :

رَغِبْتُمْ وَأَرْغَبْنَاكُمْ وَهِيَ الْخَمْرُ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَكْرَانًا فَلْيَكُنِ الشُّكْرُ
إِلَيْكُمْ فَإِنِّي فِي الْوَغَى وَالنَّدَى فَتَى هُوَ الْبَحْرُ إِنْ أَعْطَى ، وَإِنْ صَالَ فَالْدَهْرُ

(١) ناقش بوسك بيلا في كتابه المذكور في الهامش السابق سلسلة الأمراء من بيت بني رزين التي يذكرها ابن الأبار ، وهو يذكر منهم خمسة هم :
هذيل أبو محمد بن خلف بن لب بن رزين ، وهو أول من استبد بالسهلة .
أبو مروان بن هذيل (وهذيل هذا هو ابن أخي هذيل المذكور أولاً) .
أبو مروان عبد الملك بن خلف أخي هذيل الأول ، ويعرف بعبود .
هذيل بن عبد الملك بن خلف .

يحیی بن هذيل بن عبد الملك بن خلف .
ويرى بوسك بيلا أن ابن الأبار خلط بين الأسماء ، وأن الحقيقة أنه لم يملك من بني هذيل إلا ثلاثة هم :

هذيل بن محمد بن خلف بن لب بن رزين .
وأبو مروان عبد الملك بن هذيل الذي يتحدث عنه ابن الأبار هنا ، ثم يحيى بن عبد الملك هذا .
وقد استند على ما ورد في الذيل الذي نشره ليثي وروفسال بعد نص البيان المغرب لابن عذارى ،
ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، وتحقيقات دوزي وإيزيدرو دى لاس كاخيجاس Isidro de las
Cagigas وغرسية بالديابليانو L. García Valdeavellano وپرييتو بيبس وغيرهم .

وله :

شأوتُ أهلَ رَزِينٍ غيرَ محتفلٍ وهم ، على ما علمتم ، أفضلُ الأممِ
قومٌ إذا حوربوا أفنوا ، وإن سئلوا أغنوا ، وإن سوبقوا حازوا مدى الكرمِ
جادوا فما يتعاطى جودَ أنملهم مدُّ البحار ولا هطالةُ الدِّيمِ
وما ارتقيتُ إلى العليا بلا سببٍ هيهات ! هل أحدٌ يسعى بلا قدمٍ ؟
فمن يرُمُ جاهداً إدراكَ منزلي فليخكني في الندى والسيف والقلمِ

وله :

مَنْ كَثُرَ الْجَهْدُ^(١) يَرَى سَعْدَهُ يصعد حتى ينتهي حـدّه
وَمَنْ أَذَلَّ الْمَالَ عَزَّتْ بِهِ أيامه وانصرفت جُنْدَه^(٢)
فَاهِدِمْ بِنَاءَ الْبَخْلِ وَاَرْفُضْ بِهِ مَنْ هَدَمَ الْبَخْلَ بَنَى مَجْدَه
لَا عَاشَ إِلَّا جَائِعًا نَائِمًا^(٣) مَنْ عَاشَ فِي أَمْوَالِهِ وَحْدَه

وله يصف روضاً :

وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشَيْئاً مَجْدَدًا فَأُضْحَى مُقِيمًا لِلنَّفُوسِ وَمُقْعَدًا
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ ظَلَّتْ غُصُونُهُ رَوَاقِصَ فِي خُضْرِ مِنَ الْعَصَبِ مُيَّدًا
إِذَا مَا انْسِيَابُ الْمَاءِ عَايَنْتَ خِلَتَهُ ، وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ ، مِبْرَدًا
وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ حُسَامًا صَقِيلًا صَافِيَّ الْمَتَنِ جُرْدًا
وَغَفَّتْ بِهِ وَزْقُ الْحُمَامِ حَوْلَنَا غِنَاءٌ يُنَسِّنَا الْغَرِيضَ وَمَعْبَدًا

(١) الذخيرة (قسم ٣ ، المخطوط المذكور) ص ١٢٢ : من كثر الجند

(٢) كذا في الأصل بوضوح ، ولكن المعنى غير مقبول ، ثم إن الروي « جنده » لا يمكن أن يكون منصوباً لو تركنا الشطر على هذه الصورة . وربما أمكننا إصلاح هذا الشطر بعض الشيء لو قلنا : « أيامه أو نصرت جنده » أو « لو نصرت جنده » .

(٣) في الأصل : نسايعا ، وفي الذخيرة : نايعا . والنائع هو المائل . جاء في اللسان : سئلت هند ابنة الخُسر : ما أشد الأشياء ؟ فقالت : خرس جائع يقذف في معي نائع (اللسان : ١٠ / ٢٤٤) . وهو إتباع يراد به تأكيد المعنى .

فلا تجفون الدهر ما دام مُسعداً ومُدَّ إلى ما قد حباك به يداً
وخذها مُداماً من غزالٍ كأنه ، إذا ما سعى ، بدرٌ تحمّل فرّقدًا
[٨٨ - ب] / وله :

أدْرِها مُداماً كالغزاةِ مرّة تبينُ لرائيها وتابى على اللسِ
وتبدو إلى الأبصار دون تجشّم على أنها تخفى على الدهن والحسِ
إذا شعثت في الكأس خلت حبابها لآلى قد رُفّعن في كبةِ الشمسِ
موكلة بالهمّ تهزم جيشه بجيش الأمانى والمسرة والأنسِ
فإن شئت قل فيها أرق من الهوى وإن شئت قل فيها أرق من النفسِ
وله في النسب :

أنحى على جسمي الفحول فلم يدع متوهمًا من رسمه المعلومِ
عبثت به أيدي الصبا فكأنه سرٌّ خفيٌّ في ضميرِ كتومِ
وله :

يزهدني^(١) في الزهد عين مريضة يُمرّضني من لحظها ما أعلّني
ولم يُبق نفسي غير عطفة شادنٍ عساي أفديه بها ولعلّني
شكوتُ إلى فيه الذي بي من الظما فأنهّلني عذب الرضاب وعلّني
وله :

دع الدمع يُفنّ الجفن ليلة ودّعوا إذا اقلبوا بالقلب لا كان مدمعُ
سرّوا كاعتداء الطير ، لا الصبر بعدهم جميلٌ ، ولا طول الندامة ينفعُ

(١) كذا في الأصل وفي الذخيرة (قسم ٣ ، جايانجوس ، ورقة ١٢٢) . وقد جعلها دوزي (ص ١٨٤) : تَزَرَّ هذلي .

أَضِيقُ بِحَمَلِ الْفَادِحَاتِ مِنَ النُّوَى وَصَدْرِي مِنَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ أَوْسَعُ
وَأِنْ كُنْتُ خَلَاعَ الْعِذَارِ فَإِنِّي لَبِستُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ
إِذَا سَلَّتِ الْأَلْحَاطُ سَيْفًا خَشِيتُهُ وَفِي الْحَرْبِ لَا أَخْشَى وَلَا أَتَوَقَّعُ
وله :

بِرَحِ السَّقَمِ [بِي ، فَلَيْسَ صَحِيحًا مَنْ رَأَتْ عَيْنُهُ عَيُونًا ^(١)] مِرَاضًا
إِنَّ الْأَعْيْنَ الْمِرَاضِ سَهَامًا صَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْوَرَى أَغْرَاضًا
وله في شمة :

رُبَّ صَفْرَاءٍ تَرَدَّتْ بِرِدَاءِ الْعَاشِقِينَ
مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِيهَا تَفْعَلُ الْأَجَالُ فِينَا

وحدثني القاضي أبو عامر نذير بن وهب بن نذير ^(٢) الفهرى - ودارُ سلفه
شتمرية المنسوبة إلى بني رزين - / غير مرة بلفظه ، قال : حدثني أبي أنه كان [١-٨٩]
بشتمرية مُعَلِّمَ كِتَابٍ يُؤَدِّبُهُمْ ، وَيَوْمُ فِي مَسْجِدَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُصَلِّي فِيهِ نَهَارًا وَالثَّانِي
لَيْلًا ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَاجِبِ ذِي الرِّئَاسَتَيْنِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ الْحَاجِبِ ذِي
الْمَجْدَيْنِ عَنِ الدَّوْلَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ هَذِيلَ بْنِ رَزِينَ ^(٣) يَسْأَلُهُ التَّقْدِيمَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ
لِلصَّلَاةِ فِي دَوْلَةٍ مَعَ سَائِرِ الْأُمَمَةِ ، فَوَقَّعَ لَهُ فِي مَكْتُوبِهِ :

(١) بياض في الأصل ، والتكلمة من الذخيرة ، نفس القسم والصفحة .
(٢) أبو عامر نذير بن وهب بن لب بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن وهب بن نذير بن
وهب بن نذير الفهرى ، من أهل بلنسية ، يكنى أبا عامر (٥٥٨-٦٣٦) : من أعلام فقهاء بلنسية
ومن أساتذة ابن الأبار ، اشتهر بكتابة الشروط والبراعة فيها . ولى قضاء الكور ، وحدث
في آخر عمره وسمع منه ابن الأبار وأجاز له ، ولما تغلب النصارى على بلنسية قصد دانية وولى
قضاءها إلى أن توفى بها في العشر الوسط من شعبان من السنة التي ذكرناها ، بعد ستة أشهر من
سقوط بلنسية ، وكان ابن الأبار إذ ذاك في تونس . (التكلمة ، رقم ١٢١٧ ص ٤٢٤ - ٤٢٥) .
(٣) هذا يدل على أن عبد الملك بن هذيل خلف أباه هذيل ، مما يؤيد ما ذهب إليه بوسك
بيلا من خطأ ابن الأبار في سياقة نسب بني رزين .

أُطِيقُ تَأْدِيبًا وَعَقْدَ إِمَامَةٍ فِي مَسْجِدِينَ وَجَامِعِ إِنْسَانٍ ؟
اثْبُتْ عَلَى إِحْدَى الْمَرَاتِبِ لَا تَزِدْ فَنَ الزِّيَادَةُ يُتَّقَى النُّقْصَانُ

وحكى لى غيرُهُ أن أبا مروان هذا كانت له نجدة وصرامة وإقدام ؛ قرَّب
جندَهُ من نفسه ، وتحبب إليهم واختلط بهم ، حتى كان لا يمتاز منهم فى مركب
ولا ملابس . ووقائعه فى الثغر مشهورة ، وجرى عليه خطب كبير فى صفر سنة ثلاث
وتسعين وأربعمائة قبل وفاته بيسير : دبر عليه صهره عبيدُ الله القائمُ بأذْ كُون^(١) ،
وأراد اغتياله مع طائفة من رجاله ليرث مكانه^(٢) ، وكان قد أحضره لدعوةٍ

(١) قد تقرأ أيضاً : أدكون بالبدال المهملة ، وقد تقرأ بفتح الدال أو الذال أو تسكينهما .
وقد ذهب دوزى إلى أن المراد موضع يسمى Alacón إلى شمال شرق Albarracín (سهلة
بنى رزين أو شنتمرية الشرق) . وقال بوسك بيلإ إنها اليوم تابعة لمركز Montalbán فى مديرية
ترُوال Teruel .

(٢) لم تحدد المراجع تاريخاً لذلك الحادث ، ولكن يبدو أن ذلك كان فى أخريات أيامه .
وقد توفى حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين يوم الاثنين ٩ شعبان ٤٩٦ / ١٨ مايو
١١٠٣ عن سن عالية ، نحو الثمانين . وقد حكم من وفاة أبيه هذيل سنة ٤٣٦ / من ٢٩ يوليو
١٠٤٤ إلى ١٨ يوليو ١٠٤٥ ، أى أنه حكم ٦٠ سنة هجرية (٥٩ ميلادية) ، فهو على هذا
أطول أمراء الطوائف عهداً ، وإن كانت إمارته من أقلها اتساعاً وأهمية . ويرجع طول حكمه
إلى حصانة معاقله أولاً ثم إلى ابتعاده عن دوامة الحوادث التى أحاطت بإمارته ، فقد عاش عصر
الصراع الطويل بين أمراء الطوائف والممالك النصرانية ، وعاصر ألفونسو السادس والسيد
القمبيطور ودخول المرابطين الأندلس ، ولم يكن له هم إلا الحفاظ على نفسه ومصالحه دون أن
يسدى أية معارضة لخيرانه المسلمين . وخلفه ابنه يحيى فلم يحكم إلا سنة واحدة . وإليك تواريخ
أهم حوادث هذه الفترة فى السهلة وبلنسية ومرسية :

١٠٩٢ / ٤٨٥ : امتيلاء المرابطين على الپونت Alpuente .

١٥ رجب ٤٩٥ / ٥ مايو ١١٠٢ : عودة بلنسية إلى المسلمين بدخول القائد المرابطى
مزدلى إياها .

١١٠٣ / ٤٩٦ : الجواز الرابع الأخير لئوسف بن تاشفين إلى الأندلس .

ذو الحجة ٤٩٦ / سبتمبر ١١٠٣ : عزل أبى عبد الله مزدلى عن بلنسية وإقامته حاكماً لتلمسان ،
 وإقامة أبى محمد عبد الله بن فاطمة حاكماً لبلنسية ونواحيها وقائداً لقوات المرابطين فى شرق الأندلس . =

احتفل فيها مع جماعة ، منهم أبو عيسى بن لبثون صاحب مَرْبِيطَر^(١) . فلما أمكنتهم الغرّة فيه بأخذ الشراب منه ، وثبوا عليه وخبطوه بسيوفهم حتى أنخنوه جراحاً . واتفق أن كانت أخته حاضرة — وهى زوج عبيد الله هذا — فصعدت إلى عِلِّيَّة هناك وصرخت : « واقتيلاه ! » ؛ فتبادر الناس لتعرف القصّة ، ودخلوا على أبي مروان وبه رمق ، فأرادوا قتل قاتليه بأجمعهم ، فأمرهم بترك صهره وابنه والقبض عليهما ؛ ولم يزل يعالج من جراحه إلى أن برى وصحّ ، وقد شُيِّرت من شكله وشانت وجهه ، فأمر بصهره فُقطعت يداه ورجلاه وسُملت عيناه وصُلِب ، وأمر بقطع رجل ابنه وختلى سبيله .

= ٨ رجب ٤٩٧ / ٩ أبريل ١١٠٤ : دخول القائد المرابطى أبى محمد عبد الله بن فاطمة شنتمرية الشرق ونهاية حكم بنى رزين بعزل يحيى بن عبد الملك .

انظر : « ذيل مشتمل على نص بعض أوراق من تاريخ مبتور الأول والآخر ، ومجهول الاسم والمؤلف فى أخبار دول ملوك الطوائف بالأندلس » ، ذيل على الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى ، ص ٣١٠ .
الحلل الموتية ، ص ٦٣ - ٦٥ .

E. LÉVI - PROVENÇAL. *La Toma de Valencia por el Cid, en Al-Andalus*, XIII, 1948, pp. 155 - 156.

R. MENÉNDEZ PIDAL. *La Espana del Cid*, II, 576 - 582.

J. BOSCH VILA. *op. cit*, 170 - 173.

(١) مَرْبِيطَر .. هكذا ضبطها ليثى بروغنسال ، والأصح مَرْبِيطَر وتكتب أيضاً مَرْبِيطَر ، بالإسبانية Murviedro من اللاتينية *Muri veteris* ومعناه الأسوار القديمة ، وظلت تسمى بهذا الاسم حتى سنة ١٨٧٧ ثم استبدل بالاسم الأيبيرى ثم الرومانى الذى كان يطلق على الموضع وهو Saguntum (حالياً Sagunto) وهو بلد على ٢١ كيلومتراً شمالى بلنسية ، فى الطريق إلى قسطليون Castellón de la Plana ، وقد اشتهرت فى القديم بمسرحها الرومانى الذى لا زال باقياً إلى اليوم ، وقد ذكرها ياقوت فى معجم البلدان : ٤/ ٤٨٦ . والبلد مشهور اليوم بمصانع الحديد التى فيه ، وهى الثانية فى الأهمية فى إسبانيا . انظر الروض المطار ، رقم ١٧١ ص ١٨١ والترجمة الفرنسية ص ٢١٧ وهامش رقم ٥ . وذهب رامون منندز بيدال إلى أن أصل الاسم اللاتينى *Murus Vetulus* .

وقد استبد بأمر مربيطر أبو عيسى بن لبثون الذى سيتحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك .

١٣٠ — محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي ، أبو عبد الرحمن

قرأت في تاريخ أبي بكر محمد بن عيسى بن مُزَيْن الكاتب — وأبوه عيسى هو مخلوع المعتضد عباد بن محمد من شَلْب ، وكان صهره — أن ابن طاهر — يعني أبا بكر أحمد بن إسحاق والد أبي عبد الرحمن^(١) — كان من أعلام [٨٩-ب] تَدْمِير^(٢) / وبياضها ، فاستبد بها إلا أنه لم يَعُدْ اسمَ الوزارة فيها والمظالم ، إلى أن مات .

وخلفه ابنه [أبو] عبد الرحمن محمد ، فتبادت حاله على رسم أبيه ووُثِّمَ في المظالم ، إلى أن أخرجه عنها أبو بكر بن عمار في قصص طويلة سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

وقرأتُ بِحَظِّ القاضي أبي القاسم بن حُبَيْش في بعض معلقاته من تاريخ أبي مروان بن حَيَّان : خاف زُهَيْر — يعني الصقلبي صاحب المرية ومرسية — انتقاضَ. أبي عامر بن خطاب رئيس مرسية عليه إن تركه خلفه ، لصَغُوه إلى

(١) قال ابن بسام في الذخيرة (قسم ٣ مخطوطة جايانجوس ، ورقة ٥١) : « كان أبو عبد الرحمن بن طاهر أحد من جمع الحديث إلى القديم ، وانتهى من رئاسة الأقاليم إلى سياسة الأقاليم . واتفق لبني طاهر بالفتنة المطغية رياسة كورة مرسية في خبر قد أضربت عنه لطوله ، ولأنى قد أوردته في كتابي المترجم بسلكة الجواهر من ترسيل أبي طاهر » ، مما يلتقي ضوءاً على أولية أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر .

(٢) تدمير هي مرسية وإقليمها ، سماها العرب باسم حاكمها القوطي Theodomiرو أي تدمير الذي يقول الضببي والعذري أنه ابن غبدوش ويجعله سافدرا Ergobados ، وكان من أنصار غيطشة وانضم إلى المسلمين أول الفتح ، وقد دخلت المنطقة أيام عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٧١٤/٩٥ في حكم المسلمين بناء على صلح نصه معروف لنا . وقد حوّلت الناحية إلى كورة وأُلغِيَ نظامها الخاص في أيام عبد الرحمن الداخل ، وجعلت بلدة مرسية عاصمة الكورة . انظر كتابنا : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١١٢ وما بعدها .

مجاهد — يعنى العاصرى — مناوئهِ ، فأسكنه معه المرية دون أن يغير له حالا ولا نعمة ، وترك بمرسية ابن طاهر نِدَّ ابن خطاب ومناوئهِ ، بعد أن انطلق ابن طاهر من يد مجاهد بفدية غليظة ، وعاد إلى حاله ونعمته ، وأعانه زهير على لمّ شعبته ووفى بعهدهِ ، فاطمأنت قدمه بمرسية فيما بعد ، وارتفعت حاله ، وبعُد عنها عدوّه ابن خطاب آخر الأيام ، فلم يُقضَ له رجوع إليها إلى أن مضى لسبيله .

قال : وفى صدر شهر رمضان — يعنى من سنة خمس وخمسين وأربعمائة — بلغت قرطبة وفاة الشيخ أبى بكر أحمد بن طاهر ، المتأمر قديماً ببلده مرسية ، بعد طول عِلته الفالجية . وكان من آخر مَنْ أنظر إلى هذه المدة من بقايا رؤساء الكُور ، فكان يُعتدُّ — بعد انقراض دولة الصقالبة العامريين — فى جملة المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى عامر وولده عبد الملك ، على استبداده عليهما ، وامتناعه من تنفيذ مالا يوافقه من أمرهما ، وإرساله إليهما خلال ذلك مفارقتَهُ^(١) عما فى يده من بلده ، وقيامه بالإففاق على من ينزله من جنده ، وتفرُّده بقوّد جند البلد ، وجباية ماله ، يرسل من فضله^(٢) إلى كل منهما فى وقته ما فارقه عليه ، فلا يمكنهما خلافة ، لقوة منكبِهِ ، ووفور ماله ، واجتماع أهل بلده على طاعته ، واعترافهم بحقه ، قد أصلح الله به على جماعتهم ، وعمرت بلادهم بجميل سيرته . ثم اتسعت مكاسبه حتى صار نصف بلده ضيعةً له ، وأحسن ارتباط الجند بإنصافهم والإحسان إليهم ، فأحبوه وناصحوه ، فاستقام أمره وضحمت نعمته .

وعضده ابنُ صِدْقٍ له نجيبٌ لبيبٌ يُسمى محمداً ، ويُكنى أبا عبد الرحمن ،

(١) عبارة « فارق فلان فلاناً على كذا » كانت تستعمل فى ذلك العصر بمعنى أنها اتفقا على شىء قبل أن يفترقا ، وفى الغالب يكون معناها أن أحدهما يؤدى إلى الآخر مالا معلوماً نظير ترك بلده له . والمفارقة هنا هى المال المتفق عليه .

(٢) أى يرسل من فضل — أو بقية — ذلك المال .

[٩٠ - ١] سلك سبيله / واتبع سيرته ، وزاد عليه بفضل علم وأدب ، فحجبه أيام تعطله وسد مسدّه . فلما مضى لسبيله قعد مكانه وجبر ثلّمه ، واستقام الناس له كأنهم ما فقدوا أباه . وهلك هذا الشيخ عن نحو تسعين سنة .

قال : وآل طاهر ذوو بيتٍ عامر ، وعدد وافر ، يفخرون بالعروبية ، وينتمون في قيس عيلان . انتهى كلام ابن حَيَّان ، وهذا خلاف معتقده في بني خطاب ، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله .

وكان أبو عبد الرحمن من أهل العلم والأدب البارِع ، يتقدم رؤساء عصره في البيان والبلاغة ، ويمائل صاحبَ إسماعيلَ بن عباد وأمثاله في الكتب عن نفسه ، ورسائله مدونة ، ولأبي الحسن بن بسام فيها تأليف سمّاه بـ « سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر » . وروى الحديث عن أبي الوليد بن مِيقَل^(١) ، وقد أخذ عنه واستجازه أبو علي بن سُكَّرَة^(٢) لابنه ، وذكره أبو القاسم بن بشكوال في تاريخه ، وحدثني المقرئُ المعمر أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن

(١) ذكر ذلك أيضاً ابن بشكوال في الصلة في ترجمته لأبي عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن طاهر ، رقم ١١٤٠ ص ٥١٣ . وقد ذكر أنه توفي ببُلُنْسِيَة وسيربه إلى مرسية ميتاً ، ودفن بها سنة ٥٠٨ . والمراجع الأخرى تقول إنه توفي سنة ٥٠٧ ، ومن الممكن أن يكون نقل رفاته إلى مرسية هو الذي كان سنة ٥٠٨ .

(٢) أبو علي بن سُكَّرَة هو القاضي أبو علي الصّدّ في السَّرْقُسْطَى ويعرف بابن الدَّرَاج ، وهو أستاذ ابن الأبار الذي ألف في أصحابه معجمه المعروف (نشره فرانيسكو كوديرا في مدريد سنة ١٨٨٦) . وقد توفي أبو علي مستشهداً في وقعة كُتْمَنْدَة (وتكتب أيضاً قُتْمَنْدَة) ، وهي كما يقول ابن الأبار في حَيِّز دَرُوقه Daroca من عمل سرقسطة ، وقد اختلف في تاريخها فيقال إنها كانت بعد عصر الأربعاء ١٧ ربيع الآخر ٥١٤ ، وبعضهم يقول يوم الخميس ٢٤ ربيع الآخر ٥١٤ ، وذكرت تواريخ أخرى قريبة من هذه ، وكان يقود المعركة إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، وقد انهزم فيها المسلمون .

راجع مناقشة تاريخ المعركة في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن أبي ليل الأنصاري ، رقم ٣ ص ٧ من المعجم .

سعادة الشاطبي^(١) ، عن الخطيب أبي الوليد محمد بن عبد الرحمن بن عريب^(٢) ، عن أبي عبد الرحمن بن طاهر بجميع روايته عن ابن ميقل . وكانت فيه دعاية غالبية عليه لا يدعها بحال ، وأجود رسائله ما اشتمل على الهزل لميل طبعه إليه .

وكان على ذلك جواداً ممدحاً ، ينتجعه الشعراء ويقصده الأدباء ، وقد انتجعه أبو بكر بن عمار أيام خموله ، ثم قضى أن خلعه عن سلطانه^(٣) ، فله معه نوادر مذكورة ، منها قوله — بعد خلاصه من اعتقاله وانخلاع ابن عمار عن مرسية واجتماعهما عند الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز أيام رياسته ببلنسية^(٤) : « أبا العيناء لا أنت ولا أنا » ، وكان ابن عمار أخفش . ومنها وقد أرسل إليه وقت القبض عليه يخبره في خلة يلبسها^(٥) ، فقال لرسوله : « لا أختار

(١) من كبار شيوخ القراءات ، أصله من شاطبة ، وقدم على بلنسية في أول شوال سنة ٦١٠ وقرأ عليه ابن الأبار ، عمر فوق المائة ، إذ ولد سنة ٥١٤ أو ٥١٦ وتوفي يوم الثلاثاء ٩ شوال ٦١٤ .

راجع تكملة ابن الأبار ، رقم ٩٣٨ ج ١ / ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) في الأصل : وعريب ، وجعلها دوزي (ص ١٨٨) : ابن عريب وهو تصحيح في محله لأن المراد محمد بن عريب بن عبد الرحمن بن عريب العبسي ، أبو الوليد ، من أهل سرقسطة وسكن مرسية ، وقد ذكر ابن الأبار في ترجمته له (رقم ١٦٠ ص ١٨٠ - ١٨١ من « المعجم » أن « الرئيس » أبا عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر أجاز له . ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) سيفصل ابن الأبار هذه الحوادث فيما يلي من الكلام عن ابن طاهر ، وهناك تفصيل يكمل هذا عند ابن بسام ، الذخيرة (قسم ٣ ، جايانجوس) ورقة ٥ اوب وما يليها .

(٤) كان أبو بكر بن عمار الشاعر هو الذي خلع ابن طاهر عن بلنسية وسجنه كما سيقول ابن الأبار ، وكان المعتمد بن عباد قد أرسل ابن عمار في جيش ليستولي على مرسية ، فلما تم ذلك لابن عمار استبد بمرسية وأراد أن يستقل بها ، فسلط عليه المعتمد ابن رشيق ، فتمكن هذا من خلع ابن عمار ، وخلص ابن طاهر من سجنه ، وخرج الاثنان إلى بلنسية حيث اجتماعا عند صاحبها أبي بكر بن عبد العزيز ، ولابن بسام عبارة لطيفة فيما أصاب ابن عمار على يد ابن رشيق ، أن الأول كان لسان حاله يقول : « آنفقت مالى وحجج الجمل ! »

(٥) أى أن ابن عمار أرسل إلى ابن طاهر — بعد أن قبض عليه وسجنه — يسأله عما يختار من الثياب .

من خَلَمَه — أعزّه الله — إلا فروة طويلة ، وغَفَّارة ضئيلة « فعرفها ابن عمار واعترف بها وقال : « نعم ، إنما عَرَّضَ بزبي يوم قصَدته ، وبهيئتي حين أنشدته » . وقد جرى له مع أبي بكر بن عبد العزيز في معنى الدعابة والمطايبة ما احتمله له بفضل رجاحته . وأبو بكر حركة فذكر القول ، وكان أبو عبد الرحمن مولعاً به ومكثرأً لأكله ، فعرض له هو — بل صرَّح — بما كان في لسانه [٩٠ - ب] من عقلة ، وهو إذ ذاك/ ضيفه^(١) . وخبر خَلَمَه : وذكر ابن بسام وغيره ، وقرأت في تاريخ الكتائب أبي بكر محمد بن يوسف بن قاسم الشلبي تلميذ الكتائب أبي بكر ابن القصيرة وأحد كتاب المعتمد محمد بن عباد ، قال : كان ابن عمار قد نزل ضيفاً على ابن طاهر في صموده إلى ابن رَيمُنْد صاحب برشلونة^(٢) ، فاستبان ضعفه ، فدخل^(٣) أعيان مرسية مُخْبِلاً ومُخَذَّلاً . ثم وصل ذلك عند اجتماعه برَيمُنْد ، بمآقده على أن يعينه في محاصرته ، وبذل له عن ذلك عشرة آلاف مثقال ،

(١) هذا الخبر مضطرب ، ولم أجد أصله لأصوبه رغم كثرة ما كتب عن ابن طاهر هذا . ومن أسف أن ابن بسام قال عندما أشار إلى ولع ابن طاهر بالنوادر — بعد أن ذكر بعضها : « إلى نوادر كثيرة ، وأوابد عنه مأثورة ، إيرادها خارج عن غرض هذا التصنيف ، وليست من شرط هذا التأليف » (مخطوطة القسم الثالث ، ص ١٥) .

ولكن النادرة في مجملها مفهومة ، يفهم منها أن أبا بكر عبد العزيز بن أبي عامر حرك أبا عبد الرحمن بن طاهر إلى التندر ، فذكر القول ، فرد ابن طاهر بشيء يتصل بالقول — وهو عقلته — ملمحاً إلى عقلة كانت في لسان أبي بكر بن عبد العزيز .

وبالإضافة إلى الباب الطويل الذي أداره ابن بسام على أبي عبد الرحمن بن طاهر ، والفصل الطويل الذي اختصه به ابن خاقان في القلائد (ص ٥٦ وما بعدها) ذكر الدكتور شوقي ضيف في تعليقاته الضافية على تحقيقه لمُغْرِب ابن سعيد (رقم ١٣٥ ج ٢ ص ٢٤٧ وما بعدها) بقية المراجع التي تستقى منها أخبار هذا الرجل الذي تعتبر حياته نموذجاً لاضطراب حيوات أهل ذلك العصر .

(٢) المراد Raimundo (Ramón) Berenguer II el Fratricid كونت برشلونة من سنة ١٠٧٦ إلى سنة ١٠٩٦ ، وهو ابن رايموندو بيرنجير الأول الملقب بالعجوز المتوفى سنة ١٠٧٦ ، ولهذا يسمى الأول منهما ابن ريمند .

(٣) الأصل : فدخل .

على أن ينحدر بعسكره إلى مرسية ، ويأتي هوفى عسكر ابن عباد ، ويرهن كل واحد منهما مُعاقِدَه ما يثق به ، فرهن البرشلونى ابن عمه ، وأصعد ابن عباد ابنه المسمى بالرشيد فى جيش إشبيلية وابن عمار معه . فاجتمعا بريمند عليها على ميعاد عيّناه ، وحاصرا مرسية وشنّا الغارات عليها فلم يغالوا منها أكثر من ذلك .

وكان ابن عمار — عند فصوله من إشبيلية — قد قدّر أن يُنظر له فى المال المذكور ويُلحق به ، وذلك لأجل ضربه البرشلونى ، فانصرم الأجل ولم يصل المال . وتحرك المعتمد إلى قرطبة ، ثم إلى جيان ، ومعه الرهينة ، على عادته من التؤدة والالتواء . وأبطأ على ريمند ما عوّد عليه ، واعتقد أن ابن عمار مكر به ، فقبض عليه وعلى الرشيد وقيدهما .

وانقلب عسكر إشبيلية مفلولا ، والمعتمد قد فصل من جيان^(١) وشارف

(١) جيان ، مدينة وكورة فى التقسيم الإدارى للأندلس الإسلامى . والبلد يقع على نهر الوادى الكبير إلى شرقى قرطبة ، وكانت الكورة من أعمر نواحي الأندلس وأغناها وأكثرها سكاناً . أما البلد فيقع على السفح الشمالى الشرقى لجبل كُوز Jabalcuz غربى وادى بُلُشُون Guadalbullón وهو نهر صغير يصب فى الوادى الكبير . والبلد يقع على ارتفاع ٥٤٩ متراً ، ولهذا يصفه جغرافيو العرب بالحصانة والامتناع ، وخاصة قصبته . وجيان اليوم مديرية واسعة من مديريات منطقة الأندلس (وتتكون من ثمان مديريات : ولبة Huelva وقادس Cadix وإشبيلية . Sevilla وقرطبة وجيان Jaén ومالقة Malaga وغرناطة وألمرية Almerfa) . وقد ذهب دوزى إلى أن أصل اسم جِيَّان Ucién اللاتينى ، ولكن عامة المتخصصين لا يرون ذلك . وكانت جيان أيام العرب من الكور المحنّدة ، نزلها جند قنسرين ، ومن أشهر من خرج منها جمال الدين بن مالك الجياني صاحب الألفية . وفى العصر الذى تدور فيه الحوادث التى يتحدث عنها ابن الأبار كانت جيان متنازعة بين أمراء الطوائف ، وقد صارت — قبيل دخول المرابطين — إلى بنى عباد ، ومنها أراد المعتمد أن ينفذ إلى شرق الأندلس ويضم مرسية ، فاستعان بأبي بكر بن عمار فى ذلك وطلب معاونته الكونت رايموندو بيرنجير كما رأينا ، فلم يوفق . وقد سقطت جيان فى يد النصارى نهائياً سنة ١٢٤٨ على يد فرناندو الثالث فى الوقت الذى استولى فيه على قرطبة .

عملَ شَقُورَةَ^(١) . فلما وصل إلى وادي آنة^(٢) لم يمكنه خوضه لمدّه بالسيول ، فأقام على شاطئه الغربي ، وإذا سُرعان فلَّ العسكر قد أطلوا على الشاطئ الشرقي ، فافتحمة منهم فارسان أجازا إليه وأخبراه بالنبا الكريه ، فسقط في يده ونكص على عقبه ، وقد استوثق من الرهينة ، ورجع إلى جَيَّان . وقد كان ابن عمار أوصى إليه مع هذين الفارسين أن يقيم لعله يلحق به ، فورد عليه بعد تمام عشرة أيام ، ونزل على وادي بُلُون ، وكتب كتاباً وطواه ، وبعث به أحد فرسان عبيده إلى جَيَّان ، وفيه شعر يأتي ذكره بعدُ وأوله :

* أصدّق ظني أم أصيخ إلى صهي *

نجاوبه المعتمد عنه بما أنسه . فوصل إليه وبكى بين يديه ، ثم اعترف بالخطأ في السالف ، وتوافق معه على إطلاق رهينة البرشلوني مع المال ، لينطلق الرشيد [٩١-١] بوصولهما من الاعتقال ، فكان ذلك . وانصرف البرشلوني / إلى بلاده ، وعاد الرشيد إلى إشبيلية .

وحكى غيره أن ابن عباد سعى في خلاص الرشيد ، حتى فداه بثلاثين ألفاً ضربها زُيُوفًا ، ولحق الرشيد بأبيه المعتمد .

(١) مدينة كانت إذ ذاك من عمل جيان وتسمى اليوم Segura de la Sierra وينسب إليها نهر شَقُورَة Segura وهونهر مرسية ، يمر بها وبأوريولة Orihuela ثم يصب في البحر الأبيض المتوسط . وجبل شقورة الذي يتحدث عنه الإدريسي (ص ٦٨) وابن عبد المنعم الحميري (رقم ٩٥ ص ١٠٥) يسمى الآن Sierra de Segura ، وهي اليوم بلدة تابعة لمركز أورثيرة Orcera في مديرية جيان . وصارت في آخر العهد المرابطي مركز الثائر ابن هَمَشْلِك . انظر التعليق رقم ٤ على الترجمة الفرنسية للروض المعطار ، ص ١٢٨ .

(٢) أستبعد أن يكون المراد نهر Guadiana المعروف ، ويغلب على ظني أن المراد نهر صغير من نهيرات نهر مرسية يمر ببلدة أنّه ، وهي اليوم Anaya على مقربة من مرسية . وكانت من المدن السبع التي عاهد عليها تدمير العرب . انظر كتابنا : فجر الأندلس ، ص ١١٥ .

قال ابن قاسم المذكور في تاريخه : وعاد لابن عمار في مُرْسِيَّة رأيه الدَّبري . ولجَّ به مَيْلَانُهُ ، فذكر للمعتمد — أو زور — أن أهل مُرْسِيَّة قد داخلوه وخاطبوه ، وأظهر لهم كتباً ذكر أنهم كتبوها إليه — زاد غيره : وذلك في سنة أربع وسبعين . قال : وأشار إليه بتجهيز عسكر ثان يتقلده ، فلم يخالفه — يعني المعتمد — وفصل عن إشبيلية بعسكرها ، ووصل إلى قرطبة — وعليها الفتح ابن المعتمد ، وهو يومئذ حاجبُ أبيه — فضم خيل قرطبة إلى عسكر إشبيلية ، وسهر في اجتيازه هذا ليلةً عند « الفتح » ، إلى أن شارف الصبح ، فقال أحد الخصيان : « قد انصدع الفجر » ، فأنشأ ابن عمار يقول :

إليك عني ، فليلى كله صبحٌ وكيف لا وسميري الحاجبُ الفتحُ ؟

قال : ثم تقدم ابن عمار إلى مُرْسِيَّة ، واجتاز في طريقه على « حصن بلج »^(١) وعامله يومئذ عبد الله بن رشيق ، هكذا سماه ابن قاسم الشلبي هذا — وغيره يقول فيه : عبد الرحمن ، وهو الصحيح . قال : فلما سمع به ابن رشيق خرج إليه على أميال من الحصن ، ورغب إليه في النزول عنده ، فأجابه ابن عمار إلى ذلك . واحتفل ابن رشيق في إنزاله احتفالا استطرفه ابن عمار ، وآل به إلى أن قدمه على جيشه ، ولم يعلم أنه يحمل منه الداهية الدهياء والداء العياء ، فوصل إلى مُرْسِيَّة وضايقها مدة ، غَدَرَ له في أثناءها حصنُ مَوْلة^(٢) ، فاستعمل عليه ابن

(١) حصن كبير كان على مقربة من جيان ، وموضعه الآن قرية Vilches التابعة لمركز

كارولينا Carolina في مديرية جيان :

Cf : MADOZ, *Diccionario Geográfico - Estadístico - Histórico*, Madrid 1850, tomo XVI p. 88 b.

(٢) مولة Mula : كانت إحدى المدن السبع التي تكونت منها ولاية تدمير التي تعاهد تدمير مع العرب على تركه مستقلا فيها (انظر كتابنا : فجر الأندلس ص ١١٥) ، وظلت بعد ذلك من المعاقل الكبيرة في كورة تدمير ، وهي اليوم تابعة لمديرية مرسية وقاعدة قسم قضائي فيها ، =

رشيق وترك معه جملة من الخيل ، وصدر إلى إشبيلية وقد برّح بمرسية تكرر
الحصار وانقطاع المواد بانحزال مولة عنها .

وما زال ابن رشيق يغاديه ويراحها بالغارات ، ويدخل أهلها في القيام
على ابن طاهر ويمنيهم الخطوة ، حتى لان قيادهم وصرحوا له بالإنحياز^(١) ،
ووصلت كتبهم على يديه إلى ابن عمار وهو بإشبيلية . قال ابن قاسم : ولقد شهدت
ابن عمار في القصر بإشبيلية يقرأ هذه الكتب — وكانت أزيد من عشرين —
فلما استوفاهما قال لنا : « كأنكم بفتح مرسية من غد إلى بعد غد » ، فكان كذلك .

ولما تم لأهل مرسية تدبيرهم مع ابن رشيق ، تحرك من مولة نحوهم على وقت
معين ، فلما وصل إلى ظاهرها صرخوا بدعوة ابن عباد ، وفتحوا أبوابها لذلك
الميعاد ، فدخل ابن رشيق في أنصاره بشعاره ، وأخرج / ابن طاهر من داره إلى
السجن ، وكتب من قصر مرسية وقد تملكها ، وأخذ لابن عباد بيعة أهلها .
وحكى غيره أن ابن طاهر لما قبض عليه اعتقل بحصن مُنت أقوط^(٢) ،
إلى أن ورد كتاب المعتمد بتسريحه ، فالحق بأبي بكر بن عبد العزيز ببلنسية ،
لسعيه في ذلك وشفاعته فيه . وقد قيل إن ابن طاهر هرب من معتقله ، بإعانة
ابن عبد العزيز وتنبهه على الوجوه الميسرة لخلاصه .

= وهي تقع في لطف جبل صغير يسمى باسمها عليه بقايا حصن عربي يسمى قصر مولة Alcázar de Mula ،
وقد سقطت مولة في يد فرناندو الثالث المعروف بسان فرناندو سنة ١٢٢٦ .

Cf : MADDOZ, op. cit. tomo XI, 1848, p. 679 - 681.

(١) الأصل : بالإنجاز .

(٢) منت أقوط : حصن من حصون مرسية القريبة منها ، ذكره ابن حازم القرطاجي
في البيت التسعين بعد المائتين من مقصورته ، وهي بالإسبانية Monteagudo وهي اليوم قرية
تابعة لبلدة مرسية قاعدة المديرية التي تحمل ذلك الاسم ، وكانت بقايا حصنها لا تزال قائمة إلى
منتصف القرن الماضي .

Cf : MADDOZ, op. cit. XI, 534 - 536.

E. GARCIA GOMEZ : *Observaciones sobre la Qasida Maqṣūra de*
Abū - l - Hasan Ḥazim al Qartāyannī, Al - Andalus, vol. I, fasc. 1, p. 103.

قال ابن بسام في « كتاب الذخيرة » من تأليفه : ومُدَّ لأبي عن الرحمن بن طاهر هذا في البقاء ، حتى تجاوز مَصَارِعَ جماعة الرؤساء ، وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدي الطاغية الذي كان يدعى الكنبيطور^(١) ، وحصل لديه أسيراً سنة ثمان وثمانين ، يعني وأربعمئة . كذا قال ابن بسام ، وإنما دخل الكنبيطور ببلنسية سنة سبع وثمانين .

وتوفي أبو عبد الرحمن ببلنسية وصلى عليه بقبلة المسجد الجامع منها إثر صلاة العصر من يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأخيرة سنة ثمان وخمسمئة ، ثم سُرِبَ به إلى مرسية ودفن بها وقد نيف على الثمانين .

وعلى مكانه من البراعة والبلاغة في الرسائل ، فلم أقف له على شعر سوى قوله في مقتل القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون على يدي أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري ، عند انتزائه ببلنسية وانتقاله من خطة القضاء إلى خطة الرئاسة ، وكان أخيف :

أيها الأخيف مهلاً فلقد جئت عويصاً

(١) هو السيّد الكنبيطور - أو الكبيطور - El Cid Campeador الفارس المغامر القشتالي الذي قام بدور كبير في تاريخ شرق الأندلس وتاريخ إسبانيا النصرانية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، واسمه Rodrigo Díaz de Vivar ، وقد كتبنا عنه وعن علاقاته بالمسلمين بحثاً مطولاً في مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد سنة ١٩٥١ . ويسمى أيضاً بالسيّد El Cid وهو النداء الذي كان يخاطبه به أتباعه ، وهو اللغة الدارجة في لفظ السيّد العربي . وقد توفي السيّد في ١٠ يوليو ١٠٩٩ .
أنظر عنه :

DOZY, *Le Cid*, dans *Recherches*, 3e édition (1881), II, 1—283.

RAMON MENÉNDEZ PIDAL, *La España del Cid*, 2a edición (Madrid, 1947).

LÉVI-PROVENÇAL, *Le Cid de l'histoire* dans *Revue Historique*, CLXXX, 1937.

إِذ قَتَلْتَ الْمَلِكَ يَحْيَى وَتَقَمَّصْتَ الْقَمِيصَا
رَب يَوْمَ فِيهِ تُجْزَى لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصَا

فقضى الله أن تسلط عليه الطاغية الكنبيطورية ، بعد أن أمّنه في نفسه وماله عند دخوله بلنسية صلاحاً ، وتركه على القضاء نحواً من عام ، ثم اعتقله وأهل بيته وقرابته وجعل يطلبهم بمال القادر بن ذي النون . ولم يزل يستخرج ما عندهم بالضرب والإهانة وغلظ العذاب ، ثم أمر بإضرام نار عظيمة كانت تلفح الوجوه على مسافة بعيدة ، وجيء بالقاضي أبي أحمد يرسف في قيوده ، وأهله وبنوه حوله ، فأمر بإحراقهم جميعاً . فضج المسلمون والروم ، وقد اجتمعوا ، ورغبوا في ترك الأطفال والعيال ، فأسعفهم بعد جهد شديد . واحتفر للقاضي حفرة — وذلك [٩٢-١] بولجة^(١) / بلنسية — وأدخل فيها إلى حُجْزته ، وسوّى التراب حوله ، وضُمت النار نحوه . فلما دنت منه ولفحت وجهه ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقبض على أقباسها وضمها إلى جسده يستعجل المنية ، فاحترق رحمه الله ، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة^(٢) ؛ ويوم الخميس منسلخ جمادى الأولى من السنة قبلها كان دخول الكنبيطور المذكور بلنسية .

(١) ولجة - بالإسبانية huelga - هي الرحبة الواسعة التي تستعمل للنزهة وأصلها عربي - مولجة هي الأرض التي ينعطف عليها النهر فتصبح محاطة بالماء من ثلاث جهات . وقد وجدت ولجات كثيرة قرب مدن أخرى ، ولكن لم أعر على ولجة بلنسية . وفي بلنسية اليوم موضع يسمى رحبة القاضي Rahbatolcadi أمام كنيسة سانتا كاتالينا Santa Catalina ، وأصلها مسجد من مساجد بلنسية الإسلامية ، وقد حول إلى كنيسة بهذا الاسم بعد سقوط البلد نهائياً في أيدي النصارى . ولعل هذا هو الموضع الذي أحرق فيه ابن جحاف . ولم يحقق منذئذ بيدال ذلك الموضوع ، لأنه - أحسب - رغم دفاعه عن هذا العمل البشع الذي أتاه القمبيطور ، يشعر في نفسه بهشاعته . وقد اختفى موضع رحبة القاضي من بلنسية اليوم .

(٢) قص ابنُ بسام في القطعة القيمة التي أوردها في القسم الثالث من الذخيرة (ص ١٨ ب من المخطوط وما بعدها) تحت عنوان : « ذكر الخبر عن تغلب العدو عليها وعودة المسلمين »

ثم ملكها الرومُ ثانية ، بعد أن حاصرها الطاغية جاقم البرشلوني من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين ، وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان ابن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة — وهو يومئذ أميرها — في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند ، وأقبل الطاغية وقد تزيت بأحسن زى في عطاء قومه ، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة ، فتلاقيا بالولجة ، واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سَلماً لعشرين يوماً ، ينتقل أهلُه أثناءها بأموالهم وأسبابهم . وحضرتُ ذلك كله ، وتوليتُ العقد عن أبي جميل في ذلك . وابتدئُ بضَعْفَةِ الناسِ ، وسُيِّرُوا في البحر إلى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم برًّا وبحرًا . وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه ، وعند ذلك استولى عليها الروم ، أَسَانَهُمُ اللهُ^(١) .

=إليها» (يريد بلنسية) أورد فيه تاريخ هذا المسكين جعفر بن جحاف وما أصابه وأصاب بلنسية على يد السيد . وقد نشر هذه القطعة دوزي *Recherches, II, p. VI—XVII* وترجمها إلى الفرنسية في الفصل الكبير الذي أداره على السيد في «أبحائه» وقد أشرنا إليه . وأورد كذلك في صفحة XXXIV ترجمتي الضبي والسيوطي لأبي جعفر أحمد بن عبد الولي البتّي البُلنسي ، من علماء بلنسية ، وقد أحرقه السيد أيضاً . وانظر دفاع رامون منندز بيدال عن ذلك العمل في ص ٥١٨ - ٥١٩ في الجزء الثاني من كتابه الذي ذكرناه «إسبانيا في عصر السيد» .

(١) مراجعنا العربية قليلة عن سقوط بلنسية الأخير وخروجها من دارالإسلام ، وربما كانت هذه الإشارة من ابن الأبار أوفى ما لدينا ! في حين أن المراجع الإسبانية كثيرة جداً ، ذكر بعضها أنطونيو بايستروروس في تعليقاته الوافية التي أضافها على الفقرة التي ذكر فيها سقوط هذا البلد العربي الكبير . وكان الذي استولى عليه خايمة الأول المعروف بالغازي Jaime I el Conquistador ، وكان المحرض الأكبر على ذلك Hugo Folcalquer رئيس طائفة الاسبتارية Orden del Hospital في إسبانيا و Blasco de Alagón من كبار أشراف قطلونية . وكان استسلام البلد وناحيته نتيجة لحروب طويلة بين رؤساء البلد من المسلمين . وقد =

١٣١ — أحمد بن رشيق الكاتب ، أبو العباس

كان أبوه من موالى بنى شهيد ، ونشأ بمرسية ، وانتقل إلى قرطبة وطلب الأدب فبرز فيه ، وبسقى في صناعة الرسائل ، مع حسن الخط المتفق على نهايته . وشارك في سائر العلوم ، ومال إلى الفقه والحديث ، وبلغ من رياسة الدنيا أرفع منزلة . وقدمه الأمير أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العاصري على كل من في دولته ، وولاه جزيرة ميورقة ، فكان ينظر فيها نظر العدل والسياسة ، ويشغل بالفقه والحديث ، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم ، ويصلح الأمور جهده . وهو آوى الفقيه أبا محمد بن حزم ، حين نعى عليه بقرطبة وغيرها خلافة مذهب مالك ، [٩٢-ب] وبين يديه تناظر هو والقاضي أبو الوليد الباجي . قال / الحميدى في تاريخه — وأكثر خبره عنه — : ما رأينا من أهل الرئاسة من يجرى مجراه ، مع هيبة مفرطة وتواضع ، وحلم عُرف به مع القدرة ، وله رسائل مجموعة متداولة . وذكر أنه مات بعيد الأربعين وأربعمئة عن سن عالية ؛ وهو القائل يراجع أبا الحسن ابن سيده الضرير معتذراً عن صلة وجه بها إليه من ميورقة ، وكان قد كتب إليه من دانية يستمنحه^(١) :

أدأب، دهرى ، ولو تطاول لى فى حطّ ثقلٍ من الغرامة بى
أحدثه لى تصاونٌ وهوى فى عفةٍ من دميم مكنسب

— بدأ خايمة حملته فى يوليو ١٢٢٣ بالاستيلاء على بُرّيّانة Burriana ثم استمر التقدم سنة بعد سنة حتى دخلت بلنسية وسلمت كما وصف ابن الأبار فى سبتمبر ١٢٣٨ .

Cf : ANTONIO BALLESTEROS Y BERRÉTA, *Historia de España* (2a edición, Barcelona, 1948), III, 212 - 215.

والتعليقات والمراجع ص ٣٦٤ - ٣٧٠ .

(١) معظم المادة — فيما عدا الأبيات وخبر أبى محمد بن حزم — وارد فى جذوة المقتبس

للحميدى ، رقم ٢٠٧ ص ١١٤ - ١١٦ .

فمن رآني وظاهري لِفَنِّي فباطني قلةٌ على رُتَبِ
أستغفر الله ، بل له نعمٌ وهي بذني إليه لم تجب

١٣٣ — محمد بن مروان بن عبد العزيز الكاتب ، أبو عبد الله

أصله من قرطبة ، وسكن بلنسية ، ويعرف بابن رَوْبَش ، وسيأتي ذكر
نسبه عند ذكر ابنه الوزير الأجل أبي بكر أحمد بن محمد . وكان أبو عبد الله هذا
قد رأسَ في آخر دولة المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر
صاحب بلنسية ، فلما توفي المنصور ومَلَكَ ابنُه المظفر عبد الملك بن عبد العزيز ،
تمشَّطَ حاله معه على ما كانت عليه في حياة أبيه . وكان عبد الملك ضعيفاً ،
تخلَّاه صهره المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة ، في سنة
سبع وخمسين وأربعمائة ، وفي ليلة عَرَفة لتسع خلون من ذى الحجة منها ، ومَلَكَ
بلنسية وما إليها من بلاد الشرق ، فاستخلف عليها أبا عبد الله بن عبد العزيز
هذا ، وجعل إليه تدبير أمرها . ثم انتقل ذلك عند وفاته إلى أبي بكر ابنه ،
فختلَّت فيها حاله بعد موت المأمون بن ذى النون ، واستبد بالرياسة ، وجرى على
أحمدِ سَنَنٍ من السياسة ؛ ذكر هذا الخبر أبو بكر محمد بن عيسى بن مزِين فيما
وقفت عليه من تأليف له مختصر في التاريخ .

وأما ابن حَيَّان فذكر هذا الخنوعَ عبدَ الملك وأساء الثناء عليه ، وحسكى
أنه كان ، في مصير ملك أبيه إليه ، قد تخلى عن / أمر الإمارة أجمعه ، وفوضه إلى [٩٣ - ١]
وزيره أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، الماضي لعبد الملك ^(١) ، مكانه عند توليه

(١) المراد محمد بن عبد العزيز والد أبي بكر ، وهو الذي كان يفضي الأمور لعبد الملك
ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر . وظاهر أنه لا قرابة بين الكاتب محمد بن عبد العزيز =

وأشبع الكلام في صفة خلع عبد الملك ، ونسب محاولته إلى أبي بكر دون أبيه ،
فدل ذلك على وفاته قبلها ، والله أعلم . ومن شعر أبي عبد الله بن عبد العزيز
ما جاب به الوزير أبا عامر بن عبدوس ، وقد كتب إليه :

يا أجليب الناس أغصاناً وأعراقاً وأعذب الخلق آداباً وأخلاقاً
ويا حياً الأرض ، لم نكبت عن سننى وسقت نحوى إرعاداً وإبراقاً ؟
ويا سننا الشمس ، لم أظلمت في بصرى وقد وسعت بلاد الله إشراقاً ؟
من أنى باب سمعت عين الزمان إلى رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا ؟
قد كنت أحسبني في حسن رأيك لى أنى أخذت على الأيام ميثاقاً
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك ما آسى عليه ، وأبدى منه إشفاقاً
قد كنت أوليك إحساناً وإشفاقاً وأنشئ عنك مهما شئت مشفاقاً
وما أوتيتك نصحاً لو جزيت به ، ولم يكن من ذميم الغدر ، ما عاقه
وكان من أملى أن أقتنيك أخاً فأخفق الأمل المأمول إخفاقاً
وقلت : غرس من الإخوان أكلؤه حتى أرى منه إثماراً وإبراقاً
فكان - لما انتهى إزهاره ، ودنا إثماره - حنظلاً مرّاً لمن ذاقه

= وسيط المنصور بن أبي عامر ، إنما هو تشابه أسماء . وظاهر أن محمد بن عبد العزيز
أو ابنه أبا بكر أحمد قد تماثلا مع المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذى النون على خلع سبط ابن أبي عامر ،
وتولاها الأب (محمد) باسم المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذى النون . وذلك هو الذى جبر على
بلنسية إلبلاء ، لأنه جعلها تبعاً لطليطة ، فلما تنازل عن طليطة القادر حفيد المأمون تعهد له
ألفونسو السادس بتمهيد الأمر له في بلنسية ، فسار إليها في حماية السيد القمبيطور الذى ندبه
ألفونسو لذلك . فلما ثار أهل بلنسية على القادر بقيادة القاضى جعفر بن جحاف وقتلوه زعم
السيد أنه صاحب الحق في المطالبة بدمه وبدأ يحاصرها وبدأت مأساته فيها . وقد خلط رامون منندز
بيدال بين بنى عبد العزيز هؤلاء في كلامه عن أحوال بلنسية قبل تدخل السيد في شئونها ، فليتنبه
إلى ذلك عند مراجعته . وقد فصل الأمر ابن حيان (برواية ابن بسام في الذخيرة ، قسم ٣ ص ٤٨
ب وما بعدها) في غضون ترجمته لأبي عامر التاكرنى .

فَلَا نَ أَخْلَقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ ثُوبِ الْوَدَادِ - لِسُوءِ الْفَعْلِ - إِخْلَاقًا
وَلَسْتُ أَوْلَى إِخْوَانٍ سَقِيمَةٍ صَفْوَى وَأَعْلَقْتَهُمْ بِالنَّفْسِ إِعْلَاقًا
فَمَا جَزَوْنِي بِإِحْسَانٍ وَلَا عَرَقُوا قَدْرِي وَلَا حَفَظُوا عَهْدًا وَمِيثَاقًا

١٣٣ - محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري^(١)

ذو الوزارتين ، أبو بكر

أصله من قرية بِشَلْب^(٢) تعرف بِشَنْبُوس ، ونشأ خاملاً ينتجع بشعره
ويطوف على ملوك الطوائف / عصره ؛ وقد تقدم ذكر اعترافه بقصد ابن طاهر [٩٣ - ب]
في الهيئة التي عرض له بها في نادرته .

وتعلق في أول أمره بالمعتمد محمد بن عباد ، حين وجهه أبوه المعتضد محارباً
لشَلْب ، فنزع إليه ، وبلغ من المنزلة لديه أن غلب عليه . ثم صحبه بإشبيلية ،
وكان يُحضّره مجالس أنسه ويستدعيه إليها ، ويؤثره على خاصته ويستريح إليه
بسرّه ؛ ومن ذلك قوله وكتب به إليه :

قد زارنا النرجسُ الذكيُّ وحان من يومنا العشيُّ
ونحن في مجلسٍ أنيقٍ وقد عطشنا ، وثمَّ رى
ولي خليلٌ غداً سمّي ياليتبه ساعد السميّ

(١) الأصل : المهدي ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) شلب Silva مدينة صغيرة حالياً في جنوب البرتغال تابعة لمديرية « الغرب »
Algarve . وانظر موجزاً لتاريخها في العصور الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية :
٤/٤٤٣ ، وانظر أيضاً المادة الطيبة عنها في الروض المطار ، رقم ٩٦ ص ١٠٦ وص ١٢٩
من الترجمة الفرنسية مع التعليقات .

فأجابه واصلاً وقائلاً :

ليبك لبيك من منادٍ له الندى الرحبُ والندى
ها أنا بالباب عبدٌ قنٍ قبلتُـه وجهك السني
شرفه والداه باسمٍ شرفته أنت والنبي
وسرى^(١) إلى ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبة إلى بعض كرائمه
شعراً يعتذر فيه من اللحاق بها ، آخره « إن شاء ربي أو شاء ابن عمار » ،
فقال :

مولاي ، عندي لما تهوى مساعدةٌ كما تتابع خطف البارق الساري
إن شئت في البحر فاركب ظهر ساجدةٍ أو شئت في البر فاركب ظهر طيارٍ
حتى تحلَّ وحفظُ الله يكلؤنا ساحاتٍ قصرك وأتركني إلى داري
وقبلَ خلع نجادِ السيف فاسعَ إلى ذاتِ الوشاح وخذ للعب بالشار
ضماً ولثماً يُغني الحلي بينكما كما تجاوبُ أطيّارُ بأسحار
كما حكى أبو الطاهر التميمي السرقسطي في ديوان شعر ابن عمار من جمعه
عند إيراد هذه القطعة .

وقال ابن بسام في « كتاب الذخيرة » : ذكر أن المعتمد أقام برهة بقرطبة
[٩٤ - ١] يرفع بعض الأمور السلطانية / فسُم طلقه ، وتذكر — على عادته — خلقه ،
ودعته دواعي نفسه ، إلى قيذته وكأسه ، فاستشار يومئذ ابن عمار — وكان خاطبه
في ذلك بشعر ، وظن عنده أهبة ، إذ كانت عليه منه بعض الرقبة — فوجده

(١) كذا في الأصل ، وصوبها دوزي (بنوعباد ٨٨/٢) : ووئى ، ولا وجه له
هنا . ولا بأس بسرى في هذا الموضع .

أهتك سِتراً ، وأقلّ عن اللذات صبراً ، وأشار عليه بتعطيل الشعر ، وإضاعة الأمر ، وجاوبه على ذلك بهذا الشعر — وذكر الأبيات .

ووجه المعتمدُ أبا بكر بن عمار إلى شَلْب متفقداً لأعمالها ، فلما ودعه أنشده وقد احتاج شوقه إليها ، وتذكر معاهد صباه وعهوده فيها ، إذ كان والياً من قبل أبيه المعتضد عليها :

ألا حَيَّ أوطاني بِشَلْبٍ ، أبا بكر
وسلم على قصر الشَّراجِبِ عن فتى
منازل آسادٍ وبيضٍ نواعمٍ
وكم ليلَةٍ قد بَتَّ أنعمُ جَنَحَها
وبيضٍ وسمِرٍ فاعلاتٍ بمهجتي
ليالٍ بسَدِّ النهرِ لهواً قطعَها
نضتُ بُردَها عن غصنٍ بانٍ منعمٍ
واتصل بالمعتمد في بعض سفاراته عنه إلى جليقية أن الطاغية أذفونش ثقفه
هنالك ، ثم ورد الخبرُ بعدُ بضدِّ ذلك ، فلما قدم ابنُ عمار كتب إليه المعتمد :
لما نأيتَ نأى الكرى عن ناظري وصرفتهُ لما انصرفتَ عليه
طلب البشيرُ بشارَةً يحظى بها فوهبتُ^(١) قلبي واعتذرت إليه
إلى غير ما أوردت من الدلائل على لطف المنزلة ، وتمكّن الخطوة ، وتضاعف
الأثرة ، وحب الرئاسة في رأسه يدور ، إلى أن نفذ بمصرعه على يديه المقدور .
ومن بديع صنيع ابن عمار إتلاف أشعاره المقولة في الامتِيّاح^(٢) ، وقصائده

(١) الأصل : فوهيته .

(٢) جعلها دوزى (بنوعباد : ٨٩/٢) : الاصطناع ، ولا محل لهذا التبديل فإن الكلمة

في الأصل صحيحة ، وفي موضعها .

[٩٤ - ب] المصوغة في الاتجاع ، ومحو آثارها ، فما يوقف منها اليوم على شيء سوى /
أمداحه في المعتضد عباد ، وما لا اعتبار به لنزوره .

وقد ألف أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي شعره ورتبه على حروف المعجم ،
ولا شك أنه بحث عنه في مظانّه ، واستفرغ جهده في جمعه ، فلم يقع له على غير
تقريظ المعتضد ، وأرى ذلك خدمةً منه لابنه المعتمد .

وكان ابن عمار شاعر الأندلس غير مدافع ولا منازع ، إلا أن مساوئ
أفعاله ذهبت بمحاسن أقواله : أدمن الخمر ، وهوّن على نفسه الغدر ، فأداه ذلك
إلى رداه ، وكان كالذي نفخ فوه وأوكت^(١) يده . قال ابن بسام : ولما خبط
أبو بكر بن عمار سُمُرَات^(٢) ملوك الأندلس بعصاه ، وتردد ينتجعهم بمكائده
ورقاه — وإنما كان يطلب سلطاناً ينثر في يده^(٣) سلكه ، وملكاً يخلع على
نفسه^(٤) ملكه — جعل أبا عبد الرحمن بن طاهر موقع همّه ، ووجه أمّه .

ولما ألقى المعتمد لابن عمار ما بيده^(٥) ، بعثه على حرب ابن طاهر ، بُنَاءً
لنفسه ، وبناءً على أسّه ، فأقبله وجوه الجياد ، وأخذ عليه بالثغور والأسداد ،
حتى فتّ في عضده ، وانتزع سلطانه من يده . ولما قال عزمه وفعل ، وقام وزن
أمره واعتدل ، مد يده وبسطها ، وكفر نعمة ابن عباد وغمطها ، وانتزى له من

(١) الأصل : وأركت . و«نفخ فوه وأوكت يده» مثل معروف .

(٢) في الأصل بدون شكل . وسمرات جمع سمرة وهو نوع من شجرة الغصاة جيد
الخشب ، والمراد على هذا أنه تردد عليهم بمدايحهم (اللسان : ٤٥/٦) .

(٣) جعلها دوزى : يديه .

(٤) جعلها دوزى (بنوعباد : ٩٠/٢) : عيطفّه .

(٥) نص ابن حيان كما جاء في الذخيرة لابن بسام (قسم ٣ ، جايانجوس ، ورقة ١٥)
وعنه ينقل ابن الأبار هنا : ولما ألقى المعتمد لابن عمار ما بيده ، وقلده — على ما شرحناه في أخباره —
تدبير دولته وبلده ..

حينه على مرسية ، وقعد بها مقعد الرؤساء ، وخاطب سلطانه مخاطبة الأكفاء ،
مستظهاً على ذلك بجر الأذيال ، وإفساد قلوب الرجال ، معتقداً^(١) أن الرئاسة
كأس يشربها ، وملاءة مجنون يسحبها . فقيض له يومئذ من عبد الرحمن بن
رشيق ، عدو في ثياب صديق ، من رجل مدره خنجر ، وجذيل^(٢) خديعة
ومكر ، فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشعاب ، حتى أخرجه من مرسية
لا كالشهاب^(٣) . قال : فصار ابن عمار مع ابن رشيق تحت المثل : « أنفقت
مالى وحجّ الجمل ! » . وقد تقدم ذكر السبب في اعتقال الرشيد بن المعتمد ،
وحصوله مع ابن عمار بأيدي الروم^(٤) ، وانهزام عسكره المحاصر لمرسية . قال
ابن بسام : وفي أثناء تلك الحال ، التي أفضت بالرشيد إلى الاعتقال ، كتب
— يعني ابن عمار — إلى المعتمد بهذه الأبيات :

أصدق ظني أم أصيخُ إلى محبي وأقضى^(٥) غريبي أم أعوج مع الركبي ؟
إذا اتقدتُ في رأي مشيتُ مع الهوى وإن أتعبته نكصتُ على عُنْبي
/ وإني لتثنيي إليك مودةً يغيرها ما قد تعرض من ذنبي^(٦) [١-٩٥]

(١) الأصل : ومعتقداً . ويبدو أن ناسخ الذخيرة أسقط عبارة قبل هذه الكلمة ، وبقيت
واو العطف ، فحذفناها للسياق ..

(٢) جعلها دوزي (بنو عباد : ٩٠/٢) : وجزيل بالزاي ، والصواب ما أثبتناه .
وهو تفسين لقول أبي بكر الصديق في خطبة السقيفة : وأنا جذيلها المحككك .

(٣) كذا في الأصل ، وقد أسقط دوزي حرف « لا » ، وما ورد في الأصل أصح .

(٤) الأصح أن يقال هنا : بأيدي الإفرنج ، لأن المراد هنا رامون بيرنجير الثاني صاحب
برشلونة ، وكان مؤرخو الأندلس يسمون أهل برشلونة بالإفرنج ، وقد سبقت سياقة الخبر
بتفصيل أوفى في ترجمة أبي عبد الرحمن بن طاهر .

(٥) جعلها دوزي (بنو عباد : ٩١/٢) : وأقضى ، ورسم الأصل أصح .

(٦) وردت القافية في القصيدة كلها بدون ياء : ذنب ، قرب ، قلب . . الخ ،

فأضفت التفسير للمعنى .

فما أغرب الأيام فيما قضت به ترينى بُغدى عنك آنسَ من قُرْبى
أخافك للحق الذى لك فى دى وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى
قال : وهذا البيت — على سهولة مبناه — من أحسن ما قيل فى معناه ،
وبمثله فلتُخدع الأبواب ، وتُستعطف الأعداء للأحباب . إلا أن المصراع الأول
كانه شيء تكهنه من شأنه ، وطيرة ألقاها الله على لسانه . وصدق : كان له
فى عنقه ربُّقٌ ، وفى دمه حق ، حتى احتال له قتاله ، والمرء يعجز لا المحالة .
وفىها يقول :

وكم قد فَرَّتْ يَمفَاك بى من ضريبةٍ ولا غرو يوماً أن يَفَالَ من غَرْبى
وأعلمُ أن العفو منك سَجِيَّةٌ فلم يبق إلا أن تُخَفِّفَ من عَتْبى
ولى حسناتٌ لو أمتٌ ببعضها إلى الدهر لم يُرتعْ لثابتٌ سربى
فأجابه المعتمد بقوله :

تقدمُ إلى ما اعتدتَ عندى من الرحبِ ورِدْ تَلَقَّكَ العُتْبَى حجاباً عن العتبِ
متى تَلَقَّنَى تَلَقَّ الذى قد بَلَوْتَهُ صفوحاً عن الجانى رؤوفاً عن الصحبِ
سأوليك منى ما عهدتَ من الرضا وأصفح عما كان — إن كان — من ذنبِ
فما أشعرَ الرحمنُ قلبى قسوةً ولا صار نسيانُ الأذمةِ من شِغْبى
تكلَّفْتُهُ أبغى به لك سلوةً وكيف يعانى الشمرَ مشتركُ اللب ؟

فلم يزد جوابُ المعتمد إلا توحشاً ونفاراً ، وتوقفاً عن اللحاق به وازوراراً .

هذا ما أورد ابنُ بسام من خبر ابنِ عمار فى هذه القضية ، وابن قاسم الشَّلبى
— فى تاريخه المجموع فى أخبار المعتمد محمد بن عباد — أمتنُ علماً بها ، وأحسن
سرداً لها ، وقد مضى من ذلك ويأتى ما يصح به قولى إن شاء الله تعالى .

وأما أبو الطاهر التميمي فحكى أن ابنَ عمار كتب إلى المعتمد بحال
أوجبت إباحاشاً :

* أصدّق ظني أم أصيخُ إلى صحبي *

الآيات المتقدمة إلى آخرها ، وزاد فيها بيتاً وهو :

/ ولا بدّ ما بيني وبينك من نكثاً^(١) يطبّقها ما بين شرق إلى غرب [٩٥-ب]
وأورد جوابَ المعتمد عنها كما تقدم ، ثم قال بعقب ذلك : وقال أيضاً ،
وكتب بها إليه — يعني المعتمد — وقد ارتهن زعيمُ برشلونة ابنه الرشيد لمالٍ
توفّ له^(٢) عنه وظنّ بآبن عمار في ذلك سعيً ، قال : وذلك في سنة إحدى
وسبعين وأربعمائة :

أأركبُ قصدي^(٣) أم أعوجُ مع الركبِ فقد صرتُ من أمرى على مركبٍ صعبٍ ؟
وأصبحتُ لا أدري أني البعد راحتي فأجعله حظي ، أم الخيرُ في القرب
على أني أدري بأنك مؤثرٌ ، على كل حال ، ما يزحزح من كربى
أيظلم في عيني كذا قرُّ الدجى وتنمو بكفى شفرة الصارمِ العضب ؟
[حنانيك فيمن]^(٤) أنت شاهد جدّه وليس له — حاشا انتصاحك — من حسب
[وما جئتُ شيئاً فيه بُغْي] ^(٥) بطالب^(٦) يضاف به رأيي إلى الضعف والخب^(٧) .

(١) نكثاً — على وزن نوى — هو الحديث الذي ينتشر ويندفع . (اللسان : ١٧١/٢٠) .

(٢) الأصل : لهم .

(٣) في قلائد العقيان لابن خاقان (ص ٩٠) : أأسلكُ قصداً .

(٤ و ٥) بياض في الأصل ، والتكلمة من القلائد (ص ٩٠) .

(٦) في القلائد : الطالب .

(٧) في القلائد : العجب .

[سوى أنتى أسلمتني لملءية] ^(١) قللت بها ^(٢) حدى وكسرت من غربى
أما إنه لولا [عوارفك] ^(٣) التى [لما سميت نفع] ^(٤) ما أسوم من الأذى
سأستمنح الرضى ليدك ضراعة وإن نفحتني من سمائك حر جف ^(٥)
جرت في جرى الماء في الغصن الرطب ولا قلت إن الذنب في ما جرى ذنبى
وأسال سقيا من تجاوزك العذب سأهتف : يا برد الذسيم على قلبى !

فأجابه المعتمد :

لدى لك العتبى تزاح عن العتب وأعزز علينا أن تصيبك وحشة
وسعيت عندي لا يضاف إلى ذنب فذبح عنك سوء الظن بي وتعدده
وأنسك ما تدريه فيك من الحب قرينك قد أبدى توحش جانب
إلى غيره فهو الممسك في القلب فكلفته أبغى به لك سلوة
فجاوبت تأنيسا وعلمك بي حسى [١-٩٦] /

هكذا أتى بالقطعتين وجوابهما على نسق ، وترجم في الثانية بالفرقة بينها وبين الأولى ، بخالف ابن قاسم وابن بسام كما ترى ؛ ويحتمل أن تكونا في قصة واحدة .

قال أبو الطاهر : وقد كان خاطب أبا الوليد بن زيدون في أول تعلقه — يعنى بالسلطان — بأبيات استعاد بعضها في هذه القطعة ، وهى :

(١) بياض فى الأصل ، والتكلمة من القلائد (ص ٩١) .

(٢) الأصل « به » ، والتصويب من القلائد .

(٣ و ٤) بياض بالأصل ، والتكلمة من القلائد (ص ٩١) .

(٥) الريح الباردة الشديدة المبوب .

تأملتُ منك البدرَ في ليلةٍ الخطبِ ونلتُ لديك الخصبَ في زمنِ الجذبِ
وجرّدتُ من محروسِ جاهِك مرهناً تولّتُ به خيلُ الحوادثِ عن حربِ
وما زلتُ من نعاك في ظلٍ لذّةٍ تذكّرُنِي أيامها زمنَ الحبِ
إذِ العيشُ في أفياءِ ظلكِ باردٌ فمن مرتجِ خصبٍ إلى موردٍ عذبِ
أحينَ سقى صوبُ اعتنائك ساحتِي فنعمها واهتزّ روضي في تربي
ثنيتَ لطيفٍ قد ثنيتُ مدائمي عليه ، وسربٍ قد بدأتُ به سيربي ؟
أما إنه لولا عوارفك التي جرتُ في جرى الماءِ في الغصنِ الرطبِ
لما ددتُ طيرَ الودِّ عن شجرِ القلي ولا صنتُ وجهَ الحمدِ عن كلفِ العتبِ
ولكن سأكُنِي بالوفاءِ عن الجفا وأرضى ببعدي بعداً ما كان من قربِ
وإن لفحتني من سمائك حرّ جفٍّ سأهتف : يا بردَ النسيمِ على قلبي ا
وإني إذا قللتُ جاهك مطاي وأخفتُ فيه ، قلت : يازمّني حسبي^(١) !
أُظلم في عيني كذا قمرُ الدجى وتنبو بكفي شفرةُ الصارمِ العُصبِ ؟
وهذا أيضاً مما نبّهتُ عليه قبلُ ، وعلى وقوعه نادراً ، حتى لا تعقل محبة
المحكى عنه من ضياع منظوماته في الانتجاع ؛ على أن حكم العتاب خارج عن
هذا الباب .

وأما قصائده الشهيرة في المعتمد وبنيه ، فلتوفية حق الاصطناع ، وتعفية
ما أوقعه في الارتياح ، ودفعه / إلى الاستعطاف والاستشفاع . وإبّ أطلت [٩٦-٢]
— بحسب الاضطرار — الكلام ، واستسهلت في دعوى الاختصار لللام ،
فلغزاية هذه الأخبار ، وبراعة ما يتخللها من الأشعار .

ونعود إلى خبر ابن رشيق مع ابن عمار وما آل إليه أمره بعد ذلك : ذكر أبو بكر محمد بن يوسف بن قاسم الشلبي ما تلخيصه وإيجازه — مع زيادات تخيرتها ، وبعضه على المعنى دون اللفظ — أن ابن رشيق لما قرئ كتابه — المتضمن دخوله مرسية — بإشبيلية ، ارتاح ابن عمار وأعمل نظره في اللحاق بها ، وأشار على المعتمد بذلك ، فما خالفه فوفاً . فلم يترك ابن عمار بإشبيلية في ملك سلطانه ، ولا ملك أحد من معارفه ، فرساً عتيقاً ولا مطية ولا زاملة ، إلا استخرج ذلك من أيديهم رغبة ورهبة ، حتى لاجتمع له مائة جنيبة ومائة زاملة ، وأحضر له التجار ما بأيديهم على اختلاف بضائعهم ، من الديباج والخز إلى ما دون ذلك من نفيس الكسا ، ليعم بذلك أهل مرسية على قدر منازلهم عنده . ولم يخف عن ابن عباد وجه مراده ، فلما سلم عليه مودعاً قل له : « سر إلى خيرة الله ولا تظن أني مخدوع » ، فقال : « لست بمخدوع ولكنك مضطر » ، فلم عنه .

وخرج من إشبيلية على باب مَقْرَآنَة^(١) ، وأقام بظاهرها أربعة أيام يستوفي أغراضه ، ثم رفع ألويته وقرع طبوله ، وسار لا يمر ببلد من أعمال ابن عباد إلا استخرج منه كل ذخيرة . حتى وصل إلى مرسية فدخلها في يوم مشهور ، وابن رشيق بين يديه قد برز له ، وخرج يزفه إلى القصر . وجلس في اليوم الثاني مجلس التهنئة للخواص والعوام ، فسبغت الشعراء بأمداحه ، وقد تزيى بزى مجلس

(١) مَقْرَآنَة — وتكتب أيضاً : مَقْرِينَة — حى من أحياء إشبيلية ، سمي بهذا الاسم نسبة إلى قصر روماني قديم كان فيه يسمى قصر مكاروريوس Macarius . وحتى القرن الماضي كانت هناك حديقة تسمى Campo de los Macarios ، وقد زالت هذه الحديقة الآن ، وحلت محلها مبان حديثة . ويقع حى مقريئة شمال البلد ، ولا زال قسم من السور القديم باقياً هناك . وفيه باب مقريئة المذكور هنا ، وهوليس الباب العربي القديم ، بل هو باب جديد وضع في القرن الثامن عشر ، ولا يمتاز بأى جمال .

ابن عباد في حُل الطويلة على رأسه ، وحكاه في التصيير^(١) وكتب : « ينفذ
هذا إن شاء الله » في أسفل قرطاسه ، وتَحْتَمَّ في كلتا يديه . وبلغه أن ابن
عبد العزيز عاب ذلك عليه ، فكتب إليه :

قل للوزير وليس رأى وزير [أن يُتَّبَعَ التَّزِيرُ بالتَّزِيرِ]^(٢)
ان الوزارة لو سَلَكْتَ سَبِيلَهَا وقف على التعزير والتوقيير
وأرى الفسكاهة جُلَّ ما تأتي به [رُحْمَاكَ]^(٣) في التمجيز والتصدير
وصلت دُعَابُكَ التي أهديتها في خاتم التامين والتأخير [٩٧-١]
وأخطتها للأطاهري^(٤) ، فإن تكنْ نفايضة التقديس والتطهير
ولعل يوماً أن يصير نعتُهُ^(٥) في طينة التقديم والتأخير
وترى بلنسية وأنت قُدارها^(٦) سينالها التدمير من تدمير

(١) الأصل : التصير ، وقد صوبها دوزي كما أثبتناه (بنوعباد : ٩٨/٢) . والتصيير
يراد به هنا التوقيع على الأوامر ، كأن يكتب مثلاً : يصير هذا ، أى ينفذ . راجع تعليق دوزي
اللاتيني (هامش ٩٧ من نفس الصفحة) حيث يقول إن معنى الفعل في هذه الحالة : *effecit ut fieret*
(٢) بياض بالأصل ، والتكلمة من القلائد (ص ٦٤) ، في ترجمة أبي عبد الرحمن محمد
ابن طاهر) . وقد جعلها دوزي (بنوعباد : ٩٨/٢) : « أن يتبع التنديرُ بالتندير » .
(٣) بياض في الأصل ، والتكلمة من القلائد (ص ٦٤) . وقد ورد البيت هناك :
وأرى الفسكاهة جُلَّ ما تأتي به رحماك في التصدير والتظهير
(٤) المراد أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقد سبق في ترجمته ما يدل على اشتهاره
بالفسكاهة والنوادر .

(٥) في القلائد : نَقَشَهُ .

(٦) قُدار : رجل من ثمود يذهب المفسرون إلى أنه هو الذى أشار على قومه بعقر ناقة
النبي صالح عليه السلام ، ويقولون إنه هو المراد بقوله تعالى في سورة الشمس : « إذ انبعث
أشقاها ، فتل لهم رسولُ الله : ناقةٌ إله وسقيهاها ، فكذبوه ، فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم
همذنبهم فنجواها ، ولا يخاف عقباها » . وفي الأمثال : أشام من قُدار .

وحكى غيره أن ابن طاهر هو الذى غمز على رسول ابن عمار المُعَلِّم بِخَاتَمِيهِ ،
وأنه نسب أحدهما للمؤمن بن هود والثانى لأذفونش بن فردلند^(١) . وترجم
أبو الطاهر التميمي على هذه القطعة فى مجموعه من شعر ابن عمار ، قال : وله للوزير^(٢)
الأجل أبى بكر بن عبد العزيز وقد نذر فيه حين بلغه أن أذفونش ملك الروم
أعطاه خاتماً عند اجتماعه به وليأذيه ، فراراً من الوحشة الواقعة بينه وبين ابن
عباد ، وتخوفاً منه ، فقال^(٣) : أخاتم التأمير أم خاتم التأمين ؟ فقال ابن عمار ،
واعتقد^(٤) إنفاذها إليه ، وذكر الأبيات وزاد فى آخرها :

فرسا رهان أتما فتجاريا لنقول فى التقديم والتأخير

قال ابن بسام : واستعمل ابنُ عمار خِساسَ عبيده على الحصون ، وأقطعهم
الضياعَ ، وأعرض عن النصيح ، وأقبل على الغبوق والصُّبوح ، وابنُ رشيق
فى خلال ذلك يستبدل أولئك الأوباش بينى إخوته وأخواته ، وكانوا جماعة .
حتى إذا صارت عن آخرها فى ضبطه ، وعلم أن أمر ابن عمار قد نُقل لابن عباد ،

(١) المراد ألفونسو بن فرناندو الأول ملك ليون الذى وحد قشتالة وليون بعد حروب
طويلة أعقبت موت أبيه سانشو الملقب بالكبير Sancho el Mayor . وكان فرناندو الأول
من أكبر الملوك الذين ساروا بالحرب مع المسلمين المعروفة بالريكونكيستا ، ولهذا يوصف
بالعظيم El Magno . وخلف فرناندو الأول هذا ابنه : سانشو الثانى ملكاً على قشتالة
وآلفونسو على ليون ، ثم دارت حروب طويلة بين الأخوين انهزم آلفونسو خلالها ولبأ إلى
المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة . وبعد موت أخيه سانشو اعتلى عرش قشتالة وليون باسم
آلفونسو السادس ، وهو الذى استولى على طليطلة ، ثم انهزم فى موقعة الزلاقة . ومعظم علاقات
ملوك الطوائف مع آلفونسو السادس ابن فرناندو الأول هذا .

Cf : RAFAEL BALLESTEROS Y BERETTA, *op. cit.*, II, p.296 sqq.

(٢) فى الأصل : بالوزير ، وما أثبتناه أصح (وانظر أيضاً : بنو عباد ٩٩/٢)
والمراد : ولابن عمار مخاطباً الوزير أيا بكر بن عبد العزيز .

(٣) أى- قل- ابن عبد للعزيز متندراً بابن عمار .

(٤) اعتقد هنا معناها : عزم على ، أو قرّر . . وهو استعمال شائع فى الأندلس .

قطع عنه تلك المواد ، وأغرى الأجناد بطلب أرزاقهم منه ، فأيقظته الضرورة من
سنة البطالة . وفي مدة إقباله على سفاخته ، كان ابن عباد يستلطفه بأعيان
الأصحاب ، فيذكرونه بالأذمة ويوعدونه على [... ..] وجاهر به^(١)
وكتب إليه المعتقد :

تغير لي - فيمن تغير - حارثُ ورب خليل غيرته الحوادثُ
أحارثُ إن شوركبتُ فيكَ فطلما نعمنا وما بيني وبينك ثالثُ

جوابه ابن عمار :

لك المثل الأعلى ، وما أنا حارثُ ولا أنا ممن غيرته الحوادثُ
/ ولا شاركتك الشمسُ في وإنه لينأى بحظي منك ثاني وثالثُ [٩٧-ب]
فديتك ، ما للبشر لم يسر برقه ولا نذحت تلك السجايا الدماثُ
أظن الذي بيني وبينك أذهبت حلاوته عني الرجالُ الأخابثُ
تفكرت ، لا أنى لفضلك ناكثُ لدي ، ولا أنى لعهدي ناكثُ
ولكن ظنونٌ ساعدتها نائمٌ كما ساعدت صوت الثاني الثالثُ
أبعداً أنقضاً خمسٍ وعشرين حجة^(٢) تجافتُ لنا عنها الخطوبُ الكوارثُ
مضت لم ترُب مني أمورٌ شوائبُ ولا تليت عني مساع خباثثُ

(١) الفراغ بين الحواصر بياض بالأصل ، وعبارة « وجاهر به » يمكن أن تقرأ « رجا
هر به » ، وهكذا تقرأها دوزي (بنوعباد : ١٠١/٢) ، ولكنني أرى أن الصواب ما أثبتته . ويمكن
أن تقرأ العبارة هكذا : فيذكرونه بالأذمة ، ويوعدونه على [ما ذهب إليه من العصيان]
وجاهر به .

(٢) في الذخيرة (قسم ٢ مخطوطة بغداد ، ص ٢٦٨) جاء صدر هذا البيت هكذا :

• ألمّا مضت خمسٌ وعشرون حجة •

وهو أبلغ ، وأشبه بابن عمار .

حلت يدأ بي هكذا ، وتركنتي نهباً ، وللأيام أيد عوابث
 وهل أنا إلا عبد طاعتك التي إذا ميت عنها قام بعدى وارث ؟
 أعيد نظراً ، لا توهن الرأي ، إنه قديماً كتباً هاف وأدرك راث
 ستذكرني إن بان حبل وأصبحت تنن بكفيك الحبال الرثاث
 وتطلبني إن غاب للرأي حاضر وقد غاب مني للخواطر باعث
 أعود بعد نطته بك أن ترى تحمل عراه العاقداً النوافث

وذكر ابن بسام هذا الشعر بعد أن قال : وأفضت الحال بالرشيد إلى
 الاعتقال بأيدي نصارى الإفرنجية في جملة من المال كانوا أكثروا بها^(١) ، فحبسوا
 الرشيد بسببها إلى أن افتسكه أبوه المعتمد في خبر طويل . وابن عمار صاحب ذلك
 الرحيل^(٢) ، والمعلوم في المعلوم من أمره والمجهول ، وفساد حاله عند المعتمد يتزايد ،
 وتدابره يتساند . وفي أثناء ما وقع من تدبير تلك الأمور ، ونجوم ذلك الاستيحاءش
 والتغيير ، خاطبه المعتمد عاتياً متمثلاً بهذين البيتين — وقد كان خرج عنه —
 وأوردتها^(٣) . وجواب ابن عمار إلى آخره .

(١) سبق أن ذكرنا هذا الخبر في تعليقاتنا على ترجمة أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر ،
 والمراد هنا أن رامون بيرنجير الثاني أكثر في المطالبة بالمال الذي وعده به ابن عمار في نظير
 معاونته في الحصول على مرسية لتضم إلى أملاك المعتمد بن عباد .

(٢) في الأصل : الرعيل ، وجعلها دوزي (بنوعباد : ١٠٢/٢) : الدغيل ،
 والتصويب من " الذخيرة " (قسم ٢ ص ٢٦٧) ، وابن عمار كان صاحب الفكرة في الخروج إلى
 شرق الأندلس مع الرشيد بن المعتمد بجيش من إشبيلية للاستيلاء على مرسية — وبلنسية إن أمكن —
 بمساعدة كونت برشلونة في الأولى والفرنسو السادس في الثانية . وقد اشتهر ابن عمار بمداخلته
 للنصارى وقدرته على إقناعهم وكسب جانبهم ، ولهذا رأينا المعتمد يقول له عند وداعه : « إنني
 لست مخدوعاً » فرد عليه ابن عمار : « إنك لست بمخدوع ، ولكنك مضطرب » ، أي مضطرب إلى
 الاستماعة به في هذا المطلب .

(٣) أي أن ابن بسام أوردتها .

قال ابن قاسم : فكان لا ينثنى عن هواه ، ولا يزلّ عن مرقاه ، حتى قال له من كان يعصيه من نصّاحه : / تعرف الحصنَ الفلاني ؟ قال : نعم ، أليس صاحبه [١٨ - ١] فلان من عبيدي ؟ فيقول له : لا والله ! ما فيه إلا فلان ابن أخي ابن رشيق ، أو ابن أخته ^(١) . وجعل يعدد له المعاول ، ويذكر خروجها من أيدي ثقائه ورجاله ، فسقط في يده ، وفر على وجهه من مرسية إلى جليقية ، لاحقاً بأذفونش بن فردلند ^(٢) ، وشاكياً إليه غدر ابن رشيق رجاء إعدائه عليه . لم يذكر ابن قاسم مروره ببلنسية في خروجه من مرسية ، وهو صحيح . وفي ذلك يقول يخاطب ابن عبد العزيز صاحبها ، وقد أخرج إلى لقائه رجلاً استجهله ^(٣) :

تناهيتُمُ في برنا لو سمحتمُ بوجهِ صديقٍ في اللقاء وسيم
وسلّستُمُ راحَ البشاشة مِنّا لو أنكم ساعدتمُ بنديم
سألتمُ العذرَ الجميلَ عن العُلا وأحتالُ للفضلِ احتيالَ كريم
وأثنى على روضِ الطلاقة بالجنى ^(٤) وإن لم أفز من نشره بنسيم

(١) جاء في مذكرات الأمير عبد الله الزيري : « وقدم إلى مرسية ابنُ رشيق ، فكان يطويها وينشرها ، وشبّك عليه المعاول بقرايته ، واتخذ لنفسه صنائع مدة غفلة ابن عمار عنه ، وإقباله على راحته » .

(٢) الأصل : فرندلند . والصيغة العربية للاسم أقرب إلى صورته الأصلية *Ferdinandus* وهي مأخوذة من صيغة الأبلاتيف للاسم : *Ferdinando* مع قلب حرف « الأول إلى I . والمراد ألفونسو السادس .

وانظر عن محاولات ابن عمار مع ألفونسو السادس « مذكرات الأمير عبد الله الزيري » ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) جاء في الذخيرة (قسم ٢ ، مخطوطة بغداد ، ص ٢٦٠) : « اجتاز ببني عبد العزيز على بلنسية ، وكانوا يضمرون عداوته ، وتخلفوا عن لقائه ، وناب في ذلك عنهم أقوام عوام ، فكتب إليهم . . . »

(٤) الذخيرة (نفس المخطوطة والصفحة) : بالحيا .

بمختم بأعيان الرجال^(١) على النوى فلم تصلونا منهم بزعم
ولكن ساستعدي الوفاء وأفضى سماحك بالأنس اقتضاء غريم
وحكى ابن بسام — في أخبار ابن عمار من تأليفه — أنه قال هذا الشعر
في بعض رسالاته عن المعتمد واجتياز به بيلنسية ، لا عند فراره من مرسية .

قال ابن القاسم : وقد كان ابن رشيق قدّم الحزم ، فاستمال أذفونش بالطافه
وهداياه ، وغيره على ابن عمار ، فانصرف خائباً . ويقال إنه قال له بلسانه :
« يا ابن عمار ، مثلك مثل السارق ، سرق السرقة فضيعها حتى سُرقت منه » .
وعند ذلك عدل إلى سرقة سطة ، بظاهر الخدمة لواليتها المؤتمن أبي عمر يوسف بن
المقتدر بن هود والنيابة عنه بالوزارة ، فأمر له بدار تحمله ومن معه ، وأدرّ عليه
من الإجراء ما وسعهم ووسعه ، وتجاوى عنه مع ذلك فأقام على البطالة مقبلاً ،
وفي ذلك يقول وقد عذّل عن الإدمان :

نعمتم علىّ الراح أدمن شربها وقلتم : فتى هو وليس فتى مجد
[٩٨ - ب] / ومن ذا الذي قاد الجياد إلى الوغى . سوى ، ومن أعطى كثيراً ولم يُكدر؟
فديتكم . لم تفهموا السرّ ، إنما قليتكم جهدي فأبعدتكم جهدي

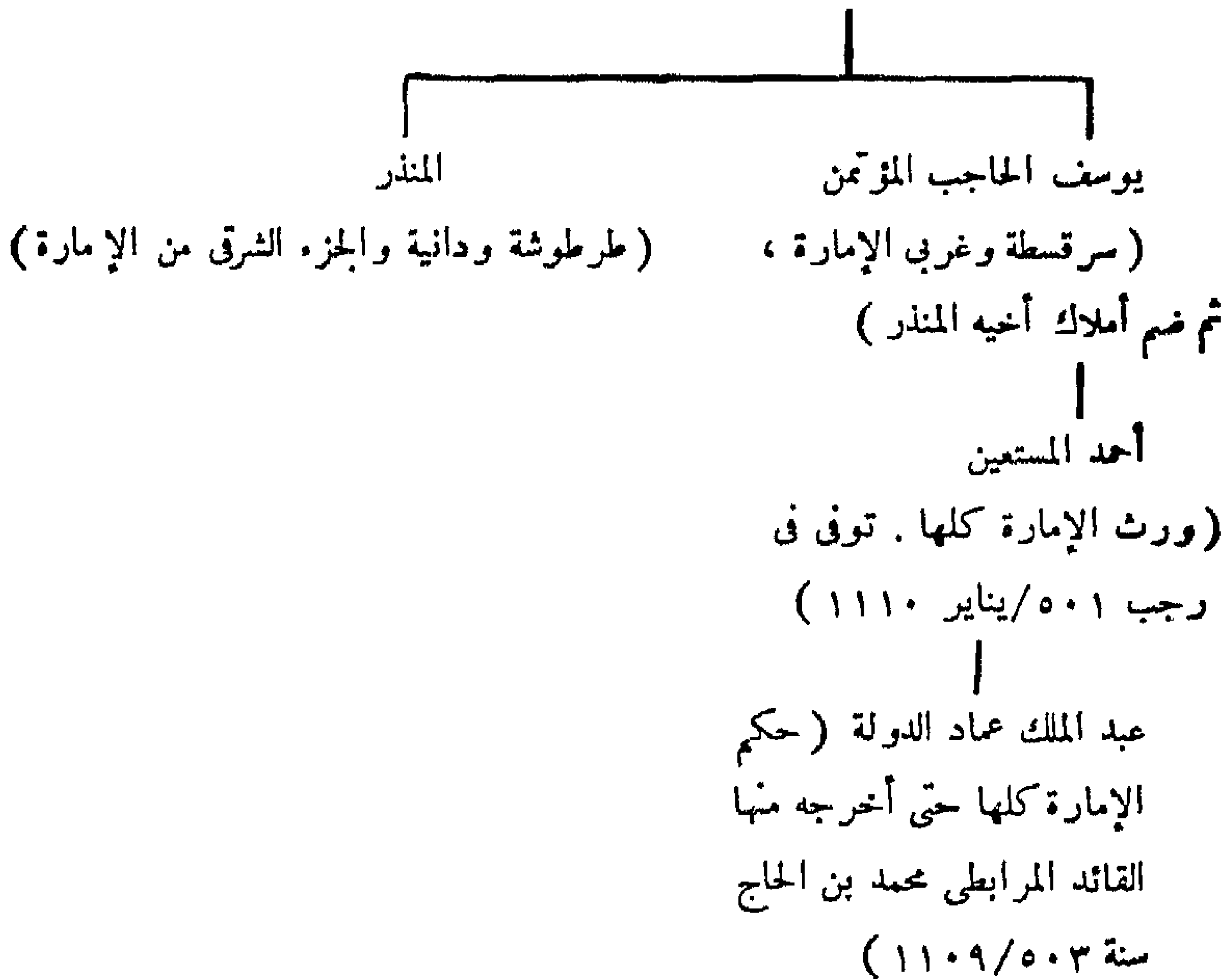
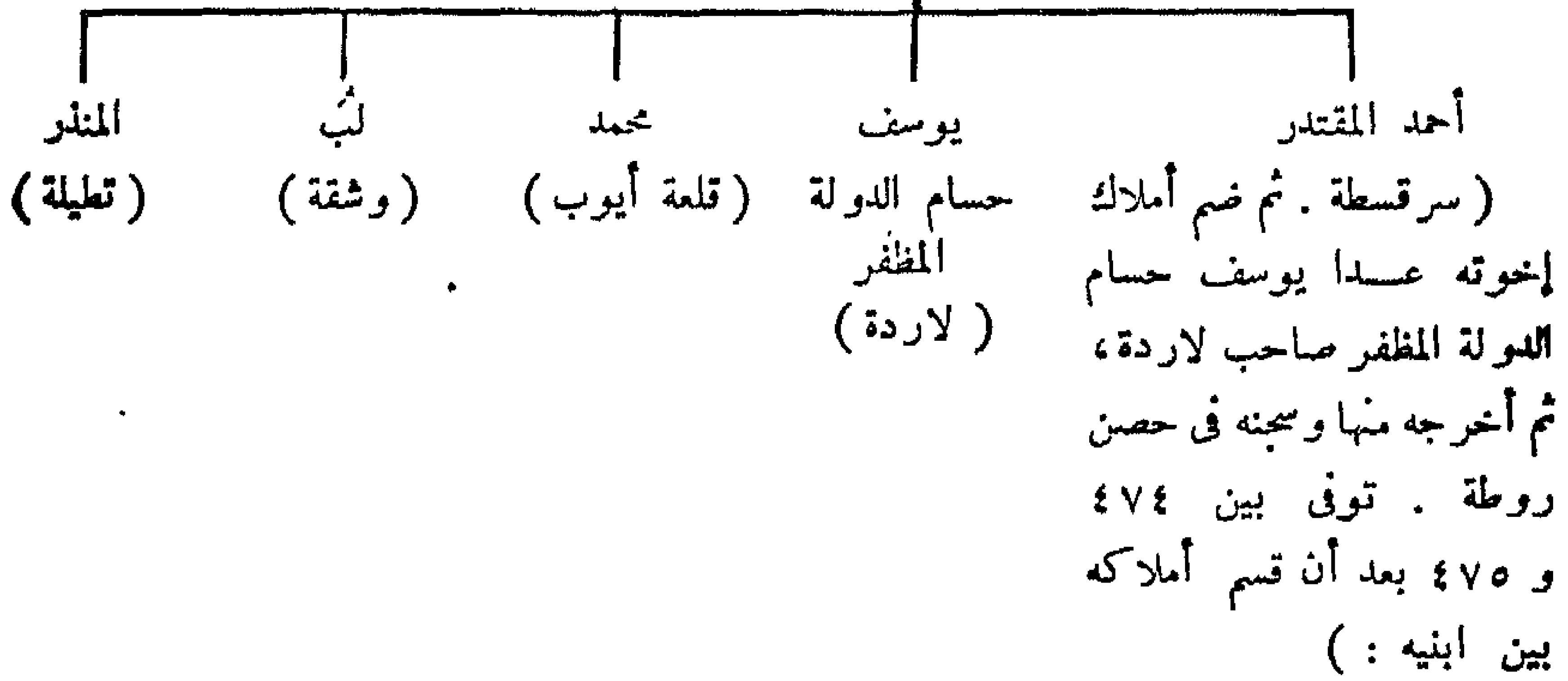
وحكى غيره أنه سُم تلك الحالة ، فرحل إلى صاحب لاردة المظفر حسام
الدولة أبي عمر يوسف بن سليمان المستعين ، وكان أكبر أولاده والذي يُحدّث المقتدر
لما كان عليه من الشجاعة والأدب ، المفضل به على أهل بيته^(٢) ، فأكرمه

(١) الذخيرة : ضننتم بأعلاق الرجال .

(٢) هنا خطأ في سرد أسماء أمراء بني هود وتسلسلهم ، ولتصحيحه نورد فيما يلي جدولاً
بأمراء هذه الأسرة ليستعين به القارئ على تصحيح الخطأ :

سليمان بن محمد بن هود :

(أول من استبد بالشعر الأعلى من بني هود .
استولى على لاردة سنة ٤٣١ ثم سرقسطة وبقية
الشعر سنة ٤٣٨ وقبل موته قسم أملاكه بين
أولاده الخمسة) :



سنة ٥١٢ / ١١١٨ سقطت سرقسطة والشعر الأعلى
نهائياً في يد ألفونسو المحارب بعد وفاة محمد بن عبد الله
مزدلي آخر قواد المرابطين وحكام المسلمين في الشعر
الأعلى .

وأنزله ثم [.....]^(١) وكرّ عائداً إلى سرقسطة . وبلاردة قال قصيدته الفريدة التي أولها :

على ، وإلا ما بكاء الغائم وفي ، وإلا ما نباحُ الحائم ؟

و [. . .]^(٢) أنفذها إلى المعتمد وهي تُنِيف على تسمين بيتاً ، مرّةً له فيها إحسان كثير . ومن فاحش الغلط قول ابن بسام أن ابن عمار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لعلبته على ابنه المعتمد ، ففر من إشبيلية ولحق بشرق الأندلس ، وتمكن من المؤتمن بن هود . قال : ومن هنالك خاطبه بها ، فلما قرعت سمع المعتمد وجهه عن ابن عمار على الترغيب والتسكين واستوزره عدة سنين ، إلى الميقات المضروب والأجل المكتوب ؛ حكى ذلك في « كتاب الذخيرة »^(٣) .

وفي أخبار ابن عمار من تأليفه — ولا أدري كيف غاب عنه — أن ما ادعاه — لو صح — كان قبل الستين أو الخمسين وأربعمائة ، وولاية المؤتمن في جمادى الأولى سنة أربع وسبعين . ولقائل أن يقول : لعل ابن عمار صحبه في حياة أبيه المقتدر ، وهو إذ ذاك مرشح لمكانه ، فيلزمه أن يأتى على مقاله بما يؤمنه من إبطاله . والمتعارف أن ابن عمار لم يصحب المؤتمن بسرقسطة ، إلا عند فراره من مرسية . فغلط ابن بسام لا خفاء به ولا امتراء فيه .

قال ابن قاسم : واتفق أن انتزى عامل لابن هود — يعنى المؤتمن —

— انظر بحثنا : سرقسطة والثغر الأعلى في عصر المرابطين . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة مجلد ١١ ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ .

(١) بياض في الأصل .

(٢) بياض بالأصل ، ويبدو أنه لم يسقط شيء ، فإن الكلام متصل في غير حاجة إلى زيادة .

(٣) قال ابن بسام ذلك في القسم الثاني (مخطوطة بغداد) ص ٢٤٩ .

في معقل منيع من أعماله ، وكانت بينه وبين ابن عمار معرفة ، فضمن له استنزاله .
وسار إليه ، فلما نزل بساحته تشوّف ذلك العامل إلى برّه ، ولم ير بأساً في إرقائه
إلى قصبة حصنه في رجّلين من جملة ، فأوعز ابن عمار إلى الصاعدين معه أن :
« صُبّا سيفكما عليه إذا رأيتماني أماشيته ویدی فی یدہ ، ولو قتلتماني وإياه » ، ففعلا
ذلك . وفر أصحابه عند قتله وألقوا بأيديهم إلى ابن عمار ، متطارحين / عليه [٩٩ - ١]
ومستشفعين به إلى المؤمنين ، فضمن لهم تأمينه إياهم وصفحه عن جنائيتهم ، وخاطبه
بذلك فورد جوابه بإمضاء ما التزمه عنه من الإغضاء ، ولطف محله عنده واستأنف
الاعتناء بشؤونه ، فخطب المتمد في تسريح عياله وأبنائه الذين بإشبيلية ، فلم يبعد
له عن الإسعاف . على أنه كتب في أثناء مراجعته يحذره منه :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُورَى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى ضده^(١) كذى الضنى عاد إلى نكسه

قال : وكان إقبال الدولة على بن مجاهد صاحب دانية ، قبل غلبة ابن هود
عليه — يعني المقتدر ، وذلك في شعبان من سنة ثمان وستين وأربعمائة — قد
استعمل ابنه سراج الدولة على معقل شقورة ، فلما استولى المقتدر على دانية
واحتمل أباه إلى سرقطة ، انفرد هو بشقورة و [ضبطها]^(٢) ثم مات حتف
أنفه وخلف على حرمة وولده في قصبتها عبدّين ، أبوها عبد لأبيه من سبي
سردانية ، هما إبراهيم وعبد الجبار ابنا سهيل ، فرأيا أنهما لا يستقلان بضبط
المعقل ، فجعلا يساومان به الرؤساء المحيطين بهما ، حتى وصلت إشارتهما^(٣) إلى
المؤمن بن هود . فللذي اتفق لابن عمار قبل مع عامل المؤمنين المنتزى عليه ،

(١) المشهور : إذا ارعوى عاد إلى غيظه .

(٢) بياض في الأصل ، وقد أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٣) الأصل : إشارتهما .

سولت له نفسه الخائنة إعمال تلك الحيلة في ابني سُهَيْل ، أو استنزاهما بالإرغاب في الثمن ، فضمن لابن هود أمرهما ، وطلب منه تجهيزه في عسكر يستعين به على محاولته ، فأسعفه . ولما وصل إلى حضيض شقورة لم يقدم شيئاً على الصعود إليهما مع صاحبيه الملازمين له ، وهما « جابر » و « هاد » اللذان يقول فيهما من كلمة له :

عَطَلْتُ مِنْ حَلِي الرَّكَّابِ جِيَادِي وَسَلَبْتُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ صِغَادِي
فَإِذَا كُسِرَتْ قَتْمٌ خِدْنٌ « جَابِرٌ » وَإِذَا ضَلَّتْ قَتْمٌ آخَرُ « هَادٍ »
كَذَا أَنشَدَ ابْنُ قَاسِمٍ ، وَلَا يُعْرِفُ هَذَا الْبَيْتَ فِي قَصِيدَتِهِ . وَهِيَ شَهِيرَةٌ
جَلِيلَةٌ ، يَرَاوِجُ بِهَا أَبَا عَيْسَى بْنُ لَبْنُونٍ وَأَخَاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ . وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ يَرْوِيهِ
أَبُو الطَّاهِرِ التَّمِيمِيُّ :

[٩٩ - ب] / عَطَلْتُ مِنْ حَلِي السُّرُوجِ جِيَادِي وَسَلَبْتُ أَعْنَاقَ الْمَطَى صِغَادِي

قال : ولما انتهى ابن عمار من مصعدها إلى درجٍ لا يتخطاه الصاعد حتى
يُجَذَّبَ بَضْبَعِهِ ، تقدم هو فرُفِعَ بالأيدى ، وأشير على صاحبيه فولّيا منحدرين .
واحتُمِلَ هو إلى ذِرْوَةِ الْقَصْبَةِ فَشُدَّ وَثَاقُهُ ، وانصرف عسكر سرقسطة . وكان
ابن عمار قد أحقد هذين العبدين ، حين كتب أيامَ رئاسته بمرسية إليهما
بشعر أوله :

شَمَخْتُ بِكُمْ فَشَمَخْتُمُ الْأَجْبَالُ [...] ^(١) تَسْتَنْزِلُ الْأَفْعَالُ

وبعد قبضهما عليه طلبا بيعه من رؤساء الأندلس ، فتثاقلوا جميعاً عن ذلك ،
وخَفَّ ابْنُ عِبَادٍ إِلَيْهِ ، فَأَنْفَذَ نَحْوَهُمَا بِكُلِّ مَا سَأَلَاهُ ابْنَهُ يَزِيدَ الْمُسَمَّى بِالرَّاضِي ،
فَنَزَلَ عَلَى حَكْمِهِ وَأَسْلَمَاهَا إِلَيْهِ وَإِيَّاهُ إِلَيْهِ ^(٢) . فَقَدَّمَ عَلَى الْحَصْنِ ، وَانْصَرَفَ إِلَى أَبِيهِ

(١) بياض في الأصل .

(٢) أي أسلما قصبة شقورة وابن عمار إلى يزيد الراضي بن المعتد .

المعتمد وهو بقرطبة ، وابن عمار بين يديه مقيد بين عدلتي تبني على هُجْنِ زوامل
العسكر ، وميل به إلى سجن قد أعد له . وعند قدوم الراضي شقورة لتسلمه
كتب إليه :

قالوا : أني الراضي ، فقلتُ : لعلها^(١) خلعت عليه من صفات أبيه
فألّ جرى فعسى المؤيد واهباً لى من رضاه ومن أمان أخيه
قالوا : نعم ، فوضعتُ خدي في الثرى شكراً له ، وتيمناً ببنيه
يا أيها الراضي وإن لم تلقني من صفحة الراضي بما أدريه
هَبَكَ احتجبت لوجه عذر بين بَذَلُ الشفاعة أي عذر فيه ؟
سَهْلٌ على يدك الكريمة أحرفاً في من أسرت فتثنى تفديته

ولما قارب قرطبة قال يخاطب المأمون الفتح بن المعتمد مستشفعاً به :

هلا سألت شفاعة المأمون أو قلت ما في نفسه يكفيني ؟
ما ضر لو نبهته بتحية يسرى النسيم بها على دارين^(٢)

يقول فيها :

بيدي من « المأمون » أوثق عصمة لو أن أمرى في يد المأمون^(٣)

(١) في الأصل : لعله .

(٢) المراد هنا دارين التي ذكرها ياقوت (٢٥/٤) وقال إنها فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، وذكرها كثير التوارد في الشعر العربي . والمراد - إذا صح هذا - تحية تحمل عطر المسك .

(٣) في الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٠) :

بيدي من المأمون أوثق عصمة ولو أن أمرى في يد المأمون

وهذه الرواية أصح . وقد وردت « بيدي » في المخطوط مصحفة : يبيدي .

وعلى هذه الصورة تكون « المأمون » الثانية كناية عن المعتمد نفسه ووصفاً له بأنه مأمون .

[١٠٠-١] / أمرى إلى ملكٍ إليه أمره وكفاه من فوق ، كفاه ، ودون^(١)

يا « فتح » جرّدها عنايةً فارس^(٢) دَرَبٍ على نصر الوليّ أمين^(٣)

واقرن شفاعتك الكريمة عنده بتواضع عن عزة ، لا هون

في شِكةٍ من هيبةٍ وسكينةٍ وبضجة^(٤) من رحمةٍ وحنين

يا فتح إن نازلتك مستنزلاً فاهناً بفتحٍ من رضا مبین

[وليخلصن^(٥) إليك] من أنفاله علق^(٦) يشد عليه كفّ ضنين

وكتب إلى الرشيد بن المعتمد يستشفع به :

قل لبرق الغمام : ظاهرٌ بريدى قاصداً بالسلام قصرَ الرشيد^(٦)

فتقلّب في جوّه كفّوادى^(٧) وتناثر في صحنه كالفرید

(١) في الذخيرة (نفس القسم والصفحة) :

• وكفاه من فوق ، كفاه ، ودون •

(٢) كلمة « فارس » هنا مستعملة استعمالاً لطيفاً يشبه استعمال ما يقابلها في الإسبانية

caballero ، ويراد به الرجل الشهم الكريم ذو الأريحية .

(٣) في الذخيرة :

• بطل على حرب الوليّ أمين •

(٤) وردت هذه الكلمة على هذه الصورة في الذخيرة أيضاً ، ولكن المعنى يقتضى أن نقرأ

هنا : ونصيحة .

(٥) يناض في الأصل أكلته من الذخيرة ، ونص المصراع هناك :

• وليخلصن إليك من أعلّقه •

(٦) في الذخيرة :

قل لبرق الغمام مظهرأ لبريد قاصداً بالسلام قصر الرشيد

وفيه خطأ عروضى فضلاً عن عدم انسجام المعنى .

(٧) الأصل : كفّو ، ونجعلها دوزى . (بنوعباد : ١١١/٢) : كفّووج ! وقد أكلت

اللفظ من نص الذخيرة .

وانتحيب في صلاصيل الرعد تحكي
ضججتى في سلاسل وقيـودى
فإذا ما اجتلاك أو قال : ماذا ؟
قلت : إني رسول بعض العبيد
بعض من أبعده عنك الليالى
فاجتني طاعة الحب البعيد

ثم قال يخاطب المعتمد وهو بقرطبة :

سجايك - إن عافيت - أندى وأسمح
وإن كان بين الخطتين مزية
حنانيك في أخذى برأيك ، لا تطع
وإن رجأت أن عندك غير ما
ولم لا ، وقد أسلفت وداً وخدمة
وهبنى قد أعقت أعمال مفسد
/أقلى بما بينى وبينك من رضا
وعف على آثار جرم جنيته
ولا تستمع زور الوشاة وإفكهم^(٢)
سيأتيك فى أمرى حديث ، وقد أتى
تخيلتهم^(٣) ، لا درّ الله درّهم !
وعذرُك - إن عاقبت - أجلى وأوضح
فأنت إلى الأدنى من الله أجنح
وشأتى ، ولو أثنوا على وأفصحوا
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
يكرّان فى ليل الخطايا فيصبح ؟
أما تفسد الأعمال ثمّت تصلح ؟
له نحو روح الله باب مفتّح [١٠٠-ب]
بهجة رُحى منك تمحو وتمّصح^(١)
فكل إناء بالذى فيه يرشح
بزور بنى عبد العزيز موشح
أشاروا تجاهى بالشّمات وصرحوا

(١) مصحح الكتاب يمسح مصوحاً : دَرَسَ أوقارب ذلك (اللسان: ٤٣٥/٣) وهو لازم لا يتعدى إلا بالباء أو بالهمزة فيقال مَصَحَّتْ به أو أَمَصَحَّتْهُ ، ولهذا شكلته : تُمَصِّح .
(٢) الورقة التى تضم بقية القصيدة فى مخطوط الذخيرة (القسم الثانى) عندى ناقصة .
وقد راجعت هذه البقية على نصّها عند عبد الواحد المراكشى فى المعجب ، ص ١٢٧ . ونص
هذا المصراع عنده :

* ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم *

(٣) فى المعجب (ص ١٢٦) : كأنى بهم .

وما ذاك إلا ما علمتُ ، فإنتي إذا بُتُّ لا أنفك آسو وأجرح
 وقالوا : سيجزيه فلانٌ بذنبه فقلتُ : وقد يعفو فلانٌ ويصفح
 ألا إن بطشاً للمؤيد يرتقى^(١) ولكن عفواً للمؤيد يرجح
 وبين ضلوعى من هواه تميمٌ ستنتفع لو أن الحمام يُجَلِّح^(٢)
 وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا سوى أن ذنبى ثابتٌ متصحح
 نعم لى ذنبٌ ، غير أنَّ لحلمه صفاةٌ يزكُّ الذنبُ عنها فيفصح
 سلامٌ عليه كيف دار به الهوى إلى فيدنو ، أو على فينزح
 ويهنيه إن متَّ الشلُّو فإنتي أموت وبى شوق إليه مبرح

وكل ما صدر عن ابن عمار فى نكبتة فمن حرُّ كلامه ، وكفى بهذه
 القصيدة حُسن براعة ولطف ضراعة . وقد كان خاطب المعتمد قبل ذلك من
 معتقله بأبيات منها :

والله ما أدرى إذا قالوا : غداً يوم اللقاء
 ما أقتلَ الحالين لى إن كان خوفاً أو حياءى

فما أصغى إليه ولا أبقى عليه .

وحكى أبو محمد عبد الملك بن أحمد بن صاحب الصلاة الباجي ، عن بعض
 الكتّاب ، أنه ما شئى أبا جعفر بن عطية الوزير - فى صدره عن الأندلس

(١) وردت الكلمة فى الأصل : يوتى ، والتصويب من المعجب .

(٢) الأصل يجَلِّح ، وقد صوبتها بعد مراجعة لسان العرب (٣/٢٤٩ - ٢٥٠) والمراد
 يُزال أو يُكشف .

إلى سراكش ، وقد أحس بالتغير / عليه وتمكّن أعدائه منه في منجيه ، وذلك [١-١٠١]
في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة — قال : فرأيت مستوحشا قلقاً ، فاستدنانى
واستنشدنى قول ابن عمار :

سجايك — إن عافيت — أندى وأسجحْ وعذرک — إن عاقبت — أجلى وأوضحْ
فأنشدته القصيدة إلى آخرها ، فلما أكلتها قال : لقد كان ابن عباد
قاسى القلب .

وقول ابن عمار فيها : « سيأتيك في أمرى حديث » البيت ، أراد به
الوزير الأجلّ أبا بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، وكان واحداً وقته رفعةً
وجلالةً ، وضدّ ابن عمار صيانةً وأصالةً ، فتولّع بانتقاصه ، وغري^(١) بذمه ،
فكان لا يصدر عنه مجتازٌ به إلا أبلغه قدحاً ، ولا يرد عليه شاعر إلا ألزمه
ثلثه ، ولا يحضره ضيف إلا أسمعته استراحته فيه ، تعرّض المشروف للشريف ،
حتى لخاطب أهل بلنسية يغريهم به ويخضعهم على القيام عليه . وقيل : إنما قال
ذلك حين غدره ابن عبد العزيز في حصن « جُمْلَة »^(٢) من أعمال مرسية^(٣) :

خبر بلنسية ، وكانت جنةً أن قد تدلّت في سواء النارِ
غدرت وفيًا بالهود ، وقلما عثر الوفي سعى إلى الغدارِ
يا أهلها من غائبٍ أو حاضرٍ وقطينها من راسخٍ أو طارِ

(١) أى أولع ، والمراد أن ابن عمار هو الذى تولع بدم ابن عبد العزيز .

(٢) جُمْلَة Jumilla مدينة في مديرية مرسية ، وهى مركز إدارى وقاعدة بلدية ،

على ٧٤ كيلومتراً من مرسية .

Ci : *Diccionario Geográfico de España*, tomo XI, p. 290 - 292.

(٣) قال ابن بسام هنا (الذخيرة قسم ٢ ص ٢٧٠) : وفى بنى عبد العزيز أيضاً يقول

(أى ابن عمار) مغرياً بهم ، خاطباً لنفسه ، ونحلّها ابن المطرز الشاعر .

جازوا بني عبد العزيز فإنهم جرّوا إليكم أسوأ الأقدار
يقول فيها :

جاء الوزير بها يكشف ذيله عن سوءة سوءى وعار عار
نكث اليمين وجار عن سنن التقى وقضى على الإقبال بالإدبار
آوى لينصر من نبا المثوى به ودهاه خذلان من الأنصار
ما كنتم إلا كامة صالح فرماكم من طاهر^(١) بقدار
هذا وخصكم بأشام طائر ورمى دياركم بالأم جار
وفي هذه القصيدة :

كيف التفلت بالخديعة من يدى رجل الحقيقة من بنى عمار
[١٠١-ب] / فذيله المعتمد — لما اتصل به هذا الشعر — بقوله معرّضا بابن عمار
وزارياً عليه .

الأكثرين مسوداً ومملّكاً ومتوجاً فى سالف الأعصار
والمؤثرين على العيال بزادهم والضارين إلهامة الجبار
الناهضين من المهود إلى العلا والمنهضين القار بعد القار^(٢)
إن كوثر وواكانوا الحصى، أوفوخروا فمن الأكاسير من بنى الأحرار
يضحى مؤملهم يؤمل سيبه ويبيت جارهم عزيز الجار

(١) الأصل : ظاهر ، والتصويب من الذخيرة (قسم ٢ - ص ٢٧١) والمراد أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر .

(٢) هذه أيضاً رواية الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٧٢) ، ولكن دوزى جعلها :

* والمنهضين القار بعد القار *

تبكي عليهم شنبوسُ بعبرةٍ كأتبها المتدافع التيسار
يقول فيها :

يا شمسَ ذاك القصرِ ، كيف تخلصتُ فيه إليك طوارقُ الأقدارِ
[لما] تنلكِ شعوبُ حتى جاوزتُ غلبَ الرقابِ وسامى الأسوار^(١)

يريد بشمس أم ابن عمار ، وبشنبوس قرية أوائله من نواحي شلب —
فاحتاج ابن عمار لذلك واستوحش . وبلغت أبياتُ المعتمد إلى ابن عبد العزيز
فطار بها سروراً ، وأحدثت له في نفسه على ابن عمار مكيدة ، وذلك أنه دس
إلى مرسية نبيلاً من يهود الشرق^(٢) ، لابس ابن عمار حتى اطمأن إليه ، وأحله
محل الرواية لأشعاره في هجاء ابن عباد ، ومن ذلك قوله :

ألا حتى بالغرب حياً حلالاً أناخوا جبالاً وحازوا جبالاً
وعرّج بيومين^(٣) أم القرى ونم ، فعسى أن تراها خيلاً

(١) أكلت بياض الأصل في هذا البيت من الذخيرة ، ونصه هناك :

لما تنلك شعوب حتى جاوزت غلب الرجال وسامى الأسوار

قال ابن بسام في الذخيرة بعد أن أتى بهذه الأبيات (قسم ٢، ص ٢٧٣) : وشنبوس التي ذكر
هي قرية ببادية شلب ، كانت مقر سلف ابن عمار . وقوله : «يا شمس ذاك القصر» كانت والدته ابن
عمار — زعموا — كانت تدعى بشمس مصغرة « وعلى هذا فقد كان اسمها شمس أو شميسة .

(٢) قال ابن خاقان في ترجمته لابن عمار في القلائد (ص ٩٢) في سياق نماذج من شعره :
فن بديع ذلك ما طالع به أبا الفضل بن حسداى يصف موضعه المعتقل فيه :

أدرك أخاء ولو بقافية كالطبل يوقظ نائم الزهر

ومن المعروف أن أبا الفضل بن حسداى كان صديقاً لأبي بكر بن عبد العزيز ، وهو الذى
كتب خطابات الدعوة لزواج المستعين بن المؤتمن بن هود ببنت أبي بكر بن عبد العزيز (راجع
ترجمة أبي الفضل بن حسداى في القلائد ، ص ١٨٤ — ١٨٥) . فهل يكون هذا هو اليهودى
الذى استعان به ابن عبد العزيز فيما أراد بلوغه من ابن عمار؟

(٣) كذا ضبطت في الأصل ، وقد سبق أن ذكرنا في تعليقاتنا أن رسمها يورمين أصبطل .

لتسأل عن ساكنيها الرماد ولم تر للفسار فيها اشتعالا
وفيها إقذاع . ومنها :

سأكشف عرضك شيئا فشيئا وأهتك سترك حالا فحالا
ويؤمِّنُ اسم قرية منها أوليَّة بني عباد ، فلما حصل اليهودي منها — وهي
بخط يده — على بغيته ، طار بها صادراً إلى ابن عبد العزيز ، فطيرها مُدرجةً
[١٠٢-١] طيَّ كتابه إلى المعتمد ، فكان ذلك مما أحققه / على ابن عمار وأحفظه .

ولما أتاه به ابنه يزيدُ الراضي ، أقام بقرطبة عدة ليالٍ يُحضره في كل ليلة
منها راسقاً في قيوده ، فيقرره على غدره ويوبخه بفعله ، ويوقفه على أشعاره
المدرجة إليه طيَّ كتاب ابن عبد العزيز . ثم انحدر به إلى إشبيلية فسجنه
في بيت خامل من بيوت القصر أياماً ، ثم قتله بيده . وكان أسرُه بشقورة
لستَ بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وقدومُ الراضي
به على قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب فيها .

وقيل إن القادمين به مع الراضي لما سلموه إلى القصر ، دُعوا ذلك اليوم بعد
العصر في سلاحٍ شاكٍ وتعبئة ظاهرة ، ليصحبوه إلى إشبيلية ، فأقاموا على ذلك
إلى الليل ينتظرون تسليمه إليهم ، ثم لم يرعهم إلا خروج المعتمد والشمع بين
يديه ، والحرمُ حواليه ، وابن عمار يئنه على بغل ، وهن يهزأن به ويتضحكن
منه ، فأعربتُ حاله يومئذ بمبادئها عن سوء العاقبة فيها . وورد على المعتمد
غيرُ ما خطاب فيه بالشفاعة ، فسدَّ الباب في ذلك وشدَّ صِفاده^(١) هنالك .

(١) الأصل : صفاره . وجعلها دوزي (بنوعباد : ١١٨/٢) حصاده . وقد راجعها

على نفس الذخيرة ، وابن الأبار يتابعه هنا ، وصوبتها من هناك (قسم ٢ ص ٣٧٥)

وحدث أبو بكر المنجم أن ابن عمار استدعى سحاة ودواة في اعتقاله بقصر إشبيلية ، فبعث المعتمد إليه بزوج كاغد ، فكتب إليه شعراً يستعطفه به ، فعطف عليه وأحضره ليلته تلك ووعد العفو عنه . فخطب ابن عمار الرشيد بن المعتمد بذلك ، فلمح المخاطبة وزيره عيسى ابن الأستاذ أبي الحجاج الأعمى ، فأشاع الحديث ، وبلغ ذلك أبا بكر بن زيدون — وكان شديد العداوة لابن عمار^(١) — فتخلف عن الركوب إلى القصر حتى وجه فيه المعتمد ، فعرفه أن مجلسه مع ابن عمار وصل إليه ، فازداد المعتمد حنقاً عليه ، وحرّك ذلك من ضيقه ، وقال لأحد المجاييب : « سل ابن عمار كيف وجد السبيل — مع الترقيب — إلى إفشاء ما أخذت معه البارحة فيه ؟ » ، فسلك سبيل الإنكار^(٢) ، ثم قال : « إني خاطبت الرشيد وأعلمته بما وعدني به مولانا من العفو » ، فأتقده المعتمد وقام من فوره وأخذ — زعموا — طَبْرَزِيناً^(٣) ودخل إليه ففرع

(١) في الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٣) : « وانتهى الخبر إلى الوزير أبي بكر بن زيدون ، صاحب الدولة وقته ، وعداوته لابن عمار أوضح من أن تشرح ، فدمغته من ذلك دامغة ، وبات بليلة النابغة »

(٢) الذخيرة هنا أكثر تفصيلاً (قسم ٢ ص ٢٨٣) : « فلما سأله أنكر ، قال المعتمد : فما أراد بالكاغد الذي طلب ؟ قال إنه أخبر أنه كتب إليه فيه شعر . قال : هو في ورقة مفردة ، فما فعل بالأخرى من الزوج الكاغد المبعوث به إليه ؟ قال : كتب فيه مسودة ذلك الشعر . قال المعتمد : خذها منه لأقف على ذلك ، فلما لم يجد بدأ من النطق بالصدق رجع إلى الحق ، وقال : إني خاطبت الرشيد . . الخ » .

ومثل ذلك عند عبد الواحد المراكشي ، مع خلاف في الألفاظ (المعجب ، ص ١٢٧ — ١٢٨)

(٣) طَبْرَزِين : فأس مرهف الحدين *hache à deux tranchants* . جاء في القاموس المعروف بالفوكابوليستا *Vocabulista in Arabico* (الذي نشره سكيافاريلي *Schiaparelli* في فلورنسا سنة ١٨٧١) : *bipennis* (= ذو حدين) و *pica ferri* (= فأس من حديد)

— كما^(١) كان في قيوده — إلى تقبيل رجليه ، فضر به ثم أمر فأجهز عليه .
وبما يشهد أنه باشر قتله قول عبد الجليل بن وهبون يرثيه بيت مفرد وهو :

[١٦٢-ب] / عجباً لمن أبكيه ملء مدامي وأقول : لا شلت يمين القاتل

وأخبر ذو الوزارتين صاحب المدينة أبو محمد عبد الله بن سلام — بتخفيف اللام — الشُّلبي ، وكان من صميم إخوان ابن عمار ، قال : إني لفي أرَجى ما كنتُ لإقالة ابن عمار ، وقد هيأتُ لخروجه مجلساً من أحسن مجالس دُوري يقيم فيه ريثما تُخلى له دُوره ، إذا رسول المعتمد يستدعيني ، فما شككتُ في تمام ما كنتُ أريده لابن عمار . فلما وصلت فصيل القصر ، إذا هو متشحط في دمائه ، ممرغ في ثيابه طريح في قيده . فقال لي الفتيان : « يقول لك السلطان : هذا صديقك الذي كنتُ أعددتُ له ، سِرِّ به وأنزله » ، فأمرت من حضرنى من الحرس بسحبه في أسماله ، طوراً على وجهه وتارة على قذاله ، إلى أساس جدار قريب من سواق القصر ، فطُرح في حوض محتفَر للجيار ، وهُدِم عليه شفيره . قال ابن قاسم الشُّلبي — وأكثر خبر ابن عمار عنه ، إلى ما تخلله من الزيادات المفيدة عن ابن بسام وغيره : ووُجد له في قرابه بعد قتله بخط يده :

= وجاء في قاموس بطرس القلبي .

PEDRO DE ALCALA, *Vocabulista aravigo en letra castellano*. Granada, 1505.

hacha que corta de dos partes (= فأس يقطع من الناحيتين) . وجاء في كتاب « مفيد العلوم ومبيد الهموم » وهو تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواردة في الكتاب المنصوري للرازي (تحقيق جورج س . كولان وه . ب . ج . رفو ، الرباط ١٩٤١) : هو فأس السَّرج ، أي أنه كان يعلق في السرج . ويكتب أحياناً طَرَبَزِين .

انظر : دوزي ، ملحق القواميس : ٢١/٢ .

(١) الأصل : لما ، والتصويب من النخبة (قسم ٢ ص ٢٨٤) .

يقول قوم : إن المؤيد قد أحال في فديتي على نقده
 فقلت : ماذا الشراء ثانية ترى لمعنى يريب من عنده ؟
 أوحشني ، والسماح عادثه سماحه بالغلاء^(١) في عبده
 الحمد لله ، إن يكن حرجاً فليس في مثلها سوى حمده
 وحيلة إن وصلت حضرة أجمعها رغبة إلى جنده
 لو ساءحوا في الفرند أرمقه من طرفه لم أخفه من غمه
 لكن على الغرب عارض زجل^(٢) مرتعياً بالشرار من زنده
 أخضر يفتّر من جوانبه كالبحر في جزره وفي مده
 يارب بشر برحمة وحيأ يونس من برقه ومن رعه

ويحكى عن المعتمد في قتل ابن عمار خبر طريف من الحدثنان ، تلخيصه
 أنه كان — أيام مقامه بشلب — قد أخذ / عليه وأمره إذا دعا أصحابه أن يكون [١٠٣ -]
 أول داخل وآخر خارج ، ليأنس به ويتمتع بأدبه ، فكان يجده ينفر من ذلك ،
 ويكثر التسلسل من مجلسه . فتقدم ليلة إلى أصحاب سُدته بترقبه ومنعة بعد وعيد
 شديد . وقام ابن عمار — على عادته — فلم يحفل المعتمد بذلك ، حتى إذا انفض
 من كان عنده طلبه فما وجده . فأحضر الموكلين بترقبه وأخذ في تعنيفهم ، فأخبروا
 أنهم لم يعاينوه ولا خرج عليهم ، فراب المعتمد أمره ، وشهر سيفه وجعل يطلبه
 والسمع بين يديه . فلما انتهى إلى بعض الدهاليز ، إذا بحصير مطوى ، وابن عمار
 فيه أغمض من سر خفي ، عريان كأنه أفعوان ، فأمر بحمله وجعل يعجب من

(١) الذخيرة : بالغلاء .

(٢) الرجل هو الذي تصوت فيه الريح .

فعله ، ولابن عمار بكاء [وَرَوْ]^(١) ع مفرط . فلما أفرخ روعه ، ورقاً دمه ،
سأله عن شأنه فأخبر أنه — كلما أخذت منه الشُّمول — [سمع كأن]^(٢) قائلاً
يقول : « هذا يقتلك ! »^(٣) فينفّر عند ذلك وينفّر^(٤) ، ويحمل نفسه على
القرار فلا تقرر ، حتى أمضى الله على يديه ما كتب من ذلك عليه ؛ والمقدر كائن .
أتيت بنخبر ابن عمار على السكّال ، فكثيراً ما يُتشوف إليه ؛ ولا يوقف
عليه ؛ وما أعلم أحداً ساقه هذا المساق ، وأمل عذر الإفادة يقاوم لوم الإطالة . ومن
شعره في غير ما تقدم ، أهدى إلى المعتمد ثوب صوف بحري يوم نيزوز
وكتب معه :

لما رأيتُ الناسَ يحشدون في إتحاف يومك جئتُه من بابِه
فبعثتُ نحو الشمس شبه أياكها^(٥) وكسوتُ متنَ البحرِ بعضَ ثيابِه
فوجّهَ إليه المعتمد بمكبة فضة فيها خمسمائة دينار — وقيل خمسة آلاف
دينار — ذهباً وكتب معها :

هبة أتتك من النضار ألوفها^(٦) فاغنم جزيلَ المال من وهابِه

(١) لم يرد في الأصل من هذه الكلمة إلا حرف العين . وقد وردت الحكاية عند ابن بسام
(الذخيرة ، قسم ٢ ص ٢٨٥) بلفظ مختلف ، فهو يقول في هذا الموضع : « وابن عمار
يبكي فيضحك ، ويشكرو فيشكك » . وأورده عبد الواحد المراكشي في أسلوبه السهل الواضح :
وهو يقول هناك (المعجب ، ص ١١٨) وهو يقص الخبر بلسان ابن عمار : « فلما رآني فاضت
عيناه دموعاً ، وقال : يا أبا بكر ، ما الذي حلك على هذا ؟ »

(٢) تكلمة من الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٥) يقتضيها السياق .

(٣) في الذخيرة : يا مسكين ! هذا يقتلك !

(٤) كذا في الأصل ، ولم أجد انفراً في باب فَرَر في المعاجم ، ومعناه — أحسب —

يطلب الفرار .

(٥) أي شبه ضيائها .

(٦) في الأصل « لهيها » وورد لفظ « ألوفها » إلى جانبه ، وكأن الناسخ أراد أن

يصحح به اللفظ « لهيها » . و« ألوفها » أوفق للمعنى ، فأثبتناه .

فلو أن بيت المال يحوى قُفْلُهُ أضعافها لكسرتُه عن بابه
وملأت منه يدك لا مستأثراً فيه عليك لكي ترى أولى به
فالبحر يطفح جوده لك زائحاً لما كسوت البحر بعض ثيابه
وأهدى أيضاً تفاحاً وإجاصاً إلى بعض أصحابه^(١) وكتب معها :

/ خُذْهَا كَمَا سَفَرْتُ إِلَيْكَ خَدُودُ أَوْ أَوْجَسْتُ فِي رَاحَتَيْكَ نَهْدُ
دُرّاً مِنْ التَّفَاحِ تُنْثَرُ بَيْنَنَا وَلَهَا بِأَجْيَادِ الْغُصُونِ عَقُودُ
خُذْهَا وَنَاوِلْهَا النَّدَامَ فَإِنَّهَا رَاحٌ دَهَاها فِي الشِّتَاءِ جُودُ
وَشَفَعْتُ بِالْإِجَاصِ قَصِداً ، إِنَّهُ شَكْلُ الْجَمَالِ وَحُدُّهُ الْمَحْدُودُ
عَذراً إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ أَوْجُهُ بِيضٌ تَقَارِنُهَا عَيُونٌ سَوْدُ
وَأَهْدَى أَيْضاً خَمْراً وطبقاً فيه تفاحتان ورماتان وكتب معها^(٢) :

خُذْهَا مِثْلَمَا اسْتَهْدَيْتُمُوهَا عَرُوساً ، لَا تُزَفُّ إِلَى اللُّثَامِ
وَدُونَكُمْ بِهَا ثِدَيَّ فَتَاةٍ أَضْفَتُ إِلَيْهَا خَدَيَّ غَلَامٍ
وله في الخرشف :

وَنَبْتُ مَاءٍ وَتُرْبٍ جُودُهَا أَبَدًا لِمَنْ يُرَجِّيهِ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْبَخْلِ
كَأَنَّهَا ، فِي جَمَالٍ وَامْتِنَاعٍ ذُرَى جُودٍ مِنَ الرُّومِ فِي دَرَجٍ مِنَ الْأَسَلِ

(١) في الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٦٠) أنه أهدى ذلك إلى ذي الوزارتين أبي عيسى بن لبون :

(٢) في الذخيرة : واستهدى منه بعض إخوانه خَمْراً ، فبعث بها مع تفاحتين ورماتين ،

وكتب مع ذلك :

ولم يورد ناسخ « الحلة » الأبيات ، بل ترك مكانها فراغاً ، فأتيت بها برواية ابن بسام

في الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٦٠) .

وله في طبق من الفضة مذهب الباطن :

وسماء من الغنى قد أسالت ذهباً في قرارة من لجين
فاجتنت حولها العيون بلطف زهر الحسن من بنان اليمين

وله في زورق :

وجارية مثل الهلال ألفتها على نهر مثل السماء رقيق
تجلى لنا الإصباح وهو زمرّد فألقت عليه الشمس ثوب عقيق

وله ، وضمن أوائل الأبيات اسم قينة^(١) :

نفسى — وإن عذبت بها — تهواك ويهزها طرب إلى لقياك
عجباً لهذا الوصل أصبح بيننا متمذراً ومُنأى فيه منك
ما بال قلبى حين رامك لم ينل ولقد ترومك مقلتى فتراك
[١٠٤-١] / الله أعلم ما أزور لحاجة ليت الرقيب — إذا التقينا — لم يكن
متنزهاً فى روض خدك شارباً كأس الفتور تُديرها عيناك
حكتِ الفصون جمال قدك فانشئت والفضل للمحكى لا للحاكي
لا تعزبى ياروضه ممتورة حتى أمدّ يدي إلى مجناك

وله :

أنا ابن عمار لا أخفى على بشر وبين طبعى وذهنى كلُّ سابقة
إلا على جاهل بالشمس والقمر كالسهم يُبعد بين القوس والوتر
إن كان آخر فى دهرى فلا عجب فوائد الكتب يُستلحقن فى الطر

(١) أوائل الأبيات الأربعة الأولى تكون اسماً معروفاً لجارية : نَعْمَتَى . أما أوائل

الأبيات الباقية فلا تكون إلا لفظ « المحل » .

لم أجد هذه الأبيات الثلاثة في ما جمع أبو الطاهر التميمي من شعر ابن عمار ، فأضفتها إليه وكتبتها في نسختي منه . وقد وقعت في بعض نسخه : وكذلك قوله مبتدِها في المعتصم محمد بن معن بن صمادح ، وقد مرَّ بقصره وحوله جماعة من الشعراء كانوا قد مدحوه ، وأبطأ عنهم عطاؤه وتعذر عليهم القول في استنجاهه ، فارتجل على الستهم :

يا أيها الملكُ الذي شاد العلا مَعَنُّ أبوه وخاله المنصورُ
بِفناء قصرِكَ عُصْبَةُ أَدِيَّةٍ لا زال وهو بِجَمْعِهِم معمرُ
زَفَوْا إِلَيْكَ بَنَاتَ أَفْكَارٍ لَهُمْ واستبطأوك ، فهل لهن مهور ؟

١٣٤ — أبو محمد بن هود الجذامي ، ذو الوزارتين

لم أقف على اسمه ، وهو أحد النجباء الأدباء من أهل بيته ملوك سرقسطة والثغر الأعلى ، ونَبَتَ به دارُهم فتَجَوَّلَ بِمُوسِطَةِ الأندلس وغربها قاصداً رؤساءها ، واختص منهم بالمتوكل عمر بن محمد بن الأفطس ، فولاه مدينة الأشبونة من أعماله ، ثم صُرف عنها وصدر محمود السيرة معروف النزاهة . وهو القائل / في خروجه من سرقسطة يخاطب قومه :

[١٠٤-ب]

ضلّتم جميعاً ، آلَ هودٍ ، عن الهدى وضيّعتمُ الرأىَ الموفقَ أجمعاً
وشِتمَ يمينَ المَلِكِ بى فقطعتم بأيديكم منها — وبالقدر — إصبعا
وما أنا إلا الشمس غير غياهبٍ دجت ، فأبت لى أن أنير وأسطعا
وإن طلعتُ تلكَ البدورُ أهلةً فلم يبق إلا أن أغيب وأطلعا
ولا تقطعوا الأسبابَ بينى وبينكم فأنفكم منكم وإن كان أجدا

وله وقد احترق بيته أيام مقامه بطليطلة :

تركت محلى جنسة فوجدته على حكم أيدي الحادثات جهنا
لتصنع بي الأيام ما شئن آخرأ فما صنعت بي أولاً كان أعظما

وله في المتوكل أيام سلطانه بياطرة :

[... ..] [... ..] فالذى يخشى من الحذر
[... ..] [... ..] بالخبر^(١)

وله مما نقش على رِئاس سيف المتوكل :

لا تخشَ ضيماً ولا تصبح أخا فرقي إذا رياسى فى يمنى يدك بقى
أصبحت أمضى من الحين المتاح فصل على الكمة وبى عند الوغى فثقي
لولا فتور بالحاظر الظباء إذا لقلت إني أمضى من ظبي الحدق

وله وقد سئل عما اكتسبه فى ولايته :

وسائل لي لما صدرت عما وليت :

ما نلت ؟ قلت : ثناء يبقى معي ما بقيت

فإن أمت كان بعدى خلدأ لا يموت

/ عفت الفضول لعلى أن ليس يُعدم قوت

وصنت قدرى عنها مجتلاً فغنيت

[١٠٥ - ١]

(١) ورد هذان البيتان فى الأصل هكذا ، معظمهما بياض ، ولم أعثر عليهما فى أى موضع آخر لأكلمهما ، وقائلهما يكاد أن يكون مجهولاً حتى من ابن الأبار ، وهو من سلائل بنى هود الذين تفرقوا فى نواحي الأندلس بعد أن استولى المرابطون عليها ، ثم سقوطها نهائياً فى يد ألفونسو المحارب على ما حكيناه . وسيعود بيت بنى هود إلى الظهور بعد ذلك كما سنرى .

١٣٥ - أبو عيسى بن لبون^(١) ، ذو الوزارتين

هو لبون بن عبد العزيز بن لبون^(٢) ، وكان من جملة أصحاب القادر يحيى

(١) يكتبه بعضهم بفتح اللام ، وصحته فيما أرى بضمها . فهو صيغة التكبير من الاسم المعروف لب ، وهو إسباني معرب ، من lobo أى ذئب شبه الجزيرة . وقد قال عنه المقرئ في نفح الطيب (١/١٨٥) : « ولها سبع يعرف باللب ، أكبر بقليل من الذئب ، في نهاية القحة ، قد يفترس الرجل إذا كان جائعاً » . ولفظ lobo إسباني دارج من lupus اللاتيني ، ويقال في الدارج أيضاً lupo ويسمى به الناس ، ويسمون أيضاً باسم lup . أما López فعناه ابن لب .

وعلى هذا فلبون إما أن تكون Lobón أو Lupón ، وفي كلتا الحالتين تضم اللام ، وهي صيغة تكبير أخذتها اللغة الإسبانية عن اللاتينية ، وقبها العرب وطبقوها على أسمائهم فقالوا : حمدون وزيدون وفرحون .

(٢) المادة التي يقدمها ابن بسام في القسم الثالث من الذخيرة عن أبي عيسى بن لبون لا تغنى كثيراً (وهي ساقطة من مخطوطة أكاديمية التاريخ في مدريد وموجودة في مخطوطة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد) . أما ابن سعيد فقد أورد ذكر بني لبون في الفصل الخاص بلوارقة ، وقال : ملكها في مدة ملوك الطوائف أبو محمد عبد الله بن لبون ، وتوفى ، فورثها أخوه أبو عيسى ابن لبون الذي ملك معقل مريبيطر من أعمال بلنسية ، ووليها بعده أخوه أبو الأصبح سعد الدولة ابن لبون ، وصارت للمعتمد بن عباد ، إلى أن تداول عليها ولادة الملثمين ، إلى أن كانت الفتنة عليهم ، فقدّم أهلها أبا محمد عبد الله بن جعفر بن الحاج . (المغرب : ٢/٢٧٥ - ٢٧٦) .

والمعروف أن أبا عيسى بن لبون كان قاضياً ووزيراً في بلنسية أيام أبي بكر بن عبد العزيز ، فلما توفى هذا في ٧ صفر ٤٧٨/٦ يونيو ١٠٨٥ اضطرب أمر بلنسية ، وانقسم أهلها قسمين : قسما مال إلى تصييرها ابني هود أصحاب سرقسطة ، وقسما مال إلى إسلامها لبني ذي النون أصحاب طليطلة . وفي نفس الوقت كان السيد القمبيطور معسكراً مع جنوده في منطقة بلنسية ، فأطمعه اختلاف أهلها في الاستيلاء عليها ، وفرض عليها ضريبة ثقيلة وأقام فيها وكيلا له يسمى ابن الفرج ليجمع الإتاوة ، وفي هذه الظروف فضل ابن لبون الانسحاب من البلد ، فلجأ إلى مريبيطر دار أهله ، وبعد ذلك بقليل دخل بلنسية القادر حفيد المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، بعد أن أسلم هذا البلد الأخير لألفونسو السادس ، في مقابل مساعدة هذا الأخير له على تولي حكم بلنسية . وقد دخل القادر في حماية قوة قشتالية كبيرة يقودها ألبر هانيس Alvar Hanez من =

ابن ذى النون . ورأسَ بُمُرٍ بيطرَ من أعمال بِلَنْسِيَّةَ ، ثم تَخَلَّى عنها لأبى مروان عبد الملك بن رَزِين ، صاحب شَنْتَمَرِيَّةَ الشرق ، أيامَ تغلب رُذْرِيْقُ المعروف بالكَنْبِيْطُور على بِلَنْسِيَّةَ وإحراقه لرئيسها أبى أحمد بن جَعَّاف ، ومار معه إلى شَنْتَمَرِيَّةَ ؛ ثم ندم بعد ذلك واستقل ما كان يُجْرَى عليه فقال :

ذرونى أجْبُ شرقَ البلادِ وغربَها لأشْفَى نفسى أو أموتَ بِدائى
فلستُ ككَلابِ السَّوءِ يُرضيه مَرَبَضٌ وعظمٌ ، ولكنى عُقابُ سماءِ
تَحُومُ لِكَيْما يدركَ الخِصْبَ حومِها أمامَ أُمَامى أو وراءَ ورائى
وكنْتُ إذا ما بلدةٌ لى تشكرتُ شددتُ إلى أخرى مَطَى إِبائى
ومِرتُ ولا ألوى على متعذِرٍ وصَمَمْتُ لا أصغى إلى النصحاءِ
كشمسٍ تبدَّتْ للعيونِ بمشرقٍ صباحاً ، وفى غربٍ أصيلَ مساءِ
وله من أخرى فى مثل ذلك :

خَليلٌ ما بالى على صدق عَزَمَتى أرى من زمانى وَنيَّةً أو تعذراً
ووالله ما أدرى لأىِّ جَريمةٍ تجَنِّى ، ولا عن أى ذنبٍ تَغْيِراً
ولم أك عن كسب المكارم عاجزاً ولا كُنتُ فى كَيْلٍ أنيلُ مقصِّراً
لئن شان تمزيقُ الزمانِ لدولتى لقد رَدَّ عن جهلٍ كثيرٍ وبصِّراً
وأيقظ من نوم الغرارة نائمًا وكسَّبَ علماً بالزمانِ وبالورى

= كبار فرسان ألفونسو السادس ، وزعم السَّيِّد القمبيطور أنه يمثل ملك قشتالة فى هذه الناحية وأنه حامٍ للقادر بن ذى النون ضد خصومه من أهل البلد ، وأخذ يحاصره ، وبدأت بذلك محنة بِلَنْسِيَّةَ وأهلها على يد السَّيِّد ، وقد فصلها ابن علقمة فى كتابه « البيان الواضح عن المسلم الفادح » وقد عثرنا على قطع منه . انظر علاوة على المراجع الواردة فى التعليق :

DOZY, *Recherches* (1ère édition, 1848), 465 et note 2.

Primera Crónica General (1906), 549.

وكان أبو عيسى معدوداً في الأجواد ، موصوفاً بتجويد القريض . وطالت إقامته في كنف ابن رزين إلى أن توفي هنالك ، وقيل بل توفي بسرقة .
وأما أخوه أبو محمد عبد الله بن لبون ، فكان والياً على لوزقة / وتوفي بها [١٠٥-ب].
بعد وقعة الزلاقة بيسير — وسيأتي ذكره — فقال أبو عيسى يرثيه ويذكر أخويه المتوفيين قبله — أبا وهب عامراً وكان ضابطاً لقصر بلنسية ، وأبا شجاع أرقم وكان والياً على وبدة^(١) من سنت ابرية^(٢) — وكان إبراهيم أبو الأصبع من كبار أصحاب المأمون بن ذى النون وهو الذى استخلف على بلنسية في خروجه لملك شاطبة :

قل لصرف الحمام : لم ذا التناهى فى تلقيك لى بهذى الدواهى ؟
كان فى « عامر » و « أرقم » ما يك فى ، فهلا أبقيت « عبد الإله » ؟
فبهِ بعدُ كنت أستدفع الخط ب وأسطو على العدا وأباهى
أى شمسٍ وافى عليها أفول فل غرّنى عزائى ونواهى
وله يخاطب أبا اليسع كاتب أخيه والذى خلفه بعدُ على لوزقة :

لو كنت تشهد يا هذا عشيّتنا والمزنُ يُمسك أحياناً وينحدرُ
والأرض مصفرةٌ بالقطر كاسيةٌ أبصرت تبرا عليه الدرُّ ينتثر
وهذا كقول الأسعد بن بليطة ، وأجاد ما أراد :

لو كنت شاهدنا عشيّة أمينا والمزنُ يُمسكنا بعينى مذنب

(١) وبدة Huete مركز لقسم إدارى فى مقاطعة كونيكة Cuenca ، وتقع على بعد ٥٠ كيلومتراً غرب هذه الأخيرة . وتقع وبدة على نهر وبدة ، أحد نهيرات نهر تاجه .

(٢) كذا ، والمراد — دون شك — شنتبرية Santáver ، فإن وبدة تقع فيها بحسب التقسيم الإدارى الأندلسى .

والشمس قد مدت أديم شعاعها في الأرض تبحح غير أن لم تغرب
خلت الرذاذ برادة من فضة قد غربلت من فوق نطع مذهب
ولابن لبون :

سقى أرضاً ثوؤها كل مزن وسائرهم سرور وارتياح
فما ألوى^(١) بهم هلك ولكن صروف الدهر والقدر المتاح
سأبكي بعمد هم حزناً عليهم بدمع في أعنتيه جراح
وله :

يا ليت شعري، وهل في «ليت» من أرب؟ هيهات، لا تبتغي^(٢) من «ليت» آراب
أين الشمس التي كانت تطالعنا والجو من فوقه ليل جلاب؟
[١-١٠٦] / وأين تلك الليالي إذ تلم بنا فيها وقد نام حراس وحجاب؟
تهدى إلينا لجناً حشوه ذهب أنامل العاج والأطراف عتاب
وله :

قم يا نديم أدِرْ على القرَقفا أو ما ترى زهرَ الرياض مُفَوفا؟
فتخال محبوباً مدلاً وزدها وتظن نرجسها مُحبّاً مدنفاً
والجَلَنارَ دماء قلى معرك والياسمين حباب ماء قد طفا
وله :

يارب ليل شربنا فيه صافية حمراء في لونها تنفي التباريح

(١) الأصل : الوري ، وصوبتها للمعنى والوزن .

(٢) الأصل : تبتغى ، وصوبتها للمعنى .

ترى الفراش على الأكواس ساقطة
كأنما أبصرت منها مصابيحاً
وله يعاتب :

لما الله قلبي ! كم يحنُّ إليكم
وقد بعتمُ حظي ، وضاع لديكم
إذا نحن أنصفناكم من نفوسنا
ولم تُنصفونا ، فالسلامُ عليكم !
وله في زهده وإقلاعه والتزامه بيته عند انخلاءه :

نفضتُ كفي من الدنيا وقلتُ لها :
إليكِ عني فما في الحق أغتبنُ
من كسرٍ بيتي لي روضٌ ، ومن كُتبي
جليسٌ صدقي على الأسرار مؤتمنُ
أدرى به ما جرى في الدهر من خبرٍ
فعنده الحق مسطورٌ ومختزنُ
وما مضى بي سوى موتى ويدفنني
قومٌ وما لهم علم بمن دفنوا

١٣٦ - أبو عامر بن الفرّج ، ذو الوزارتين^(١)

كان من بيت رئاسة ، تصرّف آباؤه وقومه مع بني ذى النون ملوك طليطلة .
وإلى أبي سعيد منهم - وهو وال على كُونَكَة - توجّه المظفرُ عبد الملك
ابن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ، حين خلعه المأمون بن ذى النون من

(١) أورد عنه ابن بسام (للذخيرة ، قسم ٣ ، مخطوط معهد الدراسات الإسلامية
بمدرّيد ، وهو غير مرقم) بعد ترجمة ابن طاهر مادة قصيرة لا تغنى ، وقد نقل ابن سعيد معظمها
في المغرب (٣٠٣/٢ - ٣٠٤) . وأحسن ما لدينا عنه ما أورده ابن سعيد من كلام الحجارى
في المسهب (المغرب ، ٣٠٤/٢) وفيه « وكان أبوبكر بن عبد العزيز يقصدهم (في بلنسية) لمكانهم
من بلده ، ويخفى لهم ما أظهره بعدُ من حسده ، فتصدى لهم بالموبقات ، وأخرجهم عن بلنسية ،
فتفرقوا على حواضر ملوك الطوائف ، وكلُّ صادمٍ محلاً قابلاً ، وصار أبو عامر وزيراً للمأمون
ابن ذى النون (في طليطلة) » .

بلنسية في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . وأبو عامر هذا هو القائل .
يستدعي أبا محمد المصري^(١) إلى مجلس أنس :

أنا قد أهبتُ بكم وكُلُّكم هوى واحقُّكم بالشكر مني السابقُ
[١٠٦-ب] / والشمسُ أنتَ وقد أطلَّ طلوعُها فاطلع وبين يديك فجرٌ صادقٌ
وله يعتذر :

ما تخلفتُ عنك إلا لعذرٍ ودليلي في ذاك حرصي عليك
هيبك أن الفرار عن غير عذرٍ أتراء يكون إلا إليك ؟
وله إلى وسيم من معارفه يستدعي منه خيراً لعلاج ابنه :

أرسل بها مثلَ وُدِّك أرقَّ من ماء خدِّك
شقيقة النفس فانضح بها جوى ابني وعبدك

١٣٧ - أبو الحسن بن اليسع الكاتب ، ذو الوزارتين^(٢)

كتب لأبي محمد بن لبثون صاحب لوزقة ، وخلفه عليها بعد وفاته ، واستبد

(١) أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي ، عرف بالمصري لطول إقامته بمصر . وقد وصفه ابن بسام في الذخيرة (القسم الرابع ، مخطوطة مصورة بجامعة القاهرة ، ورقة ١٢٠) بأنه كان « شيخ الفتيان وآبدة الزمان ، وخاتمة أصحاب السلطان ، وكان رحل إلى مصر واسمه خامل ، وسماه عاقل ، فلم ينشب أن طراً على الأندلس وقد نشأ خلقاً جديداً ، وجري إلى النباهة طلقاً بعيداً » ، وقال إن المطاف انتهى به عند المأمون بن ذي النون ، وقال إنه اشتهر بالطب ولذلك لقب بالحكيم ، ثم انتقل إلى إشبيلية ، وخدم المعتمد بن عباد حتى خلع هذا ، وقد توفي يوم الجمعة منتصف رجب سنة ٤٩٠ .

انظر أيضاً : المغرب لابن سعيد (١٢٨/٢ - ١٢٩) وتعليقات الدكتور شوق ضيف .
(٢) لم يورد أحد من تراجوا له اسمه الكامل . وأضاف ابن خاقان في القلائد (ص ١٦٧) أن المعتمد بن عباد ولده مرسية ، فصار فيها قائداً ووزيراً ، فانتشر به أهلها وخلصوه ، بسبب إسراره في الخمر والمجون على الأغلب .

بضبطها دون بنيه ، إلى أن تخلى عنها للمعتمد محمد بن عباد ، وندم عليه بقرطبة ،
وحضر غزوة الزلاقة معه . وذكر أبو بكر بن قاسم الشَّابِّي في تاريخه المجموع
في أخبار ابن عمار ما يخالف هذا ، وسيأتي نصه بعدُ إن شاء الله تعالى . وكان
ابن اليسع ماجناً صاحب بطالة وراحة ، أديباً شاعراً ؛ وهو القائل يخاطب أبا بكر
ابن اللبانة :

تشرق آمالي وسعي يغربُ وتطلع أوجالي وأنسى يغربُ
سريتُ أبا بكرٍ إليك وإنما أنا الكوكب الساري تخطاه كوكبُ
فبالله إلا [ما]^(١) منحت تحيةً تكُرُّ بها السَّمْعُ الدراري وتذهب
وبعدُ فعندى كلِّ علقٍ تصونهُ خلائق لا تفنى^(٢) ولا تتقلب
كتبتُ على حالين : بُعدٍ وعُجبةٍ فيا ليت شعري كيف ندنو فنُعرب ؟

وكان في ليلة الشك من شعبان بخارج قرطبة ، إذ قدم على المعتمد في لمة من
أعيانها ، منهم أبو الحسين بن سراج ، وقد غلبوه على المسير معهم ، فخرج مكرهاً
وغرضه الاستراحة ، وكان تحته فرس عتيق . فأخذ معهم في أمره حيلة في إجرائه
والانفصال عنهم على تلك الحال ، ورغضه مولياً عنهم وراجعاً إلى منزله / ليخلو [١٠٧-١]
براحته ، فما انصرفوا إلا وهلال رمضان ظاهر ؛ فكتب إليه أبو الحسين
ابن سراج :

عمرى أبا حسنٍ لقد جئتَ التي عطفتُ عليك ملامة الإخوانِ
لما رأيتَ اليومَ ولَّى عمره والليل مقتبل الشبيةِ دانِ
والشمس تنفض زعفراناً بالرُّبى وتفتُ مسكتها على النيطانِ

(١) إضافة من المغرب (٨٦/٢) يستقيم بها الوزن .

(٢) الأصل : لا تبقى ، والتصويب من المغرب لابن سعيد ، وقد جعلها دوزى (ص ١٩٤) :

أطلعتها شمساً وأنت عطارِدٌ وحففتها بكواكب النَّدمانِ
 وأتيتَ بدءاً في الأنام مَخْلداً فيما قرنتَ ولات حين قرانِ
 ولهيتَ عن خِلِّي صفاء لم يكن يلهيها عنك اقتبالُ زمانِ
 غنياً بذِكرِكَ عن رحيقِ سلسلٍ وحدائقِ خُضرٍ وعَزفِ قِيانِ
 ورضيتَ في دفع الملامة أن تُرَى متعلقاً بالـمـذر من حَسَّانِ

فراجعهُ بقوله :

وأنا أسأتُ فأين عفوُكَ مُجَمِّلاً هبني عَصِيْتُ اللهُ في شعبانِ
 لوزرتني والآنَ تَحمدُ زَوَرَتِي كَنتَ الهلالَ أتى بلا رمضانِ
 وله في أبي بكر بن القَبْطُورِنة يستهدى مشروباً وهو بَبْطَلْيُوسُ في غزاةِ
 الزَّلَاقَةِ :

عطشتُ أبا بكرٍ وكَفُّكَ دِيْمَةً وَذُبْتُ اشتياقاً والمزار قريبُ
 نَحَفْتُ ولو بعض الذي أنا واجِدٌ فليس بحقٍ أن يُضَاعَ غريبُ
 ووَفَّرَ لنا من تلك حظاً نُرَى به نَشَاوَى ، وبعد الغزو سوف نتوب
 فوجَّه إليه مطلوبه وتضييفاً معه وكتب إليه :

أبا حسنٍ مثلي بمثلِكَ عالمٌ ومثلُكَ بعد الغزو ليس يتوبُ
 فخذها على تحضِ الصفاء كأنها سَنًا مالها بعد الحساب تُؤوبُ

وله إلى أبي بكر بن عمار :

لما دنوتَ وعندي حظ من الشوق وافِ

/ قدَّمتُ قَليَ قَليَ فصلته حتى أوافي [١٠٧-ب]

ولما تحرك المعتمد إلى لُورَقَة — في الجيش الذي ترك عنده ابن تاشفين

بعد غزوة الزّلافة ، وغرضه التمكن من ابن رشيق لتمنّعه عليه بمرسية — كتب إليه أبو الحسن بن اليسع وقد قرب منه :

هذى سماؤك فلتصعد إلى أملٍ أمنيّتي منه رعي في كواكبها
منعتها وملوك الوقت تطلبها سعيًا لملكك فلتها به وبها
وقصد المعتمد مرسية في هذه الحركة فلم يظفر منها بطائل ، وخدعه ابن رشيق وداخل الواصلين معه من الموابطين على جيش ابن تاشفين ، فانصرف إلى إشبيلية . وفي ستة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، حرك المعتمد ابن تاشفين للغزو ، بعد أن أجاز إليه البحر ، ولقيته على وادي سبوا^(١) وبمنعطف منه يعرف « بالدخلة » ، فقصدوا جميعاً حصن ألييط — وبينه وبين لورقة اثنا عشر ميلاً — والروم يعيشون منه فيما حوله ، وابن رشيق يعينهم . وعلم الطاغية أذفونش بذلك ، فتحرك لغياث الحصن والدفاع عن أهله ، فوقع الانزعاج واستراب ابن تاشفين ، وتحيز إلى لورقة وأقام هناك أياماً . ويقال إن جيش الطاغية في حركته هذه نيف على ثمانية عشر ألفاً بين خيل ورجل ، فأهلكهم الله بالوباء ولم ينصرف إلا في أقل من خمسة آلاف . ولما فصلت جيوش المسلمين مع ابن تاشفين — وقد صار أمر مرسية إلى المعتمد ، وكان ابن رشيق في قبضته — ترك ابن اليسع على لورقة والياً ، وترك ابن رشيق مسجوناً عنده^(٢) ؛ فقال في ذلك أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي :

(١) كذا ورد الاسم في الأصل ، والمشهور بدون ألف بعد الواو وبتسكين السين : « سَبَوُ » . وقد رسمه البكري أيضاً بالألف بعد الواو (انظر فهرس الأعلام) .

(٢) أورد الأمير عبد الله الزيري في مذكراته (ص ٧٩ - ٨١ ، ثم ص ١٠٩ - ١١٢) تفاصيل وافية عما صنع ابن رشيق أول الأمر مع ابن عباد وابن عمار في مرسية ، ثم موقفه أثناء حملة لييط ، وكيف ترك يوسف بن تاشفين الفقهاء يفتون في أمره ، فقرروا « إزاحته عن المسلمين » ، فسلم إلى المعتمد بن عباد فقتله .

قل لي ، أين لي ، هل تأملتَها أو هل تدبرت لها عاقبة ؟
بالأمس أعيثتكَ رشيقيةً واليوم أحدثت لها صاحبه
هذا خبر ابن الشَّابي مع ما انضاف إليه من غيره .

١٣٨ - حرير بن حكم بن عكاشة

[١٠٨-١] / صحب أبوه حَكَمُ أبا الحسن إبراهيم بن يحيى المعروف بابن السَّقاء^(١) ،
وزير أبي الوليد بن جهور رئيس قرطبة ، فسُجن عند قتله مع أصحاب الجرائم ،

(١) أورد ابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢ ص ١١٤ وما يليها) فصلاً كبيراً لابن حيان عن بني جهور وولايتهم لأمر قرطبة أيام أبي الحزم بن جهور وابنه الوليد وابني هذا عبد الرحمن وعبد الملك ، وكيف قسم أبو الوليد بينهما شئون الإمارة ، فجعل عبد الرحمن للشئون الإدارية والمالية وعبد الملك للشئون العسكرية . وكان عبد الملك شهما جريئاً ، وهو الذي قتل ابن السقاء وخلص دولة بني جهور منه . ويفهم من كلام ابن حيان (ص ١٢٣) أن ابن السقاء كان صاحب الأمر في قرطبة أيام أبي الوليد بن جهور ، فحسده عليه ابنُ عباد ، وكان طامعاً في قرطبة ، فأوقع بينه وبين عبد الملك بن أبي الوليد حتى قام عبد الملك بقتله . وفي القسم الرابع من المجلد الأول من الذخيرة (القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٨٦ وما يليها) أورد ابن بسام فصلاً آخر لابن حيان في نفس الموضوع فعُصِّل فيه تاريخ أبي الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء هذا ، وذكر كيف نشأ فقيراً يبيع المسَّقَط في درب ابن أبي سفيان في قرطبة ، ثم صار متولياً للنظر في المسجد الجامع ، ثم اختاره أبو الوليد بن جهور ورفع إلى الرياسة والوزارة ، فتغيرت حاله وأغراه السلطان وطمع في المال حتى أصبح من الأغنياء ، واستبد بأمر البلد و « اتخذ لنفسه جند سوء » ليستظهر بهم على أقادم الجند بقرطبة ، واتخذ لنفسه داراً خاصة بالفلمان سماها الناس « دار اللذة » فقام عليه عبد الملك بن أبي الوليد محمد بن جهور وقتله بيده مع نفر من أصحابه يوم السبت ٢٣ رمضان ٤٥٥ . وقد ريع أبو الوليد لمقتل وزيره ، ولكنه لم يستطع شيئاً ، وفي هذا اليوم يقول ابن حيان : « سُلبت كسوة مسجد ابن السقاء وثرياه ، وعطلت فيه الصلاة ، فصار مشوى للثاوى » .

وكان حَكَمُ بن عكاشة من رجال ابن السقاء هذا .

إلى أن هرب من محبسه ولحق بالمأمون بن ذى النون ففصح له . وكان شهماً صارماً ، فولاه بعض الحصون المجاورة لقرطبة ، فدخلها بعد خلع بنى جهور في خبر طويل^(١) ، وقتل أميرها حينئذ عباداً الملقب بسراج الدولة بن المعتمد محمد ابن عباد ، وبعث برأسه إلى المأمون وهو ببلمنسية ، وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة ، فورّد المأمون قرطبة وأقام بها نحواً من ستة أشهر ، ثم توفى في ذى القعدة من السنة المذكورة ، واحتُمل إلى طليطلة فدفن بها . وبقى حكم ابن عكاشة بقرطبة ، نائباً عن القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذى النون ، بعد أن جُددت له البيعة بها ، وبلغ ذلك المعتمد محمد بن عباد فأقبل في جموعه طالباً بئار ابنه عباد . وعلم ابن عكاشة أنه لا طاقة له به ، فهرب عند ذلك وأسلم قرطبة فدخلها المعتمد ، وأتبعه خيلاً لحقته فقتل وجيء له به فصُلب مع كلب^(٢) .

وولى ابنه حرير هذا قلعة رباح^(٣) للقادر بن ذى النون ، وهو الذى

(١) فصل ابن حيان (الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ١٣٣ وما يليها) هذه الأحداث . وكان خلع بنى جهور سنة ٦٢٤ هـ ، خلعههم المعتمد بن عباد ، وكان عبد الملك بن أبي الوليد محمد ابن جهور قد طلب منه مدداً يدفع به خطر المأمون بن ذى النون عن قرطبة ، وكان قد ضايقها وحكمها مدة ، فبعد انصراف ابن ذى النون قام جند المعتمد بخلع بنى جهور ونفاهم هو إلى جزيرة شلطيـش .

(٢) روى ابن بسام أخبار هذه الحوادث عن ابن حيان (الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ، ص ١٢٣ وما بعدها) ولكن كلامه فى تلك القطعة يخلو من تلك الصراحة وذلك الوضوح اللذين تعودناهما منه .

(٣) قلعة رباح مدينة تابعة لمدينة طليطلة فى التقسيم الإدارى الأندلسى ، وتوصف بأنها - مع طليطيرة Talavera - حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين ، ويحددها الرأى بأنها شمال شرق قرطبة وجنوب طليطلة ، وأنها تقع على وادى آنة ، وهى مسماة فى الأغلب باسم التابعى على بن رباح اللخمى الذى اشترك فى فتح الأندلس . وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن هو الذى بنى حصنها ومدنها ، وحلت محل مدينة أوريط Oreto القديمة . وقد سقطت قلعة رباح =

امتحن أبا الحسن بن السيد البطليوسي^(١) لما اتهمه وكاتبه بمداخلة المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ، فبطش بالكاتب وأفات نفسه ، وحبس أبا الحسن في بيت ضيق ، وكان يُجرى عليه رغيفاً لا شيء معه ، إلى أن ضعف وهلك .
وقتل حريز في سنة ثمانين وأربعمائة على حصن مسطاسة^(٢) ، وقد كان

= في يد ألفونسو السادس مع طليطلة سنة ١٠٨٥/٤٧٦ ، وقد استعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحد بعد انتصاره في وقعة الأرك بعد أن تبادها المسلمون والنصارى عدة مرات ، وقد سقطت وخرجت عن حوزة الإسلام نهائياً سنة ١١٤٧ . وأصبحت بعد ذلك مركزاً لطائفة مشهورة من الرهبان المرابطين (كالداوية والاسبتارية) وهي طائفة قلعة رباح *La Orden de Calatrava* التي تجردت لحرب المسلمين ومغاورتهم ، وموضع قلعة رباح العربية يسمى اليوم *Castillo de Calatrava la Vieja* على ١٢ كيلومتراً شمال شرق مدينة *Ciudad Real* عاصمة المديرية التي تحمل نفس الاسم جنوبي مديرتي مدريد و طليطلة .
راجع : الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري ، رقم ١٥٠ ص ١٦٣ وص ١٩٦ من الترجمة الفرنسية وتعليق ٢ ، وكذلك .

MADOZ, *op. cit.*, V. 269 - 273.

(١) لا نعرف صلة أبي الحسن بن السيد البطليوسي هذا بالعالم المعروف أبي محمد عبد الله ابن محمد بن السيد النحوي الفقيه الفيلسوف مؤلف الكتب الكثيرة مثل كتاب «الحلل في شرح أبيات الجمل» و«شرح الموطأ» و«التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة» و«كتاب الحقائق» (مدخل في المنطق والفلسفة) . وقد ولد هذا الأخير سنة ١٠٥٢/٤٤٤ في بطليوس وتوفي في بلنسية سنة ١١٢٧/٥٢١ . وإذا حسبنا حساب التواريخ كان ابن السيد العالم ابناً أو ابن أخ لأبي الحسن المذكور هنا .

انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، رقم ٦٣٩ ص ٢٨٧ . وقد نشر آسين پلاثيوس دراسة وافية عن أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي كمقدمة لتحقيقه لكتاب «الحقائق» :

MIGUEL ASIN PALACIOS, *Ibn al-Sid de Badajoz y su «Libro de los Cercos» (Kitab al-Hadaiq)*. Al-Andalus, 1940, tomo V, fasc. 1. pp. 45 - 154.

(٢) مسطاسة Mestanza قرية في مديرية *Ciudad Real* تابعة لمركز كامبودي كالاترافا *Campo de Calatrava* (فحص قلعة رباح) غير بعيد من المدور *Almodóvar del Rey*

أهل فحَص البَلوط^(١) أسروه ، وسيق إلى المعتمد فنَّ عليه وأطلقه . ومن شعره
ما حكى الفتح بن عبيد الله في « كتاب مطمح الأنفس » من تأليفه أن الوزير
أبا مروان بن مثنى كتب إليه :

يا فريداً دون ثانٍ وهلالاً في العيانِ
عُدِمَ الراحُ فصارتْ مثل دُهنِ البَلَسَانِ

فبعث بمطلوبه وجاوبه بقوله :

جاء من شِعركَ روضٌ جاده صَوَّبُ البيانِ
فبمثنائها سُلَافاً كسجايك الحسانِ
/ يا فريداً لا يُجارى بين أبناء الزمانِ

[١٠٨-ب]

(١) فحَص البَلوط كورة متوسطة الاتساع في التقسيم الإداري الأندلسي ، يقول الرازي
إنها تقع جنوب غربي أوريط (وادي الحجارة) وقال إن سهلها تحيط به جبال البرانس المعروفة
الآن باسم جبال طليطلة وتسمى اليوم **Los Pedròches** ، وهي الجزء الشمالي من مديرية
طليطلة بين **Hinojosa del Duque** وجبال المعدن **Sierra de Almadén**. وكانت أهم مدن
الكورة في العصور الإسلامية بطرُوش **Pedroche** وغافق، ويسميه الإدريسي إقليم البَلَالِيطَة ،
والنسبة لفحص البَلوط البَلَطُوطِي .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان : ٣٦٥/٤ - الإدريسي ، ص ١٧٥ والترجمة الفرنسية
للوزي ، ص ٢١١ - الروض المعمار ، رقم ١٢٧ ص ١٤٠ والترجمة الفرنسية ص ١٦٨
وتعليق ١ .

١٣٩ - عبد الله بن عبد العزيز البكري ،

أبو عبيد - الوزير

هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب [بن عمرو من أبناء]^(١) الأمراء
[...]^(٢) يكنى أبا [عبيد الله . ولي]^(٣) أبو زيد محمد بن أيوب وَلَبَّةَ
وَشَلْطِيش^(٤) وما بينهما من الثغر الغربي وأصلهم من لَبَّةَ^(٥) .

(١) كتبنا في بحثنا عن « الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٧ و ٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ٣٠٣ وما بعدها) بحثاً مطولاً عن أبي عبيد البكري وبيته رجعنا فيه إلى كل ما كتب ونشر عنه . والثابت لدينا أنه عبد الله ابن عبد العزيز بن أيوب بن عمرو ، فجعلنا اسمه هكذا مع أن الناسخ ترك فراغاً بين « عبد العزيز » و « ابن محمد » . وأكلنا النسب بعد ذلك ، وأضقنا عبارة « من أبناء » للسياق .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) في التقسيم الإداري الأندلسي تدخل ولبة وشلطيش في كورة أكشونبة Ocsonoba ، وكانت تشمل الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة بما يلي كورة إشبيلية غرباً ، وجزء منها داخل في حدود البرتغال حالياً ، وفيه شَلْب Silves ، والباقي داخل في حدود إسبانيا . وولبة Huelva وشلطيش Saltes داخلتان اليوم في زمام مديرية ولبة الحالية . أما ولبة فيطلق حالياً على مديرية كبيرة مساحتها ١٠٠٨٥ كيلومتراً مربعاً تتأخم مديرتي إشبيلية وقادس من الشرق وحدود البرتغال من الغرب ، وشمالها مديرية بطليوس ويمر فيها نهر صغير يسمى النهر الأحمر Río Tinto ونهر آخر يسمى الأوديل Odiel ومصباهاا متقاربان في خليج واسع تقع فيه جزر صغيرة ، أكبرها شلطيش Saltes . وبين المصبين ، على رأس يفصل بينهما ، تقع ولبة الحالية ، وهي ميناء كبير ومركز هام لصيد السمك وقاعدة المديرية المسماة باسمها . وقد سقطت ولبة وخرجت من دار الإسلام نهائياً سنة ١٢٤٨/٦٤٦ على يد فرناندو الثالث المعروف بالقدیس ، وسقطت تبعاً لها جزيرة شلطيش . ويشرب أهل شلطيش من مياه الأمطار ، يخزنونها في صهاريج ، وينقل إليها الماء من ولبة بالسفن إلى الآن ، كما كان الحال أيام العرب .

(٥) في التقسيم الإداري الأندلسي كانت لبله Niebla قاعدة كورة تحمل نفس الاسم تقع شمال كورة أكشونبة المذكورة في التعليق السابق ، وكانت تسمى لبله الحمراء . ولبله على خمسين كيلومتراً غرب إشبيلية ، على الضفة الغربية للنهر الأحمر Río Tinto ، وهي تابعة لمديرية =

ثم سقط إلينا^(١) النبأ بعدُ بامتداد يده إلى النبكرى بولبة وشطنيش . وكان

الروض المعطار ، رقم ١٥٨ ص ١٦٩ ، والترجمة الفرنسية ص ٢٠٣ .
(١) في الأصل : إليها . وقد أسقطها دوزي فيما نشر من كلام ابن حيان في الذخيرة
(بنوعباد : ٢٥٢/١) والصحيح «إلينا» لأن المتكلم هنا هو ابن حيان ، وهو يروي الأخبار
من مقامه في قرطبة بحسب ورودها إليه ، وغبارة «سقط إلينا النبأ» كثيرة الورد عند .

هذا الفتى وارث ذلك العمل لأبيه ، وكان أبوه من بيت الشرف والحسب والجاه
والنعمة ، والاتصال القديم بسلطان الجماعة ، وكان له واسلفه إلى ^(١) إسماعيل بن
عبّاد - جدّ المعتضد - وسائل وأزيمة خلفاها في الأعقاب ، اغترّ بها عبد العزيز
[١٠٩-١] البكري فبادر البعثة إلى المعتضد ساعة دخل كلبّة يهنئه بما تهيأ له منها ، وذكره/
بالذمّام الموصول بينهما ، واعترف بطاعته وعرض عليه التخلّي عن ولّبة وإقراره
بشّلطيش إن شاء ، فوقع ذلك من المعتضد [موقع إرادة] ^(٢) ، ورد الأمر إليه
فيما يعزم عليه ، وأظهر الرغبة في لقائه وخرج نحوه يبغى ذلك ، فلم يطمئن
عبد العزيز إلى لقائه ، وتحمل بسفنه جميع ماله إلى جزيرة شّلطيش ^(٣) ، وتخلّى
للمعتضد عن ولّبة ، فخازها حوزة للبلّة ، وبسط الأمان لأهلها ، واستعمل عليها
ثقة من رجاله ، ورسم له القمّطع بالبكري ، ومنع الناس طرّاً من الدخول
إليه ، فتركه محصوراً وسط الماء ، إلى أن ألقى بيده من قرب ^(٤) . ولم يعزّب عنه
الحزم ، فسأل المعتضد أن ينطلق انطلاقاً صاحبه ، فأمنه ولحق بقرطبة ..

وبوشر منه رجل سريّ عاقل عفيف أديب ، يفوت صاحبه ابن يحيى
خلالاً وخصالاً ، إلى زيادة عليه بيت الشّرو والشرف ، وبابن له من الفتيان ،
بذّ الأقران جمالاً وبهاء وسرواً وأدباً ومعرفة ، يكنى أبا عبيد ^(٥) .

وتحدث الناس من حزم عبد العزيز يومئذ ، أنه لما احتل شّلطيش علم أنه
لا يقاوم عبّاداً ، فأخذ بالحزم أولاً ، وتخلّى له عنها بشروط وفتى له بها ، فباع منه

(١) في الذخيرة (بنوعباد : ٢٥٢/١) : قبيل ، وهو أصح .

(٢) في الأصل : فوقع له ذلك من المعتضد ، فقربت العبارة على نص كلام ابن حيّان
في الذخيرة ، وأضفت الناقص .

(٣) نص الذخيرة المنشور (بنوعباد : ٢٥٣/١) : « وتحمل يسبقه بجميع ماله إلى
جزيرة شّلطيش » ، ونص ابن الأبار أصح .

(٤) أي بعد قليل .

(٥) يريد أبا عبيد الله بن عبد العزيز البكري العالم اللغوي الجغرافي المعروف .

سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال ، واحتل قرطبة في كنف ابن جهّور المأمون على الأموال والأنفس ، وصفت لعباد تلك البلاد لو أن شيئاً يدوم صفاؤه^(١) ؛ والملك الباقي لله وحده .

وحكى غيره^(٢) أن البكري في قصده قرطبة اجتاز « بإقليم البصل » وطلّياطة^(٣) ، وقد أعدّ المعتضد له النزل والضيافة هنالك ، ومذهبه القبض عليه وعلى نعمته ، فقدم إلى صاحب قرمونة^(٤) محمد بن عبد الله البرزالي يُعلمه باجتيازه عليه ، وبأنه لا يأمن غائلة عباد ، وسأله مشاركته وخفارتة ، فعجل له

(١) جعلها دوزي (بنوعباد : ٢٥٣/١) : وإن شاء الله يدوم صفاؤها ! وعلق على لفظ الجلالة في الهامش بقوله : *hoc vocabulum ego addidi* (هذه الكلمة أضفتها) .
(٢) أي غير ابن حيان .

(٣) طليّاطة قرية كانت على سبع مراحل شمالاً لإشبيلية ، وتسمى اليوم Tejada ، وهي اليوم خرائب مهجورة *despoblado* على ٣٠ كيلو متراً شمال غربى لإشبيلية . ومن ضواحي إشبيلية اليوم موضع يسمى *Tablada* كتبه ابن عذارى أيضاً طليّاطة ، في كلامه عن غزوات المجوس (الترمانيين) على الأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، والأصح أنه طلباته وهو *Tablada* مع تقديم حرف على حرف . وهذا الموضع اليوم مطار بظاهر لإشبيلية .

Cf : DOZY, *Recherches*, 3e éd. I, 308 + 869.

والروض المعطار رقم ١٢١ ص ١٣٨ ، والترجمة الفرنسية ص ١٥٥ وتعليق ٦ - وبحسنا عن « غزوات النورمان في المغرب والأندلس » ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية سنة ١٩٥٠ ،
(٤) قرْمُونَة : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت قرمونة كورة واسعة تضم مدناً أخرى وحصوناً كثيرة ، وقاعدتها تحمل نفس الاسم (انظر : صفة الأندلس للرازي ، ص ٩٤ وياقوت ١٩٦/٤) . وأوسع وصف لمدينة قرمونة أورده ابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار (رقم ١٤١ ص ١٥٩) والترجمة الفرنسية ص ١٩٠ . وأصل اسمها لاتيني : *Carmo* .
وتقد دخلت قرمونة في حوزة الإسلام سنة ٧١٢/٩٢ وسقطت نهائياً سنة ١٢٤٧/٦٤٤ في يد ألفونسو الثالث . وهي *Carmona* الحالية وهي مركز إداري في مديرية إشبيلية ، وتقع على بعد ٣٥ كيلومتراً شمال شرقها . (انظر مادة زايبوله في دائرة المعارف الإسلامية ، ١ - ص ٨٤٩) .

قطعة من خيل مجردة ، لقيته بموضع اتفقا عليه . ولم يَلُ البكريّ على موضع النزل ، وحثّ حمولته حتى لقيته خيلُ ابن عبد الله ، فوصل معها إلى قرمونة ، ثم توجه منها إلى قرطبة ونجا من حباثل المعتضد .

قال : وكانت مدة البكرين بشلطيّش وما إليها إحدى وأربعين سنة .

في أول هذا الخبر عن ابن حيان ذكرُ ابن يحيى وأبي زيد البكري . وأبو زيد إنما هو محمد بن أيوب والد عبد العزيز ، ولم يدرك المعتضد زمانه ؛ [١٠٩-ب] وأما عبد العزيز فكنيته أبو المصعب ، وكان جواداً / ممدحاً ، وفيه يقول أبو علي إدريس بن اليمان من قصيدة فريدة - وكان إدريس هذا مقدما في فحول شعراء الأندلس^(١) :

فِدَى لِّلّٰى لَمْ يَشْنِ لَيْنٌ فَوَادَهَا عَلَى كَبَدٍ جَارَ الْفِرَاقُ فَادَهَا
مِنَ الْبَيْضِ رِيَا فِي رِدَاءِ ذَوَائِبٍ يُبَارِي سَوَادُ الْعَيْنِ مِنْهَا سَوَادَهَا

يقول فيها :

(١) أبو علي إدريس بن اليمان ، قال في حقه الحميري في الجذوة : « شاعر جليل عالم ، ينتجع الملوك فينفق عليهم [شعره] ، ذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده ، فقال : اليابسي ، وينسبه آخرون فيقولون : الشَّيبِنِي بالباء المعجمة ، لأن الغالب على بلده شجرة الشبين وهي شجرة الصنوبر (تسمى في الإسبانية Sabina) ، وقد أدركت زمانه ولم أره » (الجذوة ، رقم ٣١٣ ص ١٦٠) .

ونقل نفس المادة الضبي (بغية ، رقم ٥٦٠ ص ٢٢٢) .

وقد عقد له ابن بسام فصلا في الذخيرة (قسم ٣ ورقة ٦٠ وما بعدها من مخطوطة جايانجوس ، وترجمة إدريس بن اليمان هناك ناقصة الأول ، فرجعت إلى مخطوط معهد الدراسات الإسلامية في مدريد) وهو يقول بعد أن يذكر نسبه اليابسي : « وأخبرت أن أصله من قسطلية العرب من عمل شنت برة ابن هارون (كذا) ، وبدانية قرأ وبها نشأ ومنها انبعث » . ثم ذكر بعد ذلك كيف حدد أجر قصيدة المديح بمائة دينار كاملة .

[... ..] [الروض] [...]^(١) سقاها إصبها السلسال حتى أنادها^(٢)
 تقود بلا رفق خيول مدامعى لتُورد هيجاء الملام وِرادها
 وما أنصفتها حين ضمنت بجودها عليها وحشت بالطراد جياذها
 أفدت غداة البين منها التماحة شكرت صنيع البين بي إذ أفادها
 أعيدى سقى مئوالك العس أشنب إذا مرضت أرض الأوبة جادها
 يضوع بواديك الأغن أغانيا متى ما يُعذها لم تمل مُعادها
 إذا ما أجادت كفه حول روضة حسبنا جدى^(٣) عبد العزيز أجادها
 ثم تصرف فى المديح تصرفه فى النسيب وأحسن وأبدع .

وابن يحيى هو يحيى بن أحمد بن يحيى اليخصي من أهل كلبّة ، استولى عليها
 أحمد أبوه فى بضع عشرة وأربعمائة ، وملكها نحواً من عشرين سنة ، إلى أن
 مات سنة ثلاث وثلاثين فوليها بعده .

وكان أبو عبيد البكري من مفاخر الأندلس ، وهو أحد الرؤساء الأعلام ،
 وتواليفه قلائد فى أجياد الأيام ؛ ذكره ابنُ بشكوال فى تاريخه ، وحكى أنه كان
 يمسك كتبه فى سَبَانِي الشَّرْب^(٤) وغيرها إكراماً لها . قال : وجمع كتاباً فى إعلام

(١) لم يورد ابن بسام هذه القطعة فيما أورد من شعر إدريس بن إيمان ، ولم أجدها
 فى مرجع آخر .

(٢) أناد = أمال (ناد ، ينود ، نوذاً ونوآداً ونوداناً - تمايل من الناس .

اللسان ٤/٤٤١) .

(٣) فى الأصل : جرى ، وصوبت فى الهامش بخط مخالف .

(٤) سباني جمع سَبَنِيَّة وهى المنديل الكبير أو الملاء البيضاء ، وهو لفظ إسباني :

sabana ، ولا زال يستعمل فى المعنى الثانى فى إسبانيا إلى اليوم . وسَبَانِي الشَّرْب هى المناديل
 الكبيرة التى كانوا يحتفلون بها أثناء الطعام . وكانت تتخذ من رفيع القطن أو الكتان ، وهى أعلى
 السباني . وبلغ من إعزاز أبي عبيد البكري للكتب أنه كان يلفها فى السباني الغالية .

نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، أخذه الناس عنه ؛ وتوفي في شوال سنة تسع
وثمانين وأربعمائة^(١) .

وحكى الفتح بن عبيد الله - في ما وجد بخط ابن حَيَّان على زعمه - أن
أبا عبيد صار إلى محمد بن مَعْنٍ صاحب المرية ، فاصطفاه لصُحبته وآثر مجالسته
والأنس به ، ورفع مرتبته ووفر طعمته^(٢) . ومن شعره يخاطب أبا الحسن إبراهيم
ابن محمد بن يحيى المعروف بابن السَّقاء ، وزير أبي الوليد بن جَهْوَر بقرطبة ،
[١١٠-١] وقد خرج رسولا إلى باديس بن حَبْثُوس بغرناطة ، أنشدها / له ابن حَيَّان
في تاريخه الكبير ونقلتها من خط أبي الوليد بن الدباغ المحدث :

كذا في بروج السعد ينتقل البدرُ وتحسن حيث انحل آثاره القطرُ
وتنقسم الأرضُ الحظوظُ : فبقعةٌ لها وافرٌ منها ، وأخرى لها نَزْرُ
لذلَّ مكانٌ غابَ عنه مُملِكى وعزٌّ مكانٌ حَلَّه ذلك البدرُ
فلو نقلتُ أرضٌ خطاها لأقبلتُ تهنيه بغدادٌ بقُربك أو مصرُ
وله في المعتمد محمد بن عباد عند إجازته البحرَ مستجيراً بيوسف بن تاشفين :
يهونُ علينا - مركبَ الفلك - أن يرى محيى العلاما نبا مركبُ الجدِّ^(٣)

(١) هذا كلام ابن بشكوال في الصلة (بتحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٢) ، رقم ٢٦٣

ص ١١٧ .

(٢) راجع مناقشتنا لهذه العبارة في كتابنا « الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » ص ١١٨ -

١١٩ .

(٣) البيت قلق ، ولم يروه إلا ابن الأبار من أصحاب الأصول التي وردت إلينا ، وقد

ورد في الأصل هكذا :

يهون علينا مركبُ الفلك أن يرى محيى العلاما قبا مركبُ الجد

وقد قوّمته على قدر فهمي لمعناه ، وربما كان أول الشطر الثاني : مُحَيِّياً .

فجرت أجاج البحر تبغى زلاله^(١) وذقت جنى [الأهوال] تبغى جنى الشهد
 يذكرنا ذاك العباب إذا طما ندى كفك الهامى على القرب والبهد
 ومنها :

محمد يا ابن الأكرمين أرومة ليهنك تشييد المكارم والمجد
 فلو خلد الإنسان بالمجد والتقى وآلائه الحسنى ، لهنت بالخلد
 وله :

أجد هوى لم يأل شوقاً تجدا ووجدا إذا ما أتهم الحب أنجدا
 وما زال هذا الدهر يلحن في الورى فيرفع مجروراً ويخفض مبتدا
 ومن لم يحط بالناس علماً فإنى بلوتهم شتى : مسوداً وسيدا
 وله ، وكان مولعاً بالخرمهمكاً فيها :

خليلى إنى قد طربت إلى السكاس وتقت إلى شم البنفسج والآس
 فقوموا بنا نلهو ونستمع الغنا ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
 فليس علينا فى التعلل ساعة وإن وقعت فى عقب شعبان من باس^(٢)

(١) أضفتها للسياق والوزن ، وقد راعيت فيها المقابلة بين « الأهوال » و « جنى الشهد »
 مثل المقابلة بين « أجاج البحر » و « زلاله » فى المصراع الأول .

(٢) بعد هذه القطعة تقرأ فى المخطوط : « وأنشد له ابن فرج فى الحقائق :

سقى لهم من ظاعنين حسبهم وسط الهواج لؤلؤاً مكنونا

الآيات ..

وهى لا يمكن أن تكون لأبي عبيد البكرى ما دام راويها هو ابن فرج فى الحقائق ، فإن ابن
 فرج كان معاصراً للحكم المستنصر وعاش إلى أيام المنصور بن أبى عامر وتوفى أثناءها ، وقد
 ترجعنا - لهذا - أنها لعبد الله بن عبد العزيز المروانى الذى سبق ذكره ، وقد شرحنا فيما سبق
 سبب هذا الخلط .